مناظرات برنامج "الحوار الصريح" في قناة المستقلة

مودة أهل البيت عند أهل السنة

الدكتور عائض القرني

الدكتور محمد الهاشمي الحامدي

مركز الراية للتنمية الفكرية



بسم الله الرحمن الرحيم

مودة أهل البيت عند أهل السنة



هذا الكتاب هو حصيلة المناقشات التي جرت
في سبع حلقات من برنامج "الحوار الصريح"
الذي بثته قناة المستقلة في لندن
في الفترة من 30 / 3 / 2006
إلى 5 / 4 / 2006 ميلادية.

أعد البرنامج وأشرف عليه وقدمه على الشاشة:
الدكتور محمد الهاشمي الحامدي.

وكان الضيف في هذه الحلقات:
الشيخ الدكتور عائض القرني.

كما يتضمن الكتاب في خاتمته رسالة علمية
للدكتور محمد الهاشمي الحامدي بعنوان:
" أهل البيت في القرآن الكريم والسنة النبوية "

اهــداء

إلـــى

السيـــد :

....

يسرني أن أقدم إليك هذا الكتاب هدية
فأفضل الهدايا ما كان يعبر عن فكرة ...
أتمنى أن تكون دائماً بخير مع تحياتي.

محبك



مقدمة الناشر

بقلم علاء الدين ال رشي

صاحب الحق يؤمن بالعقل لابالعصى، وبالحجة لابالإكراه، ولكن يجب ألا ننسى أن كل طائفة من الناس تعتقد أن ثقافتها هي الصحيحة،وأن قيمها الاجتماعية هي المعيار الثابت الذي يمتاز به الحق عن الباطل .

والإنسان الذي ينشأفي مجتمع معين لابد أن يتأثر بمقاييس ذلك المجتمع، من حيث يشعر أولا يشعر، فالطفل الذي ينشأ في محيط يقدر العنتريات، وفتل الشوارب، واستعمال الخنجر ،يحاول إذا كبر أن يكون عنتريا وهو يظن أنه أحق من غيره بالفضل والمكانة الاجتماعية، فإذا قلت له : إن فلانا أكثر عنترية منك، وأعظم شجاعة وشهامة، غضب عليك وعد هذا القول منك حسدا، ولؤما، وربما صفعك على خدك الأيمن، ثم ثنى الصفعة بأخرى على خدك الأيسر.

والحقيقة أن الكثير من التيارات الفكرية، والمذاهب والفرق والرؤى،تعيش تلك الحالة الصبيانية التي تألف وتقدس ما اعتادت عليه وتحول أوهامها إلى قناعات .

نحن نعيش في محنة عبادة الذات، وطهورية رؤيتنا ودناسة وزيف ماعند الآخرين، فإذا ألقى الرجل منا خطبة ورأى الأفواه مفتوحة، وربما الآذان مغلقة ظن نفسه أن الوحي ينزل عليه، وأن كلامه مقدس فوق النقد .

وإذا تعرض أحد لانتقادنا فسرعان ماندعي أن ذلك مرده الغرض السيئ، أو المبدأ الهدام، أو الحدس القاتل ..

إن مجتمعاتنا اليوم مدعوة للتخلص من تجميد النص المقدس المتحرك الذي تم تعليبه في فهوم بشرية ضيقة، وإقصاء سيادة الغريزة الجنسية الإعلامية والإعلانية وإقامة حوار داخلي مفتوح بين شتى الأطياف والملل وفي العلن ورفع يد السياسة عن الدين.

ومابين أيدينا سهرات موفقة نظمتها قناة المستقلة المناضلة التي أسسسها رجل من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الهاشمي المتبع لخطوات جده في إزالة الركام عن العقول والأفئدة، والذي يرنو إلى جيل يحب الحقيقة، ويدافع عنها ويتعاون مع الآخرين بالمنطق والبرهان.

شارك في هذه السهرات الداعية الإسلامي الطيب الغيور عائض القرني الذي قيد الله له محبة قل أن يضارعه آخر فيها .

لقد اتحفنا القرني بابتسامته الساحرة، وبيانه الهادىء وسعة صدره.

إن الحواريات أو السهرات تهدف إلى تحريم التجريم والشماتة، وأي لغة تمس قيمة المعتقد أو المقدس أو تدعي طهارة الصديقين لذاتها، وقذارة الكذابين لمخالفيها.

وتعتمد هذه السهرات على رفض التضخيم فحتى تضخيم الحقائق يشوه جمالها وكمالها .

خليق بنا في أقطار العالم العربي أن نحتفي وأن نتابع وباطمئنان كثرة المحاولات التي يقوم بها الدكتور الهاشمي لجمع الشمل، ورص الصف، وتوحيد الكلمة بين المسلمين الذين يرتلون كتابا واحدا، ويتجهون إلى قبلة واحدة ويعبدون ربا واحدا، ويسمون أنفسهم أمة التوحيد .

والحقيقة أن قطف ثمار نبذ الخلافات لن يستغرق زمنا طويلا بل سيهئ ظروفا ملائمة وفرصة سانحة لاستعادة الدور المرتقب، والمكانة المفقودة.

سيعيش أبناء الدار البيضاء ودمشق والخرطوم والقاهرة والرياض وسائر البلاد العربية في أمان مستقر ودول آمنة وليست أمنية بعد تصفية الأجواء المتلبدة والخلافات المتوهمة.

ومن هنا آلم كل مخلص أن نرى حرب الألفاظ وحرب التصفيات الجسدية تسيطر على المتمكن من السنة أو الشيعة.

إننا بهذه السهرات نتبنى موقفا واقعيا ينقذ المسلمين من شرك التكفير وتحويل الدين إلى ديناميت لقتل المختلف عنا.

إن القدرة على مواجهة التصدع الداخلي والإنقسام المذهبي هو الذي يحول دون استمرار الكسل العقلي والتخلف الحضاري ويعمل على إيقاف الحسرات والدمعات المتتالية وعلى عبث الخارج بنا.

إن الخطوات العملية التي اتخذتها قناة المستقلة ومؤسسها المفكر الكاتب، وضيفه الذي يعد أحد أئمة أهل السنة والجماعة ترتكز على أن الاختلاف المشروع يسهم في التخلص من السلبيات الموروثة من أوهام الماضي، ويساعد على تجنب الدخول في التفصيلات التي يسأل عنها التاريخ وليس لفريق أن يحمل تبعاتها لأحد، ولن يضرنا الاختلاف مادام كل فريق يحفظ القدر الأوفر من الاحترام للمقدس المشترك. ولكن المستقبل – للسنة والشيعة – يتعرض للزوال إذا أقمنا الدين ثم تفرقنا عليه وادعى كل منا التفرد بادعاء امتلاك الحقيقة .

أهل البيت عليهم السلام بوابة الخير التي ستجمع كلمة المسلمين وتحفظ لهم عودتهم إلى عزهم الذي بات بما صنعناه بأيدينا حديث ذكريات . لقد آثرنا الإبقاء على روح الحوار السلسة والتي نالت إعجاب الناس من خلال مزجها بين طرافة الأدب وخزانة التاريخ وعمق الفكرة وربانية المقصد وإسلامية وإنسانية دعوتها ومن خلال الاحترام والتأكيد على القيم وليس على التاريخ .

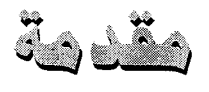
إنني أتوجه بجزيل الشكر بكل من تعب وأسهم في إعداد هذا الكتاب السفر فقد قام على عين وسهر الدكتور محمد الهاشمي الحامدي وكان من شركاء النجاح السيدة إيمان زينو التي عملت على تفريغ النص وقام بضبطه ومراجعته الأستاذ مازن الدباغ وأدارت عمليات المتابعة الفنية السيدة هنادي زيدان وأخرجها في حلة قشيبه المصمم خليفة تمام وأضفى مسحة علمية عليها في النهاية الجليلان الهاشمي والقرني.

وبطبيعة الحال فقد تم الحرص على عرض كل ماقيل شفويا في البرنامج مع بعض التعديلات الضرورية والقليلة التي اقتضاها تحرير النص ونقله من أشرطة الفيديو إلى هذا الكتاب الذي تقرؤنه الآن بين أيديكم.

لاعزة لهذه الأمة من غير الاحساس بضرورة الخطر الذي لايفرق بين سني وشيعي وإنما يستثمر الجميع وفق جريمة متتالية المقتول فيها الامة ولا قيمة لإحساسنا بذلك إذا لم يكن من وراء ذلك إخلاص .

اللهم صل على محمد وآل محمد صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا واجعل أسعد أيامنا يوم نلقاك وأنت راض عنا. وقد جمعتنا بحبيبك محمد وبأبي بكر وفاطمة وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين ومن سار على دربهم.





بقلم الدكتور عائض القرني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن مودة أهل بيت النبي ﷺ ورضي الله عنهم وأرضاهم وبارك عليهم وزكّاهم هذه المودة عقيدة يعتقدها أهل السنة والجماعة، ويرون أن حبَّ أهل البيت واجبٌ شرعي يجب على كل مسلم معرفته واعتقاده، وقد سرَّني أن أقوم مع أخي الدكتور محمد الهاشمي الحامدي المؤلف والكاتب والمفكر والذي أتحف المسلمين بطرحه الجميل، وعرضه القويم عبر قناة المستقلة؛ حيث يسرَّ الله لي وله أن نقدم الصورة المشرفة الصحيحة لعقيدة أهل السنة والجماعة في أهل بيت النبي ﷺ بتجردٍ وعدلٍ وإنصاف يقوم على الدليل والمنطلق وطلب الحقيقة، وكان عرضنا لهذا المعتقد يقوم على إبراز الحجة دون جرحٍ لمخالف أو استعداء لأحد، وقد حرصتُ مع الدكتور الهاشمي على عدم التكلف أو تزويق العبارات بل حرصنا على اليسر في إيصال العبارة الصادقة الموشحة بالعبرة القائمة على البرهان

في ثوب أدبي قشيب، آخذين في الاعتبار أننا نخاطب أكثر من مليار وثلاثمائة مليون مسلم، ومما وفَّق الله إليه أخانا الدكتور محمد الهاشمي أنه كان يستفتح كل حلقة بآيات مباركات من كتاب الله العظيم فيشع المكان نوراً، وتمتلئ النفوس سروراً، ويزدحم الزمان حبوراً، فتخشع القلوب وترتاح الأرواح، وتتذكر الأمة مصدر عزّتها، ومعين قوتها، وهو المعجزة الخالدة والوثيقة الربانية الرائدة، مع شرحٍ سهلٍ ميسر لهذه الآيات، فكانت هذه الطريقة القويمة التي جددها الدكتور الهاشمي رائعة حقاً، وجميلة صدقاً، ذكَّرنا وهو يتلو بصوته الندي الشجي عبر الأثير مجالس الرعيل الأول أيام عزة المسلمين يوم الفتوحات والانتصارات أيام خرجنا للعالم بفجرٍ جديد، ورسالة ربانية تحمل العدل والخير والحب والسلام، يوم كان مجلس عمر الفاروق يُفتتح بالقرآن فيهتز عرش كسرى وقيصر من الخوف والهيبة، ثم تسقط ليسقط معها الظلم والاستبداد والطغيان أيام يبدأ صلاح الدين الأيوبي مهرجانه بتلاوة خاشعة لكتاب الله فترفرف رايات النصر، وتخفق أعلام الفتح.

بهذا القرآن حكم عمر العربي، وانتصر صلاح الدين الكردي، وعدل نور الدين التركماني، وظفر محمد الفاتح التركي، وبه صلى بلال الحبشي، ودعا إليه سلمان الفارسي، وأنصت له صهيب الرومي، وتفقَّه به محمد إقبال الهندي، فأصبحت الدنيا في مهرجان بهيج من العبودية له والعمل بطاعته ونشر العدل في أرضه وتحكيم الشريعة في عباده.

كنتُ أشعر في أثناء استماعي لتلاوة الدكتور الهاشمي بأسرِ وقوة وتأثير هذا القرآن، ثم أقارنه في فصاحته وبيانه وإشراقه بكلام أساطين الفلاسفة، ودهاقنة الفكر، وأساتذة البيان وكبار الشعراء فإذا هم يتهاوون أمام هيبة القرآن وعظمة القرآن وعزة القرآن فيصبح نثرهم وشعرهم وفلسفتهم وخطبهم هباءً منثوراً؛ لأن القرآن كلام الخالق، وكلامهم كلام المخلوق؛ ولأنه قول رب البشر، وقولهم قول بشر، وأقول في نفسي أين أجيالنا الهائمون وراء المقطوعة الأدبية، والرواية والمسرحية، والقصيدة العربية ؟ أين هم من أجمل الحديث، وأحسن القصص، وأصدق الكلام، وأجل الخطاب؟ أين هم من الهدى والشفاء، والحكمة والموعظة، والنور والبرهان والرحمة التي حفل بها هذا الكتاب المبارك المعجز العظيم.

أيها المسلمون: أقدم لكم أنا وأخي وصديقي أبو سامي الدكتور الفاضل محمد الهاشمي هذا الكتاب كما أذعناه عبر قناة المستقلة في بساطة ويسر ووضوح وشفافية لمن أراد الحق، وبحث عن الصدق، لمن أحب أن يصل إلى اليقين في مسألة كبرى وقضية عظمى وهي: موقف أهل السنة والجماعة من أهل بيت ﷺ، لقد نقلنا الحقيقة كما هي مجردة من الزيادة والطلاء والزخرفة؛ لتعلم الأمة بمعتقد أهل السنة كما هو لا كما ينقله المخالفون لهم، والحمد لله لم نجرح مشاعر أحد، ولم نستعدي أحداً، ولم نشهِّر بطائفة، إنما قصدنا الحق لذاته مدعوماً بالبينة:

والـــدَّعـــاوَى مــا لم يُـقـيـمـوا عـلـيـهـا
بَـــيِّـــنَـــاتٍ أصـــحـــابـــهـــا أَدْعِـــيـــاءُ

فالحمد لله الذي وفَّق، والشكر لقناة المستقلة على جهودها في بيان الحق، والتحية لأخي الأثير إلى قلبي الدكتور الهاشمي، ودعائي لكم أنتم أيها المسلمون بالنصر والوحدة والعزة والتمكين في الأرض، (سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب إليك).

قبل البداية

بقلم: الدكتور محمد الهاشمي الحامدي

أهلا بكم إلى واحة
برنامج "الحوار الصريح"

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى وآله وصحبه إلى يوم الدين.

بدأ برنامج "الحوار الصريح بعد التراويح" في شهر رمضان من سنة ١٤٢٣ هجرية ٢٠٠٢ ميلادية، على صورة ندوات يومية تلفزيونية مباشرة، تبثها قناة المستقلة في لندن، بعد الفراغ من صلاة التراويح في المسجد الحرام بمكة المكرمة.

وعندما نوقشت بعض موضوعات الفكر الإسلامي المهمة في هذا البرنامج في شهور أخرى غير شهر رمضان المبارك، كان البرنامج يسمى "الحوار الصريح" فقط، من دون عبارة "بعد التراويح".

في كل سنة أخرى منذ ١٤٢٣ هجرية ٢٠٠٢ ميلادية، تم بث برنامج "الحوار الصريح بعد التراويح" خلال شهر رمضان المبارك. وتم بث جولات أخرى من هذا البرنامج في مواعيد أخرى في غير شهر رمضان المبارك. كل جولة تتكون من عدة حلقات، تتراوح من سبع إلى عشرين حلقة، الأمر الذي يسمح بالتوسع في بحث موضوع النقاش من كل جوانبه تقريبا.

من أبرز الموضوعات التي نوقشت في جولات عديدة من هذا البرنامج: الجذور الحقيقة للخلاف بين السنة والشيعة، نقد الخطاب السلفي، تراث ابن تيمية في الميزان، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، التصوف في ميزان الشريعة، حقيقة الإسلام قبل قيام الفرق والمذاهب، والتجديد في الإسلام. ومنها أيضا موضوع هذا الكتاب الذي تقرأونه الآن: مودة أهل البيت عند المسلمين عامة، وقد بدأنا بالنظر في مودتهم عند أهل السنة والجماعة، على أن نستكمل الموضوع ببحث مودتهم عند الشيعة إن شاء الله.

"الحوار الصريح" برنامج يحتفل بفضيلة الحوار كقيمة حضارية للأمم الراقية. وقد نال أهميته وشهرته في ميدان الإعلام التلفزيوني العربي من أهمية الموضوعات التي تناقش فيه، وجرأة الأسئلة التي تطرح فيه، وصراحة الأجوبة التي يقدمها ضيوفه وهم في أغلب الحالات من الباحثين المتخصصين ذوي الخبرة والمعرفة والفصاحة.

فكرة البرنامج الأساسية هي أن العرب والمسلمين في حاجة لمراجعة

تراثهم ونقده، وتمييز الغث فيه من السمين، لطرح الغث وإنكاره وتجاوزه، والإحتفاء بالصواب والإضافة إليه بروح منفتحة مجتهدة تؤمن بالتجديد.

الحوار، النقد، التجديد: كل هذه المصطلحات راسخة الجذور في الحقل الديمقراطي، وفي ثقافة احترام التعددية، والإيمان بحق الإختلاف. وكلها تتضمن في جوهرها اعتراضا صريحا قويا على الخطاب التكفيري المتطرف، وعلى ثقافة التعصب والكراهية.

إن العرب والمسلمين لا يعيشون في جزيرة معزولة عن بقية شعوب العالم، ولا يستطيعون أن يفعلوا ذلك ولو أرادوا. العرب والمسلمون في قلب العالم، وفي عالمنا المعاصر حركة قوية من أجل التقارب والمزيد من التفاهم والتعاون بين بني البشر كافة، على أساس الإحترام المتبادل بين الناس كافة بقطع النظر عن ألوانهم وأعراقهم وأديانهم، واعتماد خطاب الصداقة والتعاون، بدل خطاب الكراهية والعنف والتعصب، وبدل الإنخراط في ثقافة الإقصاء وإنكار التعددية ورفض حق الإختلاف.

أعترف أنني تأثرت كثيرا بما عايشته في بريطانيا والغرب عامة من انحياز كبير نحو مبادئ الديمقراطية والحوار والتعددية، ووجدت هذه المعاني والمبادئ قريبة من مبادئ أصيلة وجوهرية في الإسلام، مثل الحرية وكرامة الإنسان والعدل والمساواة بين الناس وضرورة التعارف والتقارب بين الشعوب.

ومن خلال عملي الإعلامي، شعرت دائما بالمسؤولية الثقيلة الملقاة

على عاتق الإعلاميين العرب، وهي في رأيي المساهمة في نشر هذه القيم الإسلامية الأصيلة، المتوافقة مع قيم كثيرة مهمة في التجارب الغربية، نشرها في المجتمعات العربية والإسلامية، وتربية الأجيال الجديدة من العرب والمسلمين على روح النقد والإجتهاد والتجديد، وعلى مبادئ الحب والسلام ومكارم الأخلاق.

بهذه الروح، وفي ضوء هذه المعاني، حاول برنامج "الحوار الصريح" أن يتيح المجال للعلماء المسلمين والمفكرين العرب للحوار حول خلافاتهم بصراحة، وللنظر في موروثاتهم الدينية: هل هي متوافقة فعلا مع أصول الإسلام وتستحق أن تبقى وتدرس للأجيال الجديدة، أم أن كثيرا منها محض اجتهاد بشري لأجيال من الناس سبقوا عصرنا، اقتربوا من تعاليم الدين أحيانا وابتعدوا عنها أحيانا كثيرة، وليس من أمر مقبول في ميزان الشرع أو المنطق يلزمنا باتباعهم في مواضع خطئهم، وكراهية الناس بسبب تلك الإجتهادات الخاطئة.

وقد تفاعل ملايين الناس مع ما تميزت به ندوات "الحوار الصريح" من جرأة وموضوعية، حتى سماها بعضهم بالجامعة العلمية المفتوحة، وقالوا إنهم تعلموا منها ما لم يتعلموه في المدارس والجامعات. وأشار بعضهم أيضا إلى أن الحوارات التي جرت ضمن حلقات هذا البرنامج، في أكثر من عام، وفي أكثر من جولة، لا نظير لها في تاريخ السجال والمناظرة بين المسلمين، من حيث جرأتها، والوقت المخصص لها، ومن حيث العدد الهائل من مشاهديها في كل أرجاء العالم.

وثمة أناس انتقدوا جرأة برنامج "الحوار الصريح" وحساسية الموضوعات التي طرحت فيه، لأسباب متعددة. وهذه وجهة نظر محترمة، لكنها ليست بالضرورة صائبة.

هناك أيضا من قال إنه يخشى على جمهور المشاهدين من الحوار الصريح الموضوعي الجريء. وهذه مشاعر تستحق التقدير، لكنها تستبطن نوعا من الوصاية على الناس. وقد آن للناس أن يستخدموا عقولهم ويبحثوا بأنفسهم عن الحقيقة في ضوء ما يدرسونه ويسمعونه ويشاهدونه من نظريات وأدلة.

بفضل الله تعالى، أصبح برنامج "الحوار الصريح" مدرسة للحوار والتجديد والإجتهاد، ورافدا لثقافة التعددية والتسامح والقبول بحق الإختلاف. وبتراكم تجارب الأعوام السابقة، وملاحظات المشاهدين الأعزاء والأصدقاء الناصحين، فإنني آمل أن يحقق البرنامج تطورا ملحوظا في الأعوام المقبلة ويضاعف من عطائه في خدمة هذه القيم السامية النبيلة.

وللعلم فإن البرنامج يتكامل مع برنامجين آخرين مهمين تبثهما قناة المستقلة: برنامج "آل إبراهيم" الذي يدور الحوار فيه بشكل دوري بين عالم دين يهودي، وعالم دين مسيحي، وعالم دين مسلم. هذه فكرة تلفزيونية سبقت إليها المستقلة، وهدفها واضح: إنه تعريف المسلمين باليهود والمسيحيين بأفضل صورة، وتعريف اليهود والمسيحيين بالمسلمين بأفضل صورة، وخدمة ثقافة التعايش والسلام والإحترام المتبادل بين أبناء

الديانات الإبراهيمية: اليهودية والمسيحية والإسلام.

ولدينا أيضا برنامج "حوار الثقافات" الذي يهتم بالحوار بين المسلمين والغرب، قصد التقريب بين الطرفين، وبناء هذا التقارب على فهم أفضل من كل طرف للطرف الآخر، وعلى أساس قيم الحرية والعدالة والمساواة بين بني البشر، وهي قيم إنسانية سامية تشجع الطرفين على التعاون في خدمة مصالحهما المشتركة والسلام العالمي.

وباعتباري مسلما يعيش في الغرب منذ نحو عقدين من الزمن، فإنني أدرك الفوائد الكبيرة التي ستجنيها الشعوب المسلمة والغربية من تحقيق تفاهم وتعاون أفضل بين الطرفين. أدرك ذلك وأسعى من أجله وأعمل له.

كما أنني مؤمن أكثر من أي وقت مضى بأهمية نشر ثقافة الحوار والحرية والتسامح في المجتمعات العربية والإسلامية، وأود أن أساهم في خدمة هذا الهدف بكل ما أستطيع. وقد درست أصول الإسلام، وتشريعاته، وسيرة نبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، فوجدت فيها ما يشجع على هذه القيم كلها، و لم أجد فيها ما يؤيد خطاب الجمود والتعصب والكراهية الذي يتبناه أو يروج له بعض المسلمين من كل الطوائف والمذاهب.

❁ لنواجه الجمود بالإجتهاد والتجديد إذن.

❁ ولنواجه التعصب بثقافة الحوار وقبول الإختلاف.

❁ ولنواجه الكراهية بخطاب التسامح والإيمان بوحدة الجنس البشري وضرورة التقارب والتعارف والتعاون بين كل شعوب العالم.

❁ ❁ ❁

أختم هذه المقدمة القصيرة بتكرار ما قلته أثناء بث حلقات برنامج "الحوار الصريح" عن مودة أهل البيت في الفترة من ٣٠ مارس إلى ٥ أبريل ٢٠٠٦ ميلادية.

إن ضيف هذه الحلقات الدكتور عايض القرني عالم وباحث وداعية مسلم يندر وجود مثله في هذا العصر، بسبب حفظه ودرايته العميقة بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، واطلاعه على أمهات الكتب الإسلامية القديمة والحديثة، وثقافته الموسوعية التي جعلت منه شاعرا وأديبا، وكاتبا محبوبا فاق عدد ما باعه من بعض كتبه المليوني نسخة، وهو رقم لم يحقق أي كاتب عربي سواه.

وقد سمعته يتحدث أمامي في البرنامج، فوجدت عنده لمحات ونظرات في تفسير القرآن الكريم لم يسبق إليها من قبل، على حد علمي. ووجدت عنده فصاحة وبلاغة وترتيبا منطقيا جميلا في عرض ردوده على أسئلتي وأسئلة المشاهدين الكرام.

وهو توج هذه الخصال كلها بخلق كريم، وبشاشة دائمة، وروح نكتة ودعابة تحبب مجالسيه فيه.

فله التهنئة على ما أسبغ الله عليه من النعم، والدعاء بأن يزيده الله من فضله ويبارك فيه وفي أهله وينفع به المسلمين.

كما أحب أن أشكر الأستاذ علاء الدين آل رشي، المدير الاعلامي في مركز الراية للتنمية الفكرية، الذي تعاون معنا في نشر هذا الكتاب، وأشرف على نقل مادته العلمية من الأشرطة التلفزيونية إلى هذه الصفحات التي تقرأونها بين أيديكم.

بارك الله فيه وفي أهله وفي مركز الراية للتنمية الفكرية.



وأخيرا ألفت عناية القراء الكرام إلى أنني أضفت إلى مداولات برنامج "الحوار الصريح" عن مودة أهل البيت المجموعة في هذا الكتاب، أضفت في خاتمتها مقالات وقناعات توصلت إليها من دراسة هذا الموضوع ومناقشته، وكتبتها باعتباري باحثا متخصصا في الدراسات الإسلامية وأكاديميا مهتما بأمر التجديد في الفكر الإسلامي.

إنها آراء وأطروحات تثري النقاش حول هذا الموضوع المهم، ولا تفرض نفسها على أحد ولا تدعي أنها القول الفصل في الموضوع. وقد خطر لي أن أنشرها منفصلة عن هذا الكتاب في رسالة مستقلة، لكنني قدرت أن جمعها مع هذه المناقشات في كتاب واحدة أكثر فائدة وأيسر للقارئ الكريم.



بطبيعة الحال، إن كل ما في هذا الكتاب هو اجتهاد أصحابه، وهو دعوة للآخرين للإجتهاد وإثراء الموضوع بالتعليقات والردود والكتب

المستقلة. ضيف الحلقات الشيخ الدكتور عايض القرني أجاب بما يعتقد أنه الصواب. الأسئلة التي وجهتها له أثناء تقديم البرنامج هي ما حسبت أنها الأقرب لجوهر الموضوع والأنسب للتعمق فيه. والآراء التي أضفتها في خاتمة الكتاب هي ما توصلت إليه بعد دراسة الموضوع ومناقشته مع باحثين متخصصين.

كل مجتهد يطمع في الأجرين: أجر الإجتهاد وأجر التوصل إلى الحق والصواب أو الإقتراب منهما. وهذا ما يطمع فيه كل المشاركين في هذا الكتاب، مع تجديد الترحيب بالنقد والمراجعة، وبكل كتاب آخر ورأي آخر يثري المناقشات في هذا الموضوع المهم.



الحمد لله كثيرا أن يسر طباعة هذا الكتاب. الحمد لله أكرم الأكرمين، حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه. له الحمد والشكر والثناء ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما إلى يوم الدين.

والصلاة والسلام في البدء والختام على سيد أهل البيت خاتم النبيين وأكرم خلق الله أجمعين، سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه وأتباعه بالحق إلى يوم الدين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

لندن في ١٩ شعبان١٤٢٧ هجرية

١٢ سبتمبر ٢٠٠٦ ميلادية

السهرة الأولى

الهاشمي: بسم الله الرحمن الرحيم. أيها المشاهدون الكرام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أهلاً بكم إلى برنامج "الحوار الصريح".

موضوع حوارنا ونقاشنا هو: مودة أهل البيت عند المسلمين عامة، وأهل السنة خاصة.

عن الضيف وعن منهج الحوار

معنا في هذه الجولة من جولات "الحوار الصريح" الكاتب، الشاعر، الداعية، الأديب، الأريب، اللبيب، الشيخ عائض القرني، من الوجوه العلمية المشهورة في المملكة العربية السعودية، والحائز حديثاً على جائزة راقية محترمة مهمة من البحرين، هي جائزة أهم مؤلف، أعظم مؤلف.

ما اسم الجائزة شيخ عائض؟

القرني: جائزة المؤلف العربي الأول.

الهاشمي: وقد حصل عليها عن جدارة واستحقاق، لأن الشيخ عائض من أول الكتّاب العرب من جهة عدد مبيعات كتبه.

كتابه (لا تحزن)، فاق المليونين نسخة.

أحدث كتبه عن المرأة السعيدة (أسعد امرأة في العالم) تجاوز ٣٥٠ ألف نسخة، والكتاب مترجم للغة الإنجليزية.

وقال لي مازحاً: إنّه في زيارته الأخيرة لإندونيسية وجّه له بعض الإندونيسيين سؤالاً مثيراً حول الكتاب.

ماذا كان السؤال شيخ عايض؟

القرني: ما دور كتاب (لا تحزن) في إصلاح الشعوب؟

الهاشمي: والشيخ عائض تواضعاً منه قال: الحمد لله الذي جعل الناس يُحسنون الظن بالكتاب حتى يبرروا طرح مثل هذا السؤال.

الكتاب حقيقة فيه مواد حلوة كثيرة منوعة.

القرني: الحمد لله فهو الذي وفّق وأعان وسدّد، وله المنّة والفضل.

الهاشمي: شيخ عايض القرني في هذا المكان، ومن خلال برنامج "الحوار الصريح"، جلس كثير من الدعاة والعلماء، من مذاهب مختلفة، وبلدان مختلفة، للمناقشة والتحاور، ونحن نعرض وندرس ما يقوله علماء آخرون، من الأفكار والحكمة، ونحاول أن نقترب من الحقيقة.

إنّ الحوار منهج حضاري في التعامل مع المسائل المهمة، وخاصة

تلك التي يكون حولها نقاش وخلاف.

وأود في البداية أن أوجّه لك دعوة للحديث عن شعار برنامجنا نفسه (الحوار الصريح). هناك أناس يتحاورون، حوار مجاملات، ونحن نفضل الحوار الصريح .

ما رأيك أن تلبي دعوتي أولاً لبيان رأيك في: **قيمة الحوار**.

القرني: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، مولاي صل وسلم ما أردت، على نزيل عرشك خير رسلك كلهم وآله وصحبه نقريهم تحياتنا لله هم في علو المجد والهمم.

ربِّ اشرح لي صدري، ويسرِّ لي أمري، واحلُل عقدة من لساني، يفقهوا قولي.

ووفّق أخي محمد الهاشمي، اشدد به أزري وأشركه في أمري. ثم أقول للأخوة أنني أطلب من الله تعالى، كما يقول شاعر النيل:

يا ربِّ هبْ لي بياناً أستعينُ بهِ

على حقوق قضاء نام قاضيها

إذا عُلم هذا فإننا بحاجة في هذه الفترة أكثر من أي فترة مضت إلى الحوار الصريح، والبنّاء، والشفّاف، لإزالة الغبار الذي علق بصورة الإسلام الجميلة، فإسلامنا إسلام رحمة للعالمين، حضاري، وسطي، عدلي، عالمي، إسلام محمد ﷺ الذي انطلق به من مكّة.

إسلامنا ليس فيه طرفان متناقضان، ليس فيه تطرُّف، ولا إرهاب،

ولا عنف أيضاً، وليس فيه تحلّل من الدين، واعتداء على ميراث محمد ﷺ (وكذلك جعلناكم أمّةً وسطاً) نعم، أمّةً وسطاً تبني للعالم، وتُرسل رسالة الحب والإخاء والرحمة، تفتح الآذان، والأسماع، والأبصار، وتَقْبَل ممّن يحاورها.

ديننا أُسّس على الحوار، الوليد بن المغيرة، يعرِض على رسول الله ما يريد، كي يتخلّى عن دعوته ويتكلم كلاماً طويلاً. ويستمع إليه ﷺ. فلما انتهى قال له رسول الله ﷺ: انتهيت يا أبا المغيرة؟. هذه نقطة الحوار، لأنه سمع ﷺ منه.

نصوص القرآن تطلب منّا كمسلمين أن نُسمع كلامنا الآخرين، وأن نعطيهم فرصة للسماع منهم أيضاً، وأن نلتقي نحن وإيّاهم على كلمة الحق، والحجّة، والبرهان. هذا لغير المسلمين، فكيف بالمسلمين فيما بينهم؟

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إلاَّ اللَّهَ ولا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ولاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾(آل عمران: ٦٤).

﴿ ولا تُجادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(العنكبوت: ٤٦).

حتى مع الوثنيين المشركين الذين يعبدون الصنم، مطلوب منّا الحوار. يقول الله سبحانه: ﴿ وإنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ ﴾(التوبة: ٦).

نحن على بساط البحث. علينا أن نتحاور بالحجّة، لا بفوهة البنادق، ولا بالسيوف المطرية، التي نهدد بها، ولا بصولات عنترة بن شداد.

الله سبحانه يقول في كتابه الكريم: ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾(الأنعام :١٤٨)، أعطني حجة وبرهانا وبيّنة، ولا تغضب، ولا تتشنّج عليّ، ولا تسبّني في شخصي، ولا تهاترني مهاترة السفهاء، اسمع مني سماع العقلاء.

ألم يقل الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(النمل:٦٤)، نحن الآن بحاجة إلى برهان، نحن بحاجة في المحافل الدولية أن نجدّد الحوار الذي بُعث به ﷺ، وأرسل أصحابه في الأقاليم، وفي البلدان، مبشرين ومنذرين به.

لكن الحوار خفي عن الأمة بسبب طائفتين:

الأولى: طائفة ترفض الحوار، ترفض الحجّة والدليل، وعندها الذبح والاستيلاء على ممتلكات الآخرين، وعندها لغة الرصاص، وهذه مرفوضة إلا بحق، دفاعاً عن حقوق الشعوب، أو الجهاد، الذي نص عليه الكتاب والسنة، وبشروطه.

الثانية: طائفة أخرى انسلخت من الدين، فهي ترفض الكعبة، وترفض المصحف، وترفض المسجد، وترى أن الدنيا ليست شعائر تعبدية، صلاة العيد، وصلاة الجنائز، وزوايا المساجد، و.

إنما هذا الدين: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(الأنعام ١٦٤) هذا دين قوي، هذا دين بُعث به النبي ﷺ وأقام دولة في المدينة، سمع بها العالم ودخل القارات الست.

أتى رجل ينتفض عند رسول الله ﷺ، ومحمد ﷺ مشهور بالتواضع، بالأدب، فديته بروحي، بأبي هو وأمي، يقول ﷺ: «هوِّن عليك إنّما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة».

قال خالد محمد خالد رحمه الله: نعم، أنت ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكّة، لكن دينك دخل القارات الست، وأنت أول من أسس محكمة العدل الدولية في العالم.

قلت في قصيدة لي

عقودُ نصرك في بدرٍ وفي أحدِ
وعدلُنا فيكَ لا في هيئةِ الأُمَمِ

إن كانَ أحببتُ بعد اللهِ مثلكَ في
بدو وحضر وفي عرب وفي عجمِ

فلا اشتفى ناظري من منظرٍ حسن
ولا تفوّه بالقولِ السديد فمي

عندنا أخلاقيات في الإسلام – للأسف – ما انتشرت في الناس:

- كالحوار.
- تقبل الرأي الآخر.
- إيراد الحجة، وسماع أدلتها.
- احترام الرأي الآخر.

الرسول ﷺ أرسل علي أمير المؤمنين – في الصحيح – إلى يهود، وقال له:«.وادعهم إلى لا إله إلا الله وأني رسول الله، فوالذي نفسي بيده، لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم».

سمع رسول الله ﷺ بجاره الغلام اليهودي، وهو في سكرات الموت، قال: هيا بنا. وهو غلام، والرسول ﷺ مشغول بأمور الدولة، مشغول بالأمة، مشغول بالناس، فجلس عند رأسه، وأخذ ﷺ يترفق به، ويقول له: «قل لا إله إلا الله، وأني رسول الله»، فنظر الغلام إلى والده يستشيره، قال: أطِع أبا القاسم. قال الغلام: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله». ففرح رسول الله ﷺ وقال: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار».

نحن دعاة حوار: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم».

الهاشمي: قبل أن ندخل إلى صميم الموضوع، لم أسألك عن قصة اعتزالك التي شاعت قبل أيام في الصحف ؟

القرني: أنا أعلنت راحتي وتأمّلي لمدة شهر، فكتبوا: أنّني اعتزلت. أنا لم أكن معتزلاً،إنّما كنت في استجمام وراحة.

ثم كان هناك اتصال مع الأمير سلمان بن عبد العزيز – حفظه الله – من الرياض وقال: لن تترك الساحة الدعوية. فأجبت: أنا لم أترك الدعوة، الدعوة واجب شرعي ﴿واعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ﴾ (الحجر:٩٩)حتى الموت، لكن جلوسي في بيتي وأنا أؤلف دعوة، أتصل بالجوال وأفتي دعوة، جلوسي مع جيراني وإخواني وزملائي دعوة.

قلت: أنا فقط في استجمام وراحة، حتى رسول الله ﷺ اعتزل نساءه شهراً، كما ورد في صحيح البخاري.

وجلست شهراً فقط، وعدتُ بحمد الله أقوى من قبل، وبدأتُ المحاضرات في الرياض، وها أنا في (المستقلة).

الهاشمي: أعجبني في الأمر حرص الأمير سلمان بن عبد العزيز عليك، واهتمامه بأمرك، وأنت داعية من الدعاة المشهورين. لو أن هناك كثيرون مثله من كبار المسئولين في دولهم يهتمون بأمر الدعاة والعلماء لكان من وراء ذلك خير كثير.

سمعت أن أمر الاعتزال بدأ بقصيدة نظمتها.

القرني: كتبت قصيدة، والشعر كما تعلم شكوى، وتباريح، قلت فيها:

فالزم مديتك بيتاً أنت تسكنه

واصمت فإن البرايا اصبحوا عينا

واليوم في البيت لا خلٌّ يسامرنا

إلا الكتاب يناجينا ويسهينا

فأتى الصحفيون والإعلاميون ففسروها، وهل يدل ذلك أني تركت الدعوة والتأليف، وأني قد اعتزلت؟. وفي الأخير أتيت بقرار الجماهير وعدت من جديد وقلت: فهمتموني خطأ، وقلت في قصيدة مؤلّفة من ٧٥ بيت:

خـذ يـا صـبـا نجـد فـضـلاً وحـي أفـكـاري

فـنـجـد مـرفـأ تـرحـالي وإبـحـاري

لـبـيـك سـلـمـان إكـرامـاً لحـضـرتـكـم

لـلـمـحـبـين مـن بـدو وحـضـارِ

في خلوتي، كنتُ مع ابن تيمية، وابن خلدون في مقدمته، وابن زيدون في أدبه، حتى سقراط، حتى هارون الرشيد، وعاتبته على قتل البرامكة:

دعـهـم لـنـا عـنـد الإلـه غـدا

مـواقـف سـوف أتـلـو ثـم أخـبـار

الهاشمي: القصيدة الأولى التي نظمتها، كنتَ فيها مرهقاً، أو غاضباً، لعلك أنت نفسك نظرت فيها، وقلت: لا إله إلا الله، أهذا حالي!

القرني: أُعلمك بمثل ما وقع لي. أراد أحدهم أن يتظلّم في دولة حاكم، وذهب إلى القصر الملكي، فقال للكاتب: اكتب لي مظلمة على الملك. وكان الكاتب بليغاً -يريد أجرة طبعاً- فكتب كتابة بليغة. فقال له المتظلّم: اقرأ عليّ الكتاب، فقرأ الكاتب، فأخذ المتظلّم يبكي، ويقول: والله ما أدري أني مظلوم إلا اليوم.

تعريف المفلحين في أول سورة البقرة

الهاشمي: بعد هذه المناقشة التمهيدية، وقبل الغوص مباشرة في موضوع مودة أهل البيت، أود أن أقرأ عليك وعلى المشاهدين الكرام بعض الآيات البينات من كتاب الله الكريم، وهي آيات لها صلة بموضوع النقاش في برنامجنا. هذه الفقرة إذن هي جز من موضوع البرنامج، وبرنامجنا كما أذكر دائما برنامج فكري ثقافي ومنبر للحوار الفكري الحر والصريح.

هناك خمس آيات عن الفلاح، عن المفلحين، وردت في بداية سورة البقرة، أود أن تعلّق عليها بإيجاز، ثم سأسألك عن الصحابة، وعن القرابة.

هذه الآيات من سورة البقرة ويقول فيها المولى عز وجل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿الـم (١) ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(البقرة: ١-٥) صدق الله ورسوله.

القرني: هذا الكتاب العظيم، هذه الوثيقة الربانية، هذا الشرف، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾(الزخرف: ٤٤)،

هذا الكتاب الذي إذا تمسّكنا به رجع لنا المجد والسؤدد والسعادة في الدارين، وأنت تلوت من السورة العظيمة التي يقول فيها رسول الله ﷺ: «بيت تُقرأ فيه سورة البقرة لا يقربه شيطان».

أذكر بعض الخطباء قرأ هذه الآيات الخمس، قال: كان هذا هو الموجز وإليكم تفصيل الكلام.

فكل أصول الديانة في الآيات الخمس التي ذكرتها، وعسى الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا القرآن، لي ولك ولكافة المسلمين، شافعا مشفّعا يوم القيامة، وينفعنا بكل حرف فيه.

يقول سبحانه وتعالى: (ألم)، يقول العلماء: -وهو القول الصحيح - أن هذا من الكلام المُعجز، الذي علم الله بمراده، لكن الظاهر - والله أعلم- وكأنّه سبحانه يقول: يا عرب، يا متكلمون بالفصحة، يا من ينسج من هذا الكلام، من الألف واللام والميم، هذه الحروف والمادة الخام أمامكم، تعالوا تكلموا، وفيكم الخطباء والشعراء والعلماء، هيّا تعالوا بكلام غير هذا الكلام. لكنكم لا تستطيعون.

ضرب بعض الأئمة مثلاً، قائلاً: الطين الذي أمامنا، نحن نصنع منه الفخار والأواني المنزلية، لكن الواحد الأحد خلق منه الإنسان.

(ذَلِكَ الكِتَابُ) يقول أهل العلم: هذه الإشارة للتعظيم والتفخيم. هذا الكتاب الذي لا بعده كتاب، إذا رأيت هذا الكتاب، وإذا اهتديت بهذا الكتاب، هذا هو الكتاب الذي يستحق التلاوة، هذا الكتاب الذي يستحق التدبُّر.

يقول: إشارة للبعيد، للتعظيم والتفخيم، ولهذا حين أشار للبعيد لم يقل (هذا) إنّما قال سبحانه: (ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ).

أخبرني دكتور من إحدى الجامعات، أنه كُلِّف برسالة دكتوراه في التفسير، فقابل أحد الإنجليز مكلفاً بقراءة التفاسير، وقد أسلم، قال: سبب إسلامي أنني كنت أقرأ في القرآن، وأول آية وقعت عليها: (ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ). قال: فنظرت إلى المؤلِّفين من البشر، كلّ مؤلِّف، أو شاعر، له ديوان أو مصنّف، يقول: مَن عنده ملاحظة فليتّصل بنا، ومن عنده زيادة أو استدراك فنحن مستعدون. إلا الواحد الأحد قال: (ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ)، لا نريد استدراكا، ولا أحد يعطينا ملاحظة، فهذا الكتاب ليس فيه اختلاف، ولا شك، ولا ريبة، (لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)، هي تُقرأ: لا رَيْبَ فِيهِ).و (فِيهِ هُدًى).

وقال: (هُدًى) لأن أجمع كلمة في الفلاح هي (هُدًى) ولذلك: هذا الكتاب هو هداية، وأخطأ من ظنّ أن أصول الجيولوجيا فيه والهندسة والطب.

ذلك الكتاب هداية، يهدي الإنسان، ثم الإنسان يبني ويعمر في الحياة الدنيا، لكن هداية لمن؟ (لِّلْمُتَّقِينَ)، وهو مَن آمن واتّقى، وفعل المأمور، وترك المحذور.

أمّا غير المتقين، إذا قرؤوا القرآن فهو عليهم عمى، ويزيدهم خساراً، ولكن إذا قرأه المؤمن المهتدي يزيد به إيماناً وإشراقاً.

قال سبحانه: حُجّة للمتقين، نكَّر كلمة (هُدًى) للتعظيم، كل هدى في الدنيا والآخرة.

إنه يهدي للتي هي أقوم: (٤٢١ وقفة) كما أحصاها بعضهم . فهو يهدي للتي هي أقوم، سواء في المعتقد، في الآداب، أو الأخلاق، أو السلوك، أو كل شؤون الحياة.

(هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ)، الإيمان بالغيب هو القضية الكبرى عند كل مسلم، ومن لا يؤمن بالغيب فليراجع إيمانه من الآن.

رسالتنا إيمان بالغيب، محمد ﷺ أتانا بكتاب من عند الله، ونحن لم نر ربنا سبحانه وتعالى، وما رأينا جنّته ولا ناره، لكنّا آمنا بالغيب. والذي يؤمن بالغيب يبشّر بكل غيب، وهذا أول معالم العبودية، أنّه آمن بالغيب.

(يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ)، قال أهل العلم: إنّما ذكر الصلاة لأنها هي رأس الإسلام وعموده، وقرّة عين محمد ﷺ وأتباعه، إلى يوم القيامة. فالمسلم مطالب بها في كلّ حال، في السلم والحرب، والمرض والصحة.

حتى إنّ (غاندي) وهو على مذهبه، يقول: «يوم ما صليت انهرتُ».

وفي كتاب اسمه (الإيمان)، يقول فيه مؤلفه: أنا أصلي، ولو ما صليت انهارت قواي.

هذا عندهم! فكيف بنا نحن أهل الإيمان وأتباع محمد ﷺ. وإنما فسد الجيل لأنهم تركوا قوله: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ)، لم يقل سبحانه: يصلّون، لأن من الناس من يصلّي، ولكنّه لا يقيم الصلاة؛ إقامة الصلاة هو فعلها بأركانها وخضوعها وخشوعها، حتى تؤثر في حياته. فلا يقرب الحرام، ولا الفواحش، ولا سفك الدم المحرم، ولا الاعتداء على الآخرين، ولا سبّ المؤمنين ولا التطاول على حقوق الناس. هذا الذي يقيم الصلاة.

(وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) مما رزقناهم ينفقون، فيها ثلاث قضايا:

قال: (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ): أي إنّهم يُنفقون بعض مما أُعطوا، فلم يعطوا أموالهم كلها، أو يسلموها كلها.

(رَزَقْنَاهُمْ): المنّة في ذلك لله، وليس من رزق أنفسهم.

الله أعطاك فابذل من عطيّته

فالمال عارية أمرها رَحّالُ

يعني الرزق من الله سبحانه وتعالى.

(يُنفِقُونَ): يتصدّقون على غيرهم، وهذا هو حفظ المال، والتزكية.

(والذين يؤمنون بما أنزل إليك): هو كل ما أُنزل عليه ﷺ جملة وتفصيلاً، فنقول: رضينا بالله ربّاً، وبما أُنزل على محمد ﷺ.

يقول الشافعي رحمه الله: آمنتُ بما أُنزل على محمد ﷺ، على مراد

الله. وآمنتُ بما قال رسول الله ﷺ على مراد رسول الله ﷺ. وهذا الكلام من أجمل الكلام.

(وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ): وهذا الفرق بيننا وبين غيرنا.

نحن نُؤمن بما أُنزل على إبراهيم عليه السلام، وعلى موسى، وعلى عيسى، عليهم السلام. ونحترمهم ونصلّي ونسلّم عليهم، ونعدّهم من أنبيائنا - عليهم الصلاة والسلام - فنقول للآخرين (لأهل الكتاب): آمِنوا بمحمد كما آمنا بموسى وعيسى، وصلّوا على محمد ﷺ، كما صلّينا على موسى وعيسى، واحترموا رسولنا كما احترمنا رسولكم.

(وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ): اليقين غير الإيمان.

اليقين: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، تعبد الله كأنك غداً سوف ترتاح، وكأنّك رأيت الجنة.

ما أجمل العبارة: «والله لو كشف الله لي الغطاء فرأيت الجنة والنار، ما زاد على ما عندي من إيمان، قلامة ظفر».

(وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) (أولئك) من يفعل هذه الصفات والمواصفات ويقوم بها فهو (على هدى) على: هذه استغراقية، لم يقل: في هدى، و لم يقل: مهتدون، لكنه على هدى. قال: مبدؤهم على هدى، ومشيهم على هدى، ونهايتهم على هدى، واستقامتهم على هدى.

(أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) قال: ختم بالفلاح. الفلاح: هو نيل كل مطلوب والفوز بكل مرغوب والنجاة من كل مرهوب. ولا يوجد هذا إلا في القرآن.

واجهتُ ملحداً مرّة يقول: كأن القرآن ألّفه محمد ﷺ. قلت: النبي الأمّي الذي ما درس في كلية، وما تعلّم عند معلّم، ثمّ أتى وهو أمّي بهذا الكتاب الذي تحدّى الله به العالمين، أن يأتوا بمثله، و لم يستطيعوا أن يأتوا بمثله؛ حتى الجن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً﴾(الجن: ١)، وذهل الشعراء منه، وتوقّف الأدباء عنده، واحتار العلماء فيه. يكفي يا أخوة، يا قوم، أن ننظر في هذا الكتاب لنعرف أنه المعجزة الكبرى لرسول الله ﷺ.

تهمة الجفاء لأهل البيت

الهاشمي: البداية مع مودة أهل البيت، المودة الشرعية لأهل البيت عند أهل السنة، والسبب أن هناك اتهاما موجّها من بعض المسلمين إلى أهل السنّة، أنهم ربّما يبدون نوعا من الجفاء لأهل البيت رضي الله عنهم وأرضاهم.

وإذا كانت هذه التهمة قوية في مكان فهي تقوى وتزداد في المملكة العربية السعودية، حيث تروج وتسود مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العقيدة بشكل عام، ومدرسة الإمام أحمد بن حنبل في

الفقه، لأنه يقال: «إذا كان في أهل السنة جفاء أو بعض جفاء لأهل البيت، فالوهابية أكثر جفاءً».

الشيخ عايض يمثّل أهل السنة بشكل عام، المذاهب الأربعة، والوهابية، وهو محبوب لدى أهل السنة عامة، ولدى كثير من المسلمين. ولذلك فهو مؤهل لمناقشة المضوع والرد على أسئلته المهمة .

لنبدأ في موضوعنا، ونحدد معاني أهل البيت. أسألك الآن: من هم أهل البيت؟

يوجد أناس ينسبون أنفسهم أو ينسبهم آخرون إلى مدرسة الصحابة. وهناك وآخرون يقولون بمدرسة أهل البيت، هذا الأمر يتطلب منا بيان معنى القرابة وبيان معالم المدرستين، ثم إن شاء الله نمضي في التفصيل والتوسُّع.

القرني: الشيخ المجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لم يأت بدين جديد، إنّما جدّد في الإسلام، الدعوة، دعوة التوحيد، وهذه رسائله وكتبه تشهد بذلك، ومواقفه من أهل السنة سواء الصحابة أو القرابة هي مواقف توافق أهل السنة.

بيننا وبين من خالفنا القرآن، والسنّة الصحيحة، والتاريخ، ويشهد الله سبحانه وتعالى أني ما استجبت لدعوتك إلا لأقول الحق، لا أخشى في الله لومة لائم، وهذا الذي نعتقده، لا نماري أو نجامل، هذه العقيدة التي ربينا عليها، وسار عليها ما يقارب أكثر من مليار مسلم ويزيدون، وهم أهل السنة، يعتقدون ذلك.

ذهبتُ إلى إندونيسية منذ ثلاثة أسابيع، ٢٣٠ مليون مسلم يرون هذا الرأي، وخطبت فيهم خطبة عن القرابة والصحابة في المسجد، ولم يخالفني أحد، سواء في العاصمة (جاكرتا أو بندوك أو سروبايا وهريها).

إذا لم يكن بين الصحابة والقرابة، ود وألفة ومحبة، فبين من يكون؟

إذا لم يحقق الصحابة قول الله سبحانه وتعالى: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) من يحققها من الأجيال؟ هل يحققها المتأخرون المفلسون من الديانة؟

إذا لم يحقق الصحابة والقرابة (وألّف بين قلوبهم)، ألّف بين الصحابة والقرابة. (لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم).

الواحد الأحد يقول: (واعتصموا بحبل الله جميعاً)، من يحقق هذا؟ القرابة والصحابة.

أهل البيت مطهّرون عند أهل السنة، والصحابة مزكّون.

أما مطّهرون، فيقول سبحانه وتعالى عن أهل البيت من القرابة: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)، أهل البيت كلهم مطهرون عندنا.

الصحابة مزكّون، يقول سبحانه: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (الفتح:١٨) الله سبحانه وتعالى زكّاهم وقبل تزكيتهم.

﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ والْمُهَـاجِرِينَ والأَنصَـارِ﴾(التوبة:١١٧).

عمر بن عبد العزيز المجدّد، الخليفة الراشد. وكان شيخه العا لم الفقيه أحد الأئمة السبعة عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، سمع إساءة لسيّدنا عليّ، فاستدعى عمر من المدينة، وقال له: متى علمت أن الله سبحانه غضب على الصحابة بعد ما رضي؟ قال: ما علمت؟. قال: متى علمت أن الله سبحانه وتعالى تبرّأ من أهل بدر بعدما غفر لهم؟ قال ما علمت؟ قال: ما تتوب؟ فدمعت عيناه. قال: أشهد الله ثم أُشهدك ألا يعود أحد إلى ذلك أبداً. فكان هو الذي يختم في خطبه: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى.

يقول عمر بن عبد العزيز في هذا الموقف: والله الذي لا إله إلا هو لذلّة من عبيد الله خير لي من الخلافة. لأنه رده إلى المنهج الصحيح.

يقول بعض أهل السنة: القرابة كالعين اليمنى، والصحابة كاليسرى.

قال سفيان معلقاً: الصحابة والقرابة كالعيون، علاجها ودواؤها ألا تُمس، هل سمعت أن العين إذا تضررت نمسّها ونحكّها؟ هذه العين اليمنى هم القرابة، وهذه اليسرى هم الصحابة.

يقول أبو الطيب المتنبي مادحاً سيف الدولة:

هـو الجـد حتـى تفضـل العـين أختـها

وحتـى يكـون اليـوم اليـوم سـيّدا

أي: إنك اليوم عندنا مقدّم لأنك من أهل البيت، فأنت كاليمنى.

يقول ابن تيمية في رسالته عن الحسين في كتابه (الفتاوى) الجزء الرابع: «.وقتلُ الحسين مصيبة، ينبغي لكل مسلم إذا ذكرها أن يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون».

ألم يقل شاعر أهل السنّة:

ويكبّرون بأن قُتِلْتَ
وإنّما قتلوا بك التّكبير والتّهليلا

أي: إنّ أصل التكبير والتهليل خرج من بيتك أنت، من ميراثكم الطاهر.

أنا بحكم ميولي وتجربتي شاعر، وأحبّ الأدب بالفحص والتمحيص، وجدت أنها من أجمل القصائد التي قيلت في أهل البيت.

ألم يقل الفرزدق وهو من أهل السنة، في أهل البيت، في عليّ بن الحسين:

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأته
والبيتُ يعرفُه والحلُّ والحرم
هذا ابنُ فاطمة إن كنت جاهله
بجده أنبياء الله قد خُتِموا

عادة ننشدها نحن، وحفظناها في الابتدائي، وبعض شيوخنا الكبار

في السن وأمهاتنا يبكون عندما يسمعون هذه القصيدة.

أبو نواس على انحرافه السلوكي، وقف فمدح بني العباس، وبعض الوزراء، والأعيان، والعلماء، ونسي ولي عهد المأمون علي بن موسى الرضى، والمأمون كان به ميل لأهل البيت. فأتى العلماء وقالوا: خيّب الله سعيك يا أبا نواس! تمدح الوزراء، وتمدح الأمراء، وتترك علي بن موسى من بيت النبوة؟! قال: أذهبُ إليه معتذراً.

يقول أبو نواس:

قيل لي أنت واحد من الناس

في كل معنى من الكلام بديه

لك في جوهر الكلام بديع

يثمر الدر في يد مجتنيه

فعلام تركت مدح ابن موسى

بالخصال التي تجمّعن فيه؟

قلت: كيف أهتدي لمدح إمام

كان جبريل صاحباً لأبيه

يقول: نحن نمدح الناس العاديين، أما الكبار فلا. فلما سمعه علي بن موسى الرضى قال: «املئوا فمه دراً».

من هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

الهاشمي: الآن وقد بدأ حوارنا عن أهل البيت، ربّما يكون أول أمر ينبغي أن نتفق عليه من الناحية المنهجية إذا أمكن، هو أن نحدّد بالضبط ماذا نعني بأهل البيت؟

مَن هم أهل البيت؟ هل يوجد تعريف متّفق عليه في أمر أهل البيت؟

القرني: نبدأ في مسألة من هم القرابة، رضي الله عنهم وأرضاهم، وفديناهم بأنفسنا.

القرابة لغة: هي ضد البعيد. والقرابة: الدنو من النسب.

أما قرابته ﷺ، فالصحيح عند أهل السنة: إنّهم ذريته ﷺ أهل بيته، وهم آل علي، آل العباس، آل جعفر، آل عقيل. وزوجاته ﷺ يدخلون في أهل البيت، وذريته ﷺ يدخلون في أهل البيت، وعلى ذلك أدلة بلا شك.

أما بنو هاشم فإن النصوص تدل على دخولهم في أهل البيت. فعن أبي رافع، قال: بعث النبيّ عليه الصلاة والسلام رجلاً من بني مخزوم على الصدقة، فأراد أبو رافع أن يتبعه، فسأل النبيّ عليه الصلاة والسلام فقال: أما علمتَ أنّا لا يحلُّ لنا أكل الصدقة، وإنّ مولى القوم من أنفسهم.

فبنو هاشم، هم الذين قال أهل العلم: إنّهم من قرابته عليه الصلاة والسلام، والصحيح: المسلمون منهم، عليّ وذريته رضي الله عنهم، جعفر الطيار وذريته رضي الله عنهم، العباس بن عبد المطلب وذريته رضي الله عنهم، عقيل وذريته رضي الله عنهم.

ولذلك يخرج أبو لهب، وإن كان من أهل البيت، لأنه ليس مسلماً.

زوجاته ﷺ: لأنه صحّ في حديث أبو حميد الساعدي رضي الله عنه أنّهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلّي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: قولوا: «اللهم صلِّ على محمد، وأزواجه وذرّيته، كما صلّيت على آل إبراهيم، وبارك على محمد، وأزواجه وذرّيته، كما باركت على آل إبراهيم، إنّك حميد مجيد» . فنصّ ﷺ أنّ أزواجه، وذرِّيته هم من آل محمد. وقد دخلوا في ذلك، فهم أهل الرجل.

قال موسى عن أهله: (فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا).

وقال في قصة العزيز: (ما جزاء من أراد بأهلك سوءا)، فأهله: زوجته. (وأسر بأهلك بقطع من الليل)

(رحمة الله عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد)

أهل البيت هنا بإجماع العلماء: هي سارة زوجته فقط.

ولذلك لّما وردت آية التطهير، دخل زوجاته ﷺ دخولاً أولياً، لأن الخطاب في سورة الأحزاب عنهنّ.

ولكي يتّضح الأمر نورد كلام الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً (٨٢) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً (٩٢) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً (٠٣) وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً (١٣) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً (٢٣) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾[الأحزاب٣٣/٨٢-٤٣].

فالخطاب كله إذا تدبّرتم الآيات التي تبدأ من (الآية ٢٨ إلى ٣٤) كلها في نساء النبي ﷺ، ولذلك نصّ أهل السنّة على أن أهل البيت هم مَن ذكرنا من ذرية الرسول ﷺ وقرابته وزوجاته ﷺ. وسياق الآيات يدلُّ على ذلك، فإنّ هذه الآية لا تنفصل عن السياق الكلي، ومَن فصلها فقد تعدى على النص، وتحكّم في النص.

قد يتساءل أحدهم لماذا قال الله: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً). لماذا قال: عنكم، و لم يقل: عنكنّ، بما أن الخطاب كان عن النساء؟

والجواب: إنه لما ذكر مسألة الأحكام الشرعية، استعمل نون النسوة، لأنه خاطب النساء، فلما أتى في باب البر والنفع، والمنفعة والرحمة عمّ.

وكما ذكرنا فإنّ القاعدة المعروفة في الأصول، هي أنه إذا ذُكر الرجال والنساء، فإنه يُغلّب ذكر الرجال.

إن من أحقِّ الناس بالتطهير زوجاته ﷺ، مع قرابته ﷺ، فإنه لا يرضى ﷺ إلا بالتطهير، والله أراد أن يطهّر زوجاته مع أهل بيته فامتنّ الله على رسوله بهذا، فمن أسباب التطهير أنه منعهنّ من إتيان الفاحشة، وترقيق الصوت –آداب –ثم لما أتى بالأحكام، أتى بالنتيجة فبينّ المراد من الأحكام التي هي منع الفاحشة، والتي هي المنع من الخضوع بالقول، وغير ذلك.

أمّا الطلب: الْزَمْنَ بيوتكن بأدب وحشمة.

ما المطلوب: قال: إنما يريد الله – بهذه الآداب – أن يُذهب عنكم الرجس أهل البيت.

ولذلك تُقرأ: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ معناها: إنكنّ إن اتقيتنّ فلستنّ كأحد من النساء، إنكنّ سوف تكنّ متفوقات، ولكُنَّ الأجر العظيم.

وتُقرأ: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾، ثم تبدأ تقول: ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾، هذا له معنى، وهذا له معنى.

آراء في تفسير آية التطهير في سورة الأحزاب

الهاشمي: في هذا المجال إذن، ينبغي أن أعرض عليك ونحن نحاول أن نحدّد هذه المعاني، اعتراضات، أو تفسيرات أخرى، ونصوصا، يتم إيرادها لتقديم معان مغايرة لما ذكرتَ.

سوف أقرأ عليك من كتاب (معالم المدرستين) للسيد مرتضى العسكري، ولديه تأويل وشرح آخر لهذه الآية، أود أن أعرضه عليك حتى تشرح الأسباب التي تجعلك لا تقبل بتأويله لهذا الأمر.

يقول فيه: أخبر الله سبحانه وتعالى بأن أهل البيت هم: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، معصومون من الذنوب في قوله تعالى:(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً).

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: لما نظر رسول الله ﷺ إلى الرحمة هابطة، قال: ادع لي، ادع لي. فقالت صفية: مَن يا رسول الله؟ قال: أهل بيتي، علياً وفاطمة والحسن والحسين، فجيء بهم فألقى عليهم النبي ﷺ كساءه، ثم رفع يديه فقال: اللهم هؤلاء آلي، فصلِّ على محمد وآل محمد. وأنزل الله عز وجل: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً).

وفي رواية أم المؤمنين عائشة: إن الكساء كان مرطاً مرحلاً من شعر أسود.

وفي رواية الصحابي واثلة بن الأصقع: أن رسول الله ﷺ أدنى علياً وفاطمة وأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً، كلّ واحد منهما على فخذه.

وفي رواية أم المؤمنين أم سلمة قالت: نزلت هذه الآية في بيتي: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ)، وفي البيت سبعة: جبريل وميكائيل عليهما السلام، وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، وأنا على باب البيت، قلت يا رسول الله: ألستُ من أهل البيت؟ قال: إنَّكِ على خير، أو إنَّكِ إلى خير، إنك من أزواج النبي عليه الصلاة والسلام.

طبعاً المصادر مذكورة هنا، مثلا الحديث الأخير ينسبه إلى رواية أم سلمة في تفسير الآية في تفسير السيوطي، ورواية أخرى في صحيح الترمذي، وأخرى في مستدرك الصحيحين، وأخرى في مسند أحمد، ومن قبلها إذا اقتضى الأمر سوف أعطيك مثلاً الحديث الذي قبلها وهي قول لواثلة يذكر أنه موجود في سنن البيهقي. رواية في مجمع الزوائد، وابن جرير، والسيوطي، في تفسير الآية من تفسيرهما، وأسد الغابة. على كل إذا احتجت نأخذ ونعطي في المصادر المذكورة في الكتاب، فما قولك؟

القرني: أولاً: قوله: إنّ الذين ذكرهم ﷺ من أهل البيت، معصومون من الذنوب، فعند أهل السنة لا معصوم إلا محمد ﷺ.

لا يقصد بالتطهير أن الله أراد أن يطهرهم من فعل الذنوب، الآية ليس فيها دليل على ذلك.

أراد الله سبحانه أن يطهرهم ويزكّيهم ويرفع منزلتهم، لكنّهم ليسوا معصومين، كمحمد ﷺ.

الذي رواه مسلم، وهو (حديث الكساء) قال في فضائل أهل البيت: خرج الرسول ﷺ غداة، وعليه مرط مرحل ذي شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال:(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً). هذا الحديث فيه مسائل:

أولاً: لا يقتضي هذا الحديث أن غير المذكورين في الحديث لا يدخلون فيه؛ وهذا معلوم من اللغة، ومن الشريعة. لو قلت لي: إنّ لي أخوة: محمد وعلي وصالح،فهذا لا يقتضي أنه ما عندك أخوة غيرهم.

«إنّ لله تسعة وتسعين اسماً»، هذا لا يقتضي أنه سبحانه ليس له أسماء أخرى. فقد صحّ في الحديث عنه ﷺ أنه قال: «اللهم إني أسألك بكلِّ اسم هو لك، سمّيت به نفسك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أو علّمته أحد من خلقك.». الحديث المعروف. فدل على أن لله أسماء أخرى.

ثانياً: هذا الكلام فيه حجر لنعمة الله سبحانه وتعالى، و«الاختصاص بالمكرمة لا يعني نفيها عن الغير»، وهذه قاعدة مهمة أصولية، فالرسول ﷺ لما ذكر هؤلاء لا يعني أنه أخرج غيرهم، وأنهم ليسوا من أهل البيت.

ثالثاً: أقول: أين عليّ بن الحسين زين العابدين؟ هل هو من أهل البيت؟ لأنه لم يُذكر مع هؤلاء الذين ذُكروا في الكساء، أين جعفر الصادق؟ أين بقية أهل البيت من الأئمة الاثنا عشر، وغيرهم، ليسوا مذكورين.

فعلى مذهب من قال ذلك؟ إذن ما دام هؤلاء ما ذُكروا ودخلوا في أهل البيت، فنساء رسول الله ما ذُكروا، ويدخلون في أهل البيت.

ثم أقول: إن إدخال هؤلاء في الكساء، إنّما هو زيادة الاعتناء بهم، وإلّا فرسول الهدى ﷺ، ذكر أهله ﷺ وذكر أزواجه ﷺ في التحيات وذريته، في أحاديث صحيحة، فدلّ على أنّ (حديث الكساء) لا يعني إخراج غير هؤلاء من أهل البيت، بل يدخلون معهم بالأدلة التي ذكرتها لك، وهذا الكلام اتفق عليه أهل السنة جميعاً. و لم يخالف إلا من عنده رأي ضعيف أو استدل بحديث ضعيف؛ ولذلك هذه الروايات ضعيفة لأنها في أسد الغابة، ومستدرك الحاكم. والواجب أن يأتي بحديث مسلم، ويشرحه كما شرحه أهل الحق، وأهل الإنصاف.

الهاشمي: إذن أهل السنة بشكل عام اعتمدوا التفسير الذي قدّمته أنت.

هل القول الشائع المعتمد لديك، ولدى مَن قرأت لهم، إن قول الله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) مرتبط بالآيات الموجَّه الخطاب فيها إلى نساء النبي، أم أن هذا المقطع من الآية نزل لوحده منفصلاً عنها؟

القرني: أثار بعض المؤلفين أنّ هذه الآية نزلت لوحدها، وأن الترتيب كان فيه سبق، و لم يرتّب القرآن ترتيباً، فأُقحمت (آية التطهير) إقحاماً،

وقد ذكروا ذلك في بعض المراجع، منها: (البحار ومحجة العلماء، وفصل الخطاب، والحدائق النضرة)[١]، يقول: أُقحمت هذه الآية (التطهير)، ووضعوها في موضعها، وزعموا أنها تناسبه.

لو أخذنا بهذا الزعم، فإنّ هذا الاحتمال يدخل في كل القرآن، فسوف نقول: لعلّ الآيات التي في آخر (آل عمران) إنما وضعت إقحاماً. هذا كلام خطير، هذا الكتاب مُنزل من عند الله ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(فصلت:٤٢)، أُحكمت آياته وفُصِّلت ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ﴾(فصلت:٤٢)، والترتيب للآيات فيه توقيفي، النبي ﷺ هو الذي رتّب الآيات، بوحي من الله، و لم يترك الاجتهاد للأمة.

ثم لماذا فتح باب الاحتمال، لأنه لما أعجزه الدليل، وجد أن آية التطهير وسط كلامه سبحانه وتعالى عن نساء النبي ﷺ، فأراد أن يُخرج النساء من أهل البيت، فقال: لا، هذه الآية لعلّها أُقحمت، لعلّها؟ هل القرآن بالاحتمال؟ هذا كتاب نزل مُحكما معصوما من الزيادة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(الحجر:٩)، ولو أخذنا بهذه القاعدة سوف يبطل عندنا الاستدلال بالقرآن، وسوف نقول: لعلّ هذه الآية إنما وضعت هنا، ولعلّ.

الهاشمي: ذكرت قبل قليل الآيات التي تجعل الزوجة من أهل البيت. مثل قوله تعالى في سورة طه: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩) إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طه٩-١٠]. وأهله هنا بمعنى زوجته.

---

(١) انظر : البحار ومحجة العلماء ١٦٣، وفصل الخطاب ٣٢٠ ، والحدائق النضرة ٢ / ٢٩٠

لكن هناك من يقول: إن (حديث الكساء) الذي ذكرته، ورواه الإمام مسلم، فيه منطق، لأن الرجل قد يطلّق زوجته، فلا تبقى من أهل بيته،أي يستطيع أن ينفصل عنها، لكنّه لا يستطيع أن ينفصل عن ابن عمه مثلاً، عن ابنته، عن أحفاده، أو عن حفيديه، كما هو الحال في (حديث الكساء)، ومن يعتمده لحصر أهل البيت في سيدنا علي والسيدة فاطمة رضي الله عنهما وفي الحسن والحسين رضي الله عنهما.

القرني: ليس هناك ذكر لعلي ولا لفاطمة، ولا للحسن والحسين، في الآيات، إنما ذكر نساء النبيّ في سورة الأحزاب، فكيف يأتي بكل أهل البيت يدخلون أما المذكورون هنا، وهم نساء النبيّ عليه الصلاة والسلام فلا يدخلون في أهل البيت؟

يقول الحافظ ابن كثير: بل هذه تدخل دخولاً أولياً، في أنها نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت هنا، لأنهنّ سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً، إما وحده على قول، أو مع غيره على الصحيح.

إلى أن قال:إنّ الذي لا يشك فيه كل من تدبّر هذا الكلام أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله:(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)[١] .

نحن نقر أن الخمسة المذكورين هم من أهل البيت، لكن الله سبحانه وتعالى في سياق الآيات عن نساء النبي عليه الصلاة والسلام لم يُخرجهن من أهل البيت، فلماذا نُخرجهم، ونقول: لا، ما هم بمقصودين. لماذا؟

(١) انظر تفسير سورة الأحزاب، في تفسير ابن كثير ٣/٤٨٣.

الله سبحانه وتعالى خاطبهن وأمرهن ونهاهن، ثم قال: بعد الخطاب والأمر والنهي (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)، بماذا يذهب الرجز عنهم؟ بـ (اتقين الله) و (لا تخضعن بالقول) و (قرن في بيوتكن) ولا يأتين الفاحشة، ويقمن الصلاة، ويؤتين الزكاة، ويطعن الله ورسوله، فإذا فعلن ذلك يذهب الله عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً، وهذا الموافق للعقل وللنقل ولسياق القرآن، ولمن تدبّر كتاب الله سبحانه وتعالى.

الهاشمي: ألا يبدو لك أن هناك نوع من التعارض. نحن الآن نبحث في كل الاحتمالات بين هذا التفسير وذاك التأويل.

إنّ ظاهر النص القرآني واضح أن الآية هي جزء من آية، هي مقطع من آية، وليست آية كاملة، بدايتها واضح فيها أن الخطاب موجه لنساء النبي عليه الصلاة والسلام، وكذلك الآية التي تليها مباشرة، الخطاب فيها موجّه لنساء النبي، فظاهر الأمر يدل أن هذا الكلام معني به نساء النبي بشكل مباشر لكن (حديث الكساء) في صحيح مسلم يعطي تفسيراً آخر، أي إن النبي ، يعطي التفسير المعتمد، إذن ما دام هو صاحب الشريعة، بمعنى أنه هو الرسول المكلف بإبلاغ الوحي للناس. فكيف تجيب على هذه المسألة؟

القرني: أجيب عليها أن رسول الله ﷺ لم يحصر هؤلاء فقط، و لم يقل هؤلاء فقط، ولا يدخل غيرهم فيهم، لأنه لا يعني اختصاص بعض الناس بالمكرمة، حرمان بعضهم الآخر.

الخلفاء الراشدون. أو العشرة المبشرون بالجنة، هل غيرهم لا يدخل الجنة. ذكرتُ لكم أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين، أمَا عند الله سبحانه وتعالى أسماء أخرى غير هذه التسعة والتسعين؟ بلى.

فقضية أن رسول الله ﷺ أتى بهؤلاء وقال: أهل بيتي. لا يقتضي إخراج غيرهم من أهل البيت كما أسلفت لك. كيف وقد أتى نص محكم في ذلك؟ ماذا نفعل بالآية هذه التي ما نُسخت، سماهم الله سبحانه أهل البيت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت).

الهاشمي: إذا قيل لك: إن الحديث يُفسر الآية. إذا قيل لك: إن حديث الكساء في رواية الإمام مسلم، هو الذي يفسر الآية، أو هذا المقطع من الآية.

القرني: [تفسير العموم لبعض أفرادهم، لا يقتضي إخراج الأفراد الآخرين من ذلك]، هذه (قاعدة أصولية).

و[اختصاص المكرمة لا يقتضي حرمان الآخرين من المكرمة].

وأهل بيت رسول الله ﷺ الذين أُمروا بالتطهير هم زوجاته ﷺ.

هل سمعت أن الحسن والحسين في السياق أُمروا بشيء، ثم قال الله: (لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ)، ثم نأتي بالخمسة ونقول: هؤلاء المقصودون فقط، أما عائشة وأم سلمة وزينب. فلا.

مَن المخاطب إذن؟ في قوله: واتقين الله، ولا تخضعن بالقول، وأطعن الله ورسوله؟.

الهاشمي: لنتأكد من مسألة التطهير، ومسألة معنى ذهاب الرجس، أقرأ عليك من قول الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١٠-١١].

ما التطهير الذي ناله الصحابة هنا؟ نحن نتكلم عن غزوة بدر، وقريش تصر على الحرب، والقرآن الكريم يذكر هنا نعم الله عز وجل على أهل بدر، الذين كانوا قلّة، في وجه طغمة كبيرة من المستبدّين. الله سبحانه وتعالى يقول: إنه أنزل عليهم من السماء ماءً ليطهرهم به، فهل طُهّروا بذاك الماء، وهل ذهب عنهم رجز الشيطان؟ هل تحقق الوعد لهم في تلك اللحظة أم لا؟

القرني: تحقق الوعد بكلام الله عز وجل، والتطهير معنوي وحسي.

يقول أهل العلم: إنه حصل لهم هذا وهذا. فالحسي: لأن بعضهم كان عليه جنابة كما ذُكر في التفسير، وتوضئوا من الماء، لأن الله ذكر نزول الغيث من السماء فحصل لهم هذا، وحصل التطهير من النفاق، لأن من حضر بدر بُرِّئَ من النفاق. وقد اطلع الله أهل بدر، وقال: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

ولذلك تجد ابن جرير، وابن كثير، ذكروا التطهير الحسي أكثر، وإلا

فأنت لمحت إلى رأي آخر ذكره العلماء والمفسرون وهو رأي جميل وهو: التطهير المعنوي، من النفاق والريبة، ومن الشك.

الهاشمي: ذهاب رجز الشيطان عن هذه الفئة من المؤمنين الموحدين، الذين لو أُبيدوا آنذاك، لما وُحِّد الله بعد ذلك.

هكذا كان دعاء النبي ﷺ وهو يخشى عليهم، هل نفهم هنا أن الله عز وجل أنعم على هؤلاء المسلمين، وهم ثلاث مئة وأربعة عشر مؤمناً حراً حضروا تلك الموقعة، بالطهارة المادية؟ لكن ما الذي يمنع الإنسان أن يفكر بالطهارة بالمعنى المعنوي؟ ثم كيف نفهم أن الله أذهب عنهم رجز الشيطان. بأي معنى؟

القرني: لابد أن نعرف أن أهل بدر لهم فضل، وإلا لو لم يكن لهم فضل لتساووا مع غيرهم؛ من فضلهم عند أهل العلم، الآيات التي وردت في سورة الأنفال، هذا الفضل العظيم: الطهارة، الطهارة الحسية وهذا الذي عليه الجمهور. والطهارة المعنوية.

وإذا أذهب الله عنهم رجز الشيطان، معناه أنّه أذهب عنهم وساوس الشيطان. وقالوا: أذهب عنهم الشك في رسالته ﷺ. وقالوا: غير ذلك.

الهاشمي: أريد أن أصل إلى أنّ الآيتين فيهما عبارات متشابهة (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ). وهنا العبارة (وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً). كيف نفهم التطهير في أهل البيت؟.

القرني: فُسرِّ الرجز بالشرك، وفُسرِّ بالفاحشة، وفُسرِّ بالإثم عموماً،

وبالأفعال القبيحة، وبلا شك إنّ الله تعالى طهّرهم من ذلك ونقّاهم وصفّاهم، ولا يقتضي تنقية المؤمن والمسلم، العصمة. التي يستدل بها بعض الناس، فحصلت التنقية للصحابة في بدر، وحصلت لأهل البيت.

لكن يبقى الفضل لأهل البيت والقرابة على الصحابة. لأن القرابة منهم أهل البيت، اختصّوا بأنّا نصلي عليهم مع الرسول ﷺ والصحابة، وأن الزكاة لا تدفع لهم، بينما تُدفع للصحابة، وأنّ حبهم في حب الرسول ﷺ، حب القربى لقرابته ﷺ، وأن لهم من الخمس المغرم والفيء، فهذه خصائص القرابة التي تدل على أن القرابة أفضل عندنا من الصحابة، فنحن نفضّلهم هذا على العموم، وإلا فبعض أفراد الصحابة أفضل من بعض أفراد القرابة.

الهاشمي: نستقبل الآن بعض المكالمات الهاتفية من المشاهدين الكرام.

محمد(١): سؤالي: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً (٨٢) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً (٩٢) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً (٠٣) وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً (١٣) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ

---

(١) مداخلة من الأخ محمد الأمين السالك من موريتانية .

فَيَطْمَعَ الَذي في قَلْبِه مَرَضٌ وقُلْنَ قَوْلاً مَّعْروفاً (٣٢) وقَرْنَ في بُيُوتِكُنَّ ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهليَّة الأُولَى وأَقِمْنَ الصَّلاةَ وآتِينَ الزَّكَاةَ وأَطِعْنَ اللَّهَ ورَسُولَهُ إنَّمَا يُريدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً (٣٣) واذْكُرْنَ مَا يُتْلَى في بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ والحِكْمَةِ إنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً ﴾[الأحزاب٣٣/٢٨-٣٤].

سياق الآيات يدل على أن نساء النبي داخلات في الذين أذهب الله عنهن الرجز.

القرني: أنت وافقتنا، ووافقت القول عند أهل السنة، أنهم يدخلون في ذلك، لأن الله تعالى نص على أنه يريد أن يذهب عنهم الرجس، ثم سماهم أهل البيت فنقول نحن: بأي حق نريد أن نخرجهم من أهل البيت؟ القرآن نص على أن زوجاته ﷺ من أهل البيت بالسياق، فأحسنت على فهمك.

عبد العزيز(١): التساؤل الأول: المستغرب أن كثيراً من المسلمين عندما يذكرون يزيدا يترضّون عنه، ونحن نعلم أن الحسين قُتل في خلافة يزيد.

التساؤل الثاني: إنّ جعفر الصادق من ذرية علي، والأئمة الأربعة تتلمذوا على يديه، فبطريقة غير مباشرة هم تلامذته. فلماذا لا يكون هو المرجع لنا؟

القرني: أما ما ذكرته مِن لعن مَن قتل الحسين، فقد قاله أئمة الإسلام، وقد ذكرته معلناً ذلك عن ابن تيمية وقد ذكره في (فتاويه)، قال: «لعنةُ الله

(١) مداخلة من الأخ عبد العزيز من الدنمارك.

وملائكته والناس أجمعين على من قتل الحسين، وعلى من أشار بذلك، ومن رضي بذلك».

وهذا الذي نعتقده، فإنّ من أعظم المصائب التي حلّت بنا، قتل ابن بنت رسول الله ﷺ، ويجب علينا إذا سمعنا هذا أن نقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون». وإلّا فأين غيرتنا وحبنا لمحمد ﷺ؟

أما ما ذكر عن يزيد، فإنّ بعض الناس والأخوة يقولون لي: إننا نترضى عن يزيد، وإننا نحبّه، ولا نبغضه. يزيد عند أهل السنة: ظالم، لا نحبه. ولا نروي عنه، وهذه كتب أهل السنة طافحة بذلك.

قال ابن حجر في (التقريب) عن يزيد: ليس بأهل للرواية.

لكن نحن ليس من منهجنا اللعن، وخاصة لعن المسلم، هو مسلم بالجملة، قَدِمَ على الله بظلمه، هو وغيره. ماذا نستفيد من لعنه، وسبّه؟ نريد أن يميّز الناس هذا؟

الله لا يسألنا يوم القيامة لماذا لم تلعنوا يزيدا؟ الله لا يتعبّدنا بلعن الناس، لكن يسألنا لو تولّينا يزيدا، ورضينا بأفعاله الشنيعة، التي لا نقرها بلا أدنى شك.

في الإسلام وُجِد ظَلَمَة، ووُجِدَ فَسَقَة، ووُجِدَ سفاكون. لكن نحن نتكلم بالميزان، بعلم الجرح والتعديل، لا بالتكفير، واللعن.

أمّا فيما يخص الإمام جعفر الصادق فإنّا نعدُّه من الأئمة، وقد روى عنه الإمام مالك، وهو أحد أئمة الإسلام الكبار، وهو صادق على اسمه،

ونتولاه ونحبه ونستفيد منه، لكننا لا نلغي الأئمة، أئمة العلم، وأئمة السنة.

أبو زهرة لّما ألف كتبه عن: الإمام الشافعي، الإمام جعفر الصادق، الإمام أبو حنيفة، الإمام مالك، جعل لكلّ واحد من هؤلاء ميّزة، فنحن نتولاه بلا شك، ونتولى محمد بن الحنفية، ونتولى أئمتهم، رضوان الله عليهم، ونرى أنهم على صواب، ونتولى زيد بن علي، مع العلم أن بعض أتباعه يتبرءون منه، ويرفضون رأيه، ونحن نتولاه، يقول ابن الرومي:

أزيـــد الـعــلا لـهـفـي لمــشــواك لـهـفـة

يـبـاشـر مـكـواهـا الـفـؤاد فـنّـضـجُ

عبد الله[1]: كثير من المسلمين يقولون: إنّنا نحب أهل البيت سلام الله عليهم، لكن يجب أن يكون ذلك دليلاً على اتباعهم، صلاة الله وسلامه عليهم.

قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(آل عمران: ٣١) ،فيجب على المسلم أن يحب أهل البيت، وأن يتبعهم كذلك، بما هو ثابت عنهم بالأسانيد الصحيحة، فإن الحب لوحده لا ينفعهم، بل إن أهل البيت سلام الله عليهم يتبرءون ممن يحبهم بهذه الطريقة.

روى الكليني محادثة بين أبي جعفر عليه السلام، وبين جابر. قال يا جابر: «أيكتفي من ينتحل التشيع، أن يقول بحبنا أهل البيت؟ فوالله

---

(١) مداخلة من الأخ عبدالله الخضير .

ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه. إلى أن قال: وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكفّ الألسن عن الناس، إلا من خير»، وقال أيضاً: «يا جابر، لا تذهبنّ بك المذاهب حسب الرجل، أن يقول: أُحبُّ علياً وأتولاه، ثم لا يكون مع ذلك فاعلاً، فلو قال: إني أحب رسول الله ﷺ فرسول الله ﷺ خير من علي عليه السلام، ثم لا يتبع سيرته، ولا يعمل بسنته، ما نفعه حبه إياه شيئاً، فاتقوا الله، واعملوا لما عند الله»[١].

الهاشمي: إذا أعدنا صياغة الكلام السابق بصراحة فإن مراده هو القول: يا أهل السنة، إن كنتم تحبّون أهل البيت فاتبعوهم؛ لماذا تتبعون مالكاً، وأبا حنيفة، وابن حنبل، والشافعي؟ اتبعوا أئمة أهل البيت.

القرني: نحن أهل السنة إمامنا واحد ﷺ، نحن نتبع الرسول ﷺ، ونعتقد أن مالك والشافعي وأحمد وأبا حنيفة وجعفر الصادق بشر، يخطئون ويصيبون، وأنهم ليسوا معصومين، بل صرح بعضهم بعدم الاقتداء بهم، ومنع بعضهم الاتباع، قال: لا تأخذوا برأيي إذا خالف السنة، واضربوا به عرض الحائط.

وقال مالك: ما منّا إلا راد، ومردود عليه، إلّا صاحب هذا القبر ﷺ.

المسلمون أكثر من مليار، نحن كلنا من جاكرتا إلى موريتانيا، أجمعنا على ألا نتبع إلّا صاحب المنهج ﷺ.أهل البيت في عيوننا لكنهم ليسوا أنبياء.

---

(١)انظر الكافي للكليني ٢/ ٧٤ .

في القرآن نصّ الله سبحانه على رجل واحد، يقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(آل عمران: ٣١)، يتبعوا من؟ محمد ﷺ.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١) محمد ﷺ.

وقال ﷺ: «خذوا عنّي مناسككم». لم يقل: لا عن أهل البيت، ولا عن مالك، ولا الشافعي، ولا أحمد. هؤلاء فهموا النصوص، فنأخذ بفهمهم أحياناً. لكن أنا أخالف أحمد بن حنبل أحياناً، أخالفه في مسائل. وأنا أفتيت بالمذهب الحنفي وأنا طالب علم. وقلت: الشافعي أخطأ في هذه المسألة. وقلت: مالك أخطأ في هذه المسألة. ويجوز لنا ذلك.

الهاشمي: مالك، إمام مهم عند أهل المغرب العربي، والشافعي، وآخرون. لكن هم من الناحية التكوينية، والبدنية، بشر مثلنا. أليس كذلك؟ .

القرني: يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، وينامون مثلما ننام. وهم أصلاً خلعوا القداسة عنهم.

قال أحدهم لطلابه الذين يمشون خلفه: والله لو تعلمون ما عندي من الذنوب لحثيتم على وجهي التراب.

وتبرأ آخر ممّن يعتقد أن أقوالهم صواب لا تحتمل الخطأ. نحن لا نقدس هؤلاء، بل ربما نخالفهم في مسائل.

وقال الإمام أحمد: لا تأخذ من الأوزاعي، ولا من ابن المبارك، ولا من مالك. هؤلاء لم ينزلوا من السماء عليك بالأصل(١).

ونصّ الإمام الذهبي في نصوص كثيرة على أنهم قالوا: نريد النص(٢).

سفيان الثوري يقول: ما جاءك من الكتاب والسنة فخذه، وما سواه وما خالف ذلك فضعه في الحش –يعني في دورة الخلاء–.

في الكلية درسنا في (أصول الدين)، وكنا نخالف أحمد بن حنبل، ونقول: هذا الرأي خطأ، والكلام الذي استدل به الإمام أحمد على جلالته خطأ، وقد أخطأ في استدلاله بهذا الحديث، وغيره أصح منه.

ألّف ابن تيمية كتاباً سمّاه (رفع الملام عن الأئمة الأعلام)، يقول فيه: الأئمة ليسوا معصومين، وآراؤهم تُقبل إذا وافقت الدليل.

المالكية والشافعية والأحناف والحنابلة كلهم يقولون: إذا خالف الدليل رأي صاحبنا وإمامنا خالفناه، واتبعنا الدليل من الكتاب والسنة.

الهاشمي: إذن أنت قصدك أن الأولى بالإتباع هو سيّد أهل البيت.

القرني: سيّد أهل البيت هو محمد ﷺ الذي أرسله الله سبحانه وتعالى إلينا. لم يرسل إلينا إلا رسولاً واحداً، وهو معصوم ﷺ، يقول: «صلوا كما رأيتموني أصلي». ويقول: «من رغب عن سنتي فليس مني».

(١)انظر كتاب (الآداب) لابن مفلح الحنبلي .
(٢)انظر سير أعلام النبلاء .

لماذا لم يقل: من رغب عن سنتي، وسنة جعفر الصادق، وأهل البيت، ومالك، والشافعي، فليس مني؟ قال: لأنه بُعث برسالة واحدة، وإن تُطيعوه تهتدوا. وهو محمد ﷺ.

الإمام جعفر الصادق قد يخطئ، وليس معصوماً عندي، جعفر الصادق عندي أفضل من مالك للقرابة، والشافعي من أهل البيت بلا شك، وأفضل من أحمد، لكنني لا أجعله معصوماً.

أبو بنان[(١)]: الأمر الأول:. المطلوب – إن أمكن – ألّا تستشهدوا بدليل إلّا على لسان آل بيت رسول الله، وعلى رأسهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

الأمر الثاني: فيما يخص يزيد، ولماذا لا نلعنه، لأنه حرّض على قتل الحسين؟

أقول: أتمنّى أن يأتي أحدكم برواية واحدة، أنّ يزيد أمر بقتل الحسين، بل الرواية الواردة عن أهل البيت، من كتاب (الاحتجاج)، قال يزيد، لزين العابدين: «.والله ما أمرته بقتل أبيك، ولو كنتُ متولياً لقتاله، ما قتلتُه، ثم أحسن جائزته وحمله والنساء إلى المدينة»[(٢)].

عبد الله[(٣)]: أوّلاً: الذين يحبون الرسول عليه الصلاة والسلام وآل البيت، هم حقيقة أهل السنة، لأنّ من يتبع هو من يحب.

(١) مداخلة للأخ أبو بنان، من سويسرا .
(٢) انظر (الاحتجاج) للطبرسي ٢/ ٤٠ . ويعد كتاب الاحتجاج من المصادر الهامة عند الشيعة .
(٣) مداخلة للأخ عبدالله المفلح من القصيم .

ثانياً: نساء النبي رضي الله عنهن أمهات المؤمنين مُنِعْنَ من الزواج بعد الرسول عليه الصلاة والسلام لأنهنّ مطهرات، ولأنهنّ من أهل البيت.

القرني: أوّلاً: قد يحصل إقرار الحق بلا مهاترات وسب من الجانبين، أي إقرار الحق بالدليل.

ثانياً: الاتباع هو مناط الحب، نحن نتبع محمد ﷺ وننادي الناس لاتباعه، وليعلم الناس جميعاً أن أهل السنة مما قرأنا ودرسنا واستوعبنا، إننا نُشهد الله على حب قرابة الرسول ﷺ وإنّنا نقدّمهم على الصحابة، وإنه ليس هناك خلاف بين الصحابة والقرابة، بل أثنى القرابة على الصحابة، وأثنى الصحابة على القرابة، وإنه ليس هناك إلا ودّ ومحبة.

إن الذي يسمع الكتب الدخيلة على الإسلام، يظن أن هناك عصابات في المدينة، وكأنّ الصحابة يتربّصون بالقرابة، والقرابة يتربصون بالصحابة.

أين تلك النصوص التي أظهرت أن ذاك الجيل أحسن جيل، وأنهم أهل ألفة ومحبة، وأهل تناصر وتعاون؟!

عايض الدوسري[1]: أشكرك يا دكتور محمد على اختيار هذا الموضوع، وأتمنى من الأخوة ألا يستعجلوا في بعض مداخلاتهم المتحسسة، ويُجيرّوا آل البيت لفريق دون فريق، فآل البيت رضوان الله عليهم والصحابة، هم تلاميذ في مدرسة محمد ﷺ، ومحمد ﷺ هو نبيٌّ

(١) مداخلة للشيخ الداعية عايض الدوسري، أستاذ العقيدة في جامعة الملك سعـود- الرياض .

لجميع المسلمين. اجعلوا آل البيت الخطوة الأولى لتوحيد الأمة الإسلامية. واستمعوا وتعلّموا فهذه جامعة طيبة، تزوّدكم بمعلومات موثقة.

لنتعلم فن الاستماع وفن الإنصات، ونحاول أن يخطو كل فريق خطوة نحو القرابة، ونحو الصحابة، ونجتمع إن شاء الله على سنة النبي ﷺ وعلى آله وصحبه.

وإن شاء الله يكون هذا الكلام اللبنة الأولى والخطوة الأولى، في طريق توحيد المسلمين على محبة هذا البيت الطاهر، وعلى الصحابة رضوان الله عليهم، فأتمنى من إخواننا جميعاً السنة والشيعة، ألا يستعجلوا ويتركوا للشيخ عايض الفرصة بطرح ما عنده. ولتعلموا أن أهل السنة راسخون في محبة آل البيت.

والله يا إخوان، إذا لم تجتمع قلوبنا على الصحابة، وعلى آل البيت، فعلى أي شيء ستجتمع؟ والصحابة وآل البيت هم عينا النبي ﷺ.

الغرب تفوّق على الشرق لأنه يُحسن الإنصات، فيا ليتنا نُرخي آذاننا ونسمع ونتعلم فن الإنصات والاستماع، فبعد أن نستمع بشكل جيد، وتكون عندنا بعض الأسئلة نطرحها، ولا نبيت شيء من البداية، وندخل بأشياء مُسبّقة.

الله سبحانه وتعالى يزكّي هذه الأمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠) ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾(البقرة: ١٤٣)، وعلى الرغم من ذلك، أنتم ترون ما يحصل في العراق، وفي بعض البلدان من تناحر طائفي، والله إنه يُبكي، ويجعل الإنسان المسلم الحر الغيور يبكي ألماً على ما وصل إليه حال الأمة الإسلامية.

لماذا تصيبنا الغيرة إذا علمنا أن أحداً أحب آل البيت؟ والله الذي لا إله غيره لو أعلم أن إنساناً غير مسلم يحب النبي ﷺ لازددتُ فرحاً، لأن هذه خطوة وإشارة لدخول الإسلام، فالمفترض أن الجميع يفرح إذا أتى شخص وقال وأعلن محبته للصحابة، أو للقرابة رضوان الله عليهم جميعاً.

أسأل الله سبحانه وتعالى كما جمع أمة النبي ﷺ صحابةً وقرابةً في عهد النبي ﷺ، أن يجمعهم في وقتنا الحاضر، على محبّة النبي ﷺ وعلى تلاميذ مدرسته رضوان الله عليهم من الصحابة والقرابة.

وأختم ببيت لشيخ الإسلام ابن تيمية حينما قال:

حب الصحابة كلهم لي مذهب
ومودة القربى بها أتوسل

هذه عقيدتنا، محبة كل الصحابة، ومحبة كل القرابة، رضي الله عن الجميع، وجمعنا الله بسيّدهم ونبيّهم ورسولهم وعظيمهم محمد ﷺ، وجزاكم الله خيراً.

القرني: أقول للشيخ الداعية الموفّق جزاه الله خيراً:

ليت الكواكب كانت تمتد لي
فأنظمها عقود مدح فما أرضى لكم كلم

وأنا ممتن له، وله مقامات مشهودة في نصرة الحق، وأحمل الود له ولإخوانه من العلماء والدعاة الشيء الكثير.

الهاشمي: نواصل الحوار في السهرة المقبلة بإذن الله.

السهرة الثانية

الهاشمي: بسم الله الرحمن الرحيم. نرحب بالمشاهدين الكرام إلى هذا البرنامج الحواري وإلى هذه الجامعة العلمية المفتوحة. وأرحب بالضيف الكريم الشيخ الدكتور عائض القرني.

تفسير الآيات العشر الأولى من سورة المؤمنون

نبدأ السهرة الثانية بهذه الآيات من كتاب الله الكريم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذينَ هُمْ في صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) والَّذينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) والَّذين هُمْ للزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) والَّذينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وراءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ (٧) والَّذينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) والَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُوْلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ ﴾ [المؤمنون ١-٩].

أوجه لك الدعوة دكتور عائض لتقديم تفسير موجز لهذه الآيات خاصة وأن لها علاقة بموضوع النقاش في هذا البرنامج.

القرني: الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الأخيار المباركين، وعلى من سار على هديه إلى يوم الدين.

أحسنت دكتور الهاشمي بهذه السُّنَّة الحسنة، أن تبدأ بكتاب الله عز وجل.

الله سبحانه وتعالى ذكر صفات الفائزين والمفلحين، يقول سبحانه وتعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ)، صفة عامة من صفات من أراد لهم النجاح والفوز، وسمّاهم بصفة الإيمان لأنها جامعة مانعة لكل صفات السعادة، فهو وصفهم سبحانه وتعالى بجزئية من جزئيات الدين، ولو وصفهم بشيء من أمور الدنيا فليسوا بتجار

والفلاح: هو إدراك كل مرغوب، والفوز بكل مطلوب، والنجاة من كل مرهوب. والفلاح: أن يصلوا بجوار النعيم المقيم في جنات النعيم بجوار الرحمن الرحيم، وهذه الأمنية الغالية التي ينبغي لكل مسلم يؤمن بالله عز وجل أن يجعلها في مخيلته، فليس عندنا فلاح آخر غير الفلاح الأعلى، وهو الذي طلبته آسية من الله﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ﴾(التحريم:١١). قال: قدّمت الجار والمجرور، لتطلب الجار قبل الدار فجعلها الله مثلاً للمؤمنين، وأقول لكل مسلم بكافة مذاهب أهل الإسلام وطوائف أهل الإسلام: إن كنت تظن أن لك هدف أسمى أو غاية أعظم

من أن تجاور الواحد الأحد في الفردوس فأحسن الله عزاءك في الإيمان.

ما الدنيا؟ ما ذهبها؟ ما قصورها؟

قرأتُ عن عالم من علماء الإسلام الكبار في القرن السادس أو السابع، دخل على السلطان السلجوقي، فقال له السلطان: إنّك تريد ملكنا. قال: ملكك والله ما يساوي عندي فلساً. قال: إني أريد جنّة عرضها السماوات. قال: وأين المفتاح. قال: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) فعندنا هذا المفتاح، مَن حمله دخل أبواب الجنة.

فنحن مهمّا اختلفت أجناسنا تحت ظل (قَدْ أَفْلَحَ). اسمع إلى أوصاف الذين ميّزهم الله سبحانه وتعالى، تدلك على أن هذا الكتاب جاء لسعادة الإنسان، وتهذيب الإنسان، ورقي المجتمع، ففيه حماية للضمير، وحماية للنفس، وحماية للمجتمع، حماية للدماء وللأموال، حماية للنفس، حماية لحقوق الإنسان.

من هم المؤمنون المفلحون: (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ)؟ تبدأ حياتنا بالصلاة نكررها نحن خمس مرات لأن فيها إحياء للضمير، واستيقاظا للقلب. من تربّى على الصلاة الخاشعة يصبح عنده تمسّك بالأخلاق، وشروق بالإيمان وأدب في التعامل مع الآخرين.

قال: (فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ)، لا يصلون لمجرد الصلاة، نحن في حاجة إلى صلاة خاشعة، يحضُر فيها القلب، ويُخشى فيها الرب سبحانه وتعالى، مُتدبر فيها القرآن. بهذه الصلاة الخاشعة تصطلح أمورنا، وتستقيم أخلاقنا.

لَم تكثر السرقات، والنهب والسلب، والقتل وسفك الدماء، والاعتداء على الآخرين، في بلاد الإسلام، لأن الصلاة فقدت خشوعها الذي يتصل فيها القلب بالله سبحانه وتعالى. ولذلك سلفنا الصالح يوم صلّوا صلاة خاشعة، فتحوا الدنيا بالعدل والسلام والإيمان.

يقول محمد إقبال شاعر الباكستان لما أتى مكة البلد الكريم:

نحن الذين إذا دعوا لصلاتهم والحرب

تسقي الأرض جاماً أحمرا

جعلوا الوجوه إلى الحجاز فكبروا

في مسمع الروح الأمين فكبرا

يقول: نحن إذا أذّن المؤذن جعلنا الوجوه إلى الحجاز، نحو مكة، فكبّرنا ونحن نفتح الدنيا بالسلام والعدل. وكبّر جبريل فتفتّحت أبواب السماء والجنة.

(والَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ)، كل الكلام الباطل من الفحش والبذاء الذي لا يخدم قضية الإسلام والإنسان في الدنيا والآخرة، معرضون عنه لا يستخدمونه فهم مهذبون حتى في صفاتهم سلام على الناس، لا يجرحون المشاعر، لا يسبّون، ولا يغتابون، لا يذكرون النميمة، لا يفسدون في المجتمع. الله سبحانه وتعالى بدأ بالقلب، بالصلاة الخاشعة، ثم أتى باللسان، فكل كلام لا يجدي يُعرضون عنه، ولا يستمعون إليه.

الإمام الشافعي لما قرأ هذه الآية قال:

لسانك لا تذكر به عورة امرؤ

فكلّك عورات وللناس ألسن

(والَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) لم يقل سبحانه: والذين هم للزكاة مزكّون، قال: فاعلون، لأنّ من فعل الزكاة أدّاها بسخاوة من قلبه، وحب لله سبحانه وتعالى، والزكاة هنا تنص على زكاة المال.

لكن عمّمها بعض الأدباء والعلماء، فقالوا: زكاة الجاه، كأن تشفع عند من لا يستطيع أن يرفع الشفاعة. زكاة العلم: إذا كان عندك علم. ومنها زكاة النوم: تتصدق بنومك على ضيفك إذا وفد عندك في المنزل. قال البخاري: باب السمر مع الضيف.

وزكاة المنصب، إذا تولى أحد من المسلمين أمرا من أمور المسلمين، زكاته العدل، وحبّ الرعية، والإنصاف في القضية، والعمل بالشريعة المرعية، التي أنزلها رب الأرض والسماوات، كما يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام: «من ولِيَ من أمر أمتي شيئاً فرفَق بهم فارفق به، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فشَقّ عليهم فشقّ عليه». وزكاة الثقافة الإسلامية نشرها .

يقول عبد الله البردوني الشاعر اليمني الكبير:

بشرى من الغيب ألقت في فم الغار

وحياً وأفضت من الدنيا بأسرار

(والَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ) هذه المسائل التي قد يُستحى منها،

يأتي بها القرآن، لكن بإعزاز وحشمة ولطف، فيتابع الإنسان حتى في أعضائه، ثم يصرف هذا إلى الحلال.

قال: (إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) مثلما تربّى القلب، وتربّى اللسان، وتربّى السمع، تتربّى كل جارحة.

قال سبحانه وتعالى: (فَمَنِ ابْتَغَى وراءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ العَادُونَ).

يقول أبو العباس: ما حرم الله شيئا إلا أباح من الحلال مثله وأضعافه وأحسن منه.

إن الله تعالى جعل الإنسان يعيش بالطبيعة، ويتمتع بالجمال، يتزوج، يأكل، ولذلك قصة الثلاثة الذين كانوا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم معروفة. قال الأول: أنا لا آكل اللحم، «أو قال: أصوم ولا أُفطر». وقال الثاني: لا أتزوج النساء. وقال الثالث: لا أنام الليل. فدعاهم رسول الله عليه الصلاة والسلام، صاحب الشريعة، صاحب الرسالة، قال: ماذا قلتم، فأخبروه، فقال: «أتقاكم لله أنا، وأعلمكم بالله أنا. أنا آكل اللحم، وأصوم وأُفطر، وأتزوج النساء، وأنام وأقوم (يعني من الليل)، فمن رغب عن سنّتي فليس مني». صدق عليه الصلاة والسلام.

يقول سبحانه وتعالى عمّن تبتّل وترك المتعة: (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم).

الإسلام دين بدن، دين روح، دين فطرة: ﴿فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ﴾(الروم: ٣٠).

فمن أراد غير هذا الحلال: (فَأُوْلَئِكَ هُمُ العَادُونَ)، الذين اعتدوا على حدود الله عز وجل.

ثم قال سبحانه: (والَّذينَ هُمْ لأمَانَاتِهِمْ وعَهْدِهِمْ رَاعُونَ)، الأمانات تشمل كل شيء، أمانة الكلمة، أمانة المال المُسَلَّم إلينا، أمانة المسؤولية، أمانة المنصب والعهد. أمانة العقد والوفاء به. ولذلك يأمرنا سبحانه وتعالى بأداء الأمانات إلى أهلها، ولا يؤديها إلا المؤمنون.

ثم قال تعالى: (والَّذينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) يقول: (الَّذينَ هُمْ في صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ) هنا فرق واضح، حين ذكر الخشوع والخضوع، قال: (في صَلاتِهِمْ)، أما المحافظة على أوقاتها الزمانية بحيث لا يؤخرونها عن أوقاتها، فقال: (عَلَى صَلَوَاتِهِمْ). فتجد المصلي مهتدياً دائماً، قلبه معلّق بالمساجد، وضميره حي، يتحرّى المؤذّن، دائماً يسأل متى يدخل الوقت.

سعيد بن المسيب، إمام التابعين الذي تحدى الظلم والبشاعة في المجتمع، والذي كان طوداً شامخاً، حين كان في سكرات الموت، وابنته فاطمة العالمة الربانية تبكي عليه، قال: «والله ما فاتتني تكبيرة الإحرام في الجماعة ستين سنة»[١].

ما جزاء من يلتزم بكل هذه التوجيهات الربانية: (أُوْلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ)، قال: الوارثون، لأن الوارث يستمر ميراثه فيما ورثه، كأنه ملك له، فلم يقل: الساكنون فيها. أما الدنيا فقد آلت إلى زوال.

(١) ذكره الحافظ الذهبي، وابن كثير.

لا تظن أن هناك راحة في هذه الدنيا، يقول شوقي:

كــل مــن لاقــيــت يــشــكــو دهــره

لــيــت شــعــري هــذه الــدنــيــا لمــن؟

و يقول الحريري:

دار مــتــى مــا أضــحــكــت في يــومــهــا

أبــكــت غــدا قــبــحــا لــهــا مــن دارِ

عبد الله ابن الإمام أحمد يسأله: متى يرتاح المؤمن يا أبتاه، قال: إذا وضع رجله اليمنى في الجنة، أما قبل فلا راحة.

قال تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ (١٠) الَذينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ﴾ (المؤمنون: ١٠-١١) لم يقل: عدن، ولا الخلد، ولا الجنة، ولا النعيم، إنّما الفردوس، لأنها أعلى المنازل.

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام في الصحيح: «إذا سألتم الله الجنة، فاسألوه الفردوس».

قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون: ١١)، ينادَون: إن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وتصحوا فلا تسقموا أبداً، وتخلدوا فلا تموتوا أبداً، وتغنوا فلا تفقروا أبداً، وتنعموا فلا تبأسوا أبداً، هذا حق الخلود في جنات النعيم:

فــاعــمــل لــدار غــدا الــرضــوان خــازنــهــا

الجــار أحــمــد والــرحــمــن بــانــيــهــا

قصورها ذهب والمسك طينتها

والزعفران حشيش نابت فيها

يقول الحسن البصري: فضح الموت الدنيا فلم يترك فرحاً. (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا).

الهاشمي: نعود لمكانة أهل البيت. كيف نجمع بين تميُّز أهل البيت من جهة، ومكانة الصحابة من جهة أخرى؟ وبين قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات:١٣).

القرني: إنّ الآية محكمة وإنّه سبحانه وتعالى جعل الفضل للتقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات:١٣)، بغض النظر عن أصله، وعن حسبه ونسبه.

«سلمان منّا آل البيت». منّا في المعزّة والمحبّة، والثقة والتقدير، ليس في الميراث والنسب، ونحو ذلك.

فلا تحسب الأنساب تنجيك من لظى

ولو كنت من قيس وعبد مدانِ

أبو لهب في النار وهو ابن هاشم

وسلمان في الفردوس من خرسانِ

الأمر الآخر في كتاب الله عز وجل، في موضوع التفاضل والمقام والمكانة الرفيعة، انظر إلى قول الله تعالى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾.

فانظر أين الأخلاء يعني الأقارب، الأحباب؟ كل هذه العلاقات لا قيمة لها في ذلك اليوم العظيم، إلا المتقين هم من ينال النجاة .

عن أمير المؤمنين ابن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: تزودوا من الإخوان، فإنهم عزّ في الدنيا وفي الآخرة.

قال أحدهم: في الدنيا عرفنا، لكن كيف يا أبا الحسن في الآخرة؟ فقرأ عليهم: (الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلاَّ الْمُتَّقِينَ) فدل على أن بعضهم ينفع بعض يوم القيامة في الشفاعة ونحو ذلك.

العباس بن عبد المطلب

الهاشمي: أشكرك على هذه المعاني الجميلة التي عرضتها في تفسير الآيات الكريمة من سورة "المؤمنون". ننطلق الآن ونواصل حوارنا المفصل حول مودة أهل البيت عند أهل السنة والجماعة. ما رأيك لو تعرض لنا بعض الأسماء البارزة من أعلام آل البيت مع نبذة مختصرة عن كل واحد منهم.

القرني: أهل البيت رضي الله عنهم وأرضاهم، من أعلامهم:

العباس بن عبد المطلب عم النبي عليه الصلاة والسلام، حمزة بن عبد المطلب عم الرسول عليه الصلاة والسلام، وابن عمه جعفر بن أبي طالب، وعليّ بن أبا طالب، أبو الحسن أمير المؤمنين، وعبد الله بن عباس،

والحسن والحسين ابنا علي رضوان الله عليهم ريحانتا الرسول عليه الصلاة والسلام في الدنيا وسيدا شباب أهل الجنة، علي زين العابدين، جعفر الصادق، فاطمة بنت النبي محمد عليه الصلاة والسلام، رقية بنت محمد عليه الصلاة والسلام، زينب بنت محمد عليه الصلاة والسلام، أم كلثوم بنت محمد عليه الصلاة والسلام، خديجة زوج الرسول عليه الصلاة والسلام، عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن أبيها، المبرأة من فوق سبع سماوات، الطاهرة بنت الطاهر، الصادقة بنت الصدّيق، حفصة بنت عمر رضي الله عنها، زينب بنت جحش زوج النبي عليه الصلاة والسلام، أم سلمة زوج النبي عليه الصلاة والسلام. وبقية أزواجه عليه الصلاة والسلام.

❁ العباس بن عبد المطلب، عم رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهو من أكبرهم سناً، ولو أن علياً أفضل، هو من أدهى وأفصح قريش. وهو من ساداتهم، ومن أذكاهم.

في عهد عمر رضي الله عنه قال: اللهم إنا كنا نستسقي برسولك عليه الصلاة والسلام، وهذا عم النبي عليه الصلاة والسلام، فقم يا عباس، فأخذ يدعو حتى نزل الغيث بإذن الله، والقصة صحيحة.

الشهيدان حمزة وجعفر

❁ ومنهم حمزة بن عبد المطلب، عم رسول الله عليه الصلاة والسلام، سيّد الشهداء، وهو أسد الله في أرضه، وهو الذي قُتل في أحد رضي الله عنه.

قال أحد الذين هربوا من كفار مكة: إنّ حمزة فعل بنا الأفاعيل يوم بدر. وقال أحدهم: والله ما رأيت حمزة ورأيت المشركين أمامه إلا ذكرت قول الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾(المدثر: ٥٠-٥١).

قُتل شهيداً في أحد رحمه الله، ولما رآه صلى الله عليه وسلم مقطعاً غضب وحزن عليه حزناً شديداً.

❁ ومنهم جعفر بن أبي طالب، ابن عم رسول الله عليه الصلاة والسلام، ذو الجناحين، الذي قدّم روحه في موئة شهيداً، مع زيد بن ثابت وعبد الله بن رواحة، رحمهم الله.

استبسل جعفر استبسالاً ما استطاع الصحابة أن يفعلوا فعله، فقُطعت يمينه، ثم يسراه، فاحتضن الراية بعضديه، وقال:

يـــا حـــبـــذا الجـــنـــة واقـــترابــهـــا

طـــيـــبـــةٌوبـــاردٌ شـــرابـــهـــا



والـــــروم روم قـــد دنـــا عـــذابـهـا

كـــافـــرة بـــعـــيـــدة أنـــســـابـــهـــا

قال النبي عليه الصلاة والسلام وهو على المنبر، وهم في ساحة المعركة: «يدخلون الجنة، على أسرَّة من ذهب».

الهاشمي: فيما يتعلّق بمؤتة، كان الروم يعدّون لحملة على المسلمين، وكانت دولة الإسلام تتعرض لحملة استئصال، القرشيون من جهة، وغطفان والأحزاب تريد استئصالها، وكانت استراتيجية النبي عليه الصلاة والسلام أن يُرسل حملة لمؤتة لإعطاء انطباع بأن هذه الدولة الوليدة ليست لقمة سهلة سائغة، يمكن أن يستهدفها كل طامع وغاصب معتد، فكانت حملة في الحقيقة لصد العدوان.

القرني: لماذا نحن نريد أن نبرر للعالم معاركنا مع العالم؟.

أولاً: معاركنا معارك عادلة، لأن الدول المجاورة كانت دول طاغية وباغية وظالمة.

ثانياً: لماذا نخجل من دولتنا الإسلامية التي قامت لتؤسس العدل والسلام في العالم قامت لزعزعة المستعمر المستبد، مع العلم أن دول العالم قامت هكذا. هل وُحِّدت أمريكا بالورود والزهور؟.

يقول أبو هريرة: والله ما رأيتُ أكرم من جعفر، والله كان يسمى: أبا المساكين، فكنا ندخل عليه، ويدخل عليه الفقراء، فكان بابه مفتوح. وكنّا نأخذ السمن والعسل والدقيق، ونعمل الخبز في بيته من كرم.

الهاشمي: جعفر رضي الله عنه هذا الشهيد السعيد الذي قدّم أجمل مرافعة في تاريخ الإسلام،عن الإسلام، أمام النجاشي ملك الحبشة، لّخص الرسالة، لّخص الأوضاع قبل الرسالة، ولّخص مضمون الرسالة.

له مكانة عظيمة عند رسول الله عليه الصلاة والسلام، لأنه يوم عاد من الحبشة، يوم فتح خيبر، قال: ما أدري بأيهما أسر، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟! وقد قبّله بين عينيه.

كان قريباً من النبي عليه الصلاة والسلام، لكنه لم يعش طويلاً، لم يحل عليه الحول من يوم عودته من الحبشة واستشهاده في مؤتة.

القرني: قدَّم صورة مشرقة ملخصة للإسلام، عند النجاشي ملك الحبشة، لما هاجر ومعه نفر من المسلمين، قيل: ثمانون من الصحابة رضوان الله عليهم مهجَّرون، هرباً من مكّة، فسمعت قريش بذلك، فأرسلت وفداً فيه عمرو بن العاص وحمّلوهم بالهدايا للنجاشي، فجمع النجاشي القساوسة والرهبان، وأدخل جعفر، وأدخل خصومه من قريش، وكان النجاشي منصفاً حكيماً وعادلاً. فتكلم كفار قريش وقالوا: إنهم سفّهوا أحلامنا، وسبّوا آلهتنا، وأتوا بدين جديد، وفعلوا وفعلوا.

فقام جعفر كأنه علم في رأسه نار في شبابه وطموحه وفصاحته، طبعاً هاشمي يتكلم في الموضوع. قال: إنّا كنّا في جاهلية جهلاء، نأكل الميتة، ونفعل الحرام، ونشرب الخمر، ونتقاتل فيما بيننا، ونقطّع أرحامنا. ثم بعث الله منّا رجلاً نعرف حسبه ونسبه وصدقه وأمانته، فأمرنا

بالصدق. وأن نعبد الله وحده لا شريك له ولا نشرك به شيئاً. فقال أحدهم: سلهم ماذا يقولون في عيسى ومريم؟

قال: ماذا تقولون في عيسى وماذا تقولون في مريم؟ قال: فتَلا عليه سورة مريم.

فقال النجاشي: والله إنّ هذا والذي جاء به محمد ليخرج من مشكاة واحدة. ورفض تسليمهم لقريش.

ومن أعلام أهل البيت:

❁ علي بن أبي طالب

أمير المؤمنين، أبو الحسن. من بحور العلم، ومن أهل الفهم، ومن الذين جمعوا مع الشجاعة، الزهد والصفاء والنقاء. شجاعته في بدر، والخندق معروفة.

أسلم طفلاً، وحارب في بدر شاباً، وتولّى الإمامة كهلاً، وقُتل شيخاً، فالسلام عليه يوم وُلد، ويوم يموتُ ويوم يبعث حيّاً.

لا يحبه إلا مؤمن، و لا يبغضه إلا منافق، ولا يخرج عليه إلا باغض ولا يسبه إلا فاجر.

يقول عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه: « أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون لموسى».

ويقول عليه الصلاة والسلام عن علي رضي الله عنه: «لا يحبُّه إلا مؤمن ولا يُبغضه إلا منافق».

ويقول عليه الصلاة والسلام: «لأعطينّ الراية غداً (في غزوة خيبر) رجلاً يحبُّ الله ورسوله، ويحبُّه الله ورسوله» فأعطاها لعلي رضي الله عنه.

هذه الأحاديث في فضائل علي، وغيرها، استوجبت من أهل السنّة أن يقفوا موقف تقدير من أمير المؤمنين رضي الله عنه.

أحد الشعراء الذين دخلوا تونس وعاد إلى الأندلس، يرثي علي بن أبي طالب ويتمنّى لو نجا، كما نجا عمرو بن العاص، ويقول:

يـالـيـتـهـا إن فــدت عَــمْــراً بـخـارجـة

فـــدت عـلـيّ بمـا شـــاءت مــن الـبـشـر

قال له الرسول عليه الصلاة والسلام لما أعطاه الراية لمقاتلة يهود: «يا علي، ادعهم إلى لا إله إلا الله وأني رسول الله، والذي نفسي بيده، لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمُر النعم». هذا كلام يدلّ على أنّ الإسلام أُرسل رحمة وهداية للناس.

وهذا أمر تكرر في أيّام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حين كان يوجّه قادته في الجيش لمقاتلة المعتدين، فيقول: «إن أسلمتم أصبحتم إخواناً لنا، لكم ما لنا من حقوق، وعليكم ما علينا من واجبات، لا تمايز بيننا وبينكم».

ومن أعلام أهل البيت:

❁ الحسن والحسين

سيدا شباب أهل الجنة رضوان الله عليهم وأرضاهم.

أما الحسن فهو أشبه برسول الله عليه الصلاة والسلام خَلْقاً وخُلقاً.

كان جده عليه الصلاة والسلام على المنبر يخطب، فجاء الحسن وهو في الخامسة فأخذ يتعثر، فنزل الرسول عليه الصلاة والسلام وحمله، وأجلسه بجانبه، والتفت وقال للناس: «إنّ ابني هذا سيّد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

وكانت المصالحة وحقن الدماء على يديه رضي الله عنه.

أبو هريرة رضي الله عنه، كشف عن صدر الحسن وقبّله، وأخذ يبكي، قال: رأيت رسول الله يُقبِّله.

بعض الناس يقولون: إنّهم يحبون أهل البيت، ولكنّهم يقلّلون من شأن الحسن رضي الله عنه بسبب موقفه العظيم من المصالحة، لو كان لنا حسن آخر في الأندلس ما ضاعت، وما حصل الذي تراه من تشتّت ومشاكل.

في بعض كتب التاريخ، أنّ ملك الروم كتب لمعاوية: إنّي سمعت أن بينك وبين ابن عمك خلافا. فكتب له معاوية: «. والله إن قدمت بلادنا لأضمنّ جيشي إلى جيش ابن عمي.».

نحن بحاجة إلى مدرسة الحسن، إلى هذه الثقافة في عالمنا العربي والإسلامي.ثقافة التسامح، التكاتف، التوادد، المحبّة، التآلف، ثقافة قبول الآخر مهما اختاف معنا واختلفنا معه.

الهاشمي: نستقبل الآن بعض المكالمات من مشاهدينا الكرام .

حسن صالح[1]: هل يوجد مسلم يشهد لا إله إلا الله محمد رسول الله، لا يحب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم الكرام، نحن في المغرب العربي وفي ليبية خاصة نحب رسول الله وأهل بيته، وجميع الصحابة، وجميع المسلمين، لا نفرق بين أحد منهم، ولا يخلو بيت عندنا من اسم محمد وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين وعائشة وفاطمة وزينب ورقية.

ويسأل: هل هناك والد يسمي أولاده بأسماء أشخاص لا يحبهم؟ مستحيل.

القرني: أقول شهادة لله: سافرت إلى أكثر البلدان العربية، والأوروبية، وأمريكا (٢١ولاية)، وشرق آسية، وإندونيسيا التي فيها ٢٣٠ مليون وتعدّ أكبر دولة إسلامية، رأيت في شوارع جاكرتا الشُرطة متأهّبة، قلت: ما الأمر؟ قالوا: الدولة تأخذ حذرها بشأن الرسوم المسيئة للرسول عليه الصلاة والسلام.

(١) حسن صالح رمضان من مشاهدي القناة في ليبيا.

المسلمون أكثر من مليار مسلم، والله لا أعلم أحداً يكره أهل البيت، ومنهم الحسن والحسين.

أبو حيدر[١]: لّما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: (إنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) أراد أن يُخرج نساء النبي عليه الصلاة والسلام من هذه الآية.

القرني:

❁ إنّ سياق الآيات يخصّ نساء النبيّ، أمّهات المؤمنين، فناسبها نون النسوة، فلما أتى على ذكر النساء والرجال غلّب جانب الذكور، وهذه قاعدة معروفة في اللغة العربية.

❁ لما أتى بالأمر والنهي كان الخطاب لنساء النبيّ، فلما أتى بالرحمة والتطهير أخرجهم! لماذا؟

❁ هل يتصور المسلم أن الله تعالى يريد أن يُخرج أزواج النبي عليه الصلاة والسلام، أمّهات المؤمنين،أزواج رسوله وحبيبه وصفوته من خلقه، هل يخرجهم ويستثنيهم من هذا التطهير؟

مذهب أهل السنّة الذي ندين به أنّ أهل البيت جميعاً بما فيه زوجات رسول الله عليه الصلاة والسلام يدخلون في آية التطهير.

❁ الآيات الأخرى في القرآن تؤكّد هذا المعنى:﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءً﴾ (يوسف:٢٥)، بأهلك، أي: زوجتك.

(١) من مشاهدي القناة في مدينة البصرة .

(سار بأهله)، أي: زوجته.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾(الحجر:٦٥)، بأهلك، يعني: زوجتك.

﴿وهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩) إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً﴾(طه:٩-١٠) لأهله، ويقصد: زوجته سارة. لم يختلف في ذلك المفسرون.

قول رسول الله عليه الصلاة والسلام: «من يعذرني في رجل آذاني في أهل بيتي». يقصد: عبد الله بن أبيّ، عندما آذاه في عائشة رضي الله عنها.

﴿وأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ واصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه٢٠/١٣٢]، هذه نزلت في مكة. من هم أهل النبي ﷺ؟ هل كان في ذاك الوقت فاطمة، أو الحسن والحسين، لا. كانت خديجة رضي الله عنها وحدها، وربما بعض بناته. فمن هم أهله حينها؟

أبو علاوي[(١)]: أخي العزيز أرجو أن تستضيف من يمثّل المذهب الجعفري.

فيما يخص آية التطهير، وحديث الكساء، لم أسمع بمثل هذا التفسير، فما الذي يجنيه الشيخ من ليَ عنق الحقيقة؟ ولماذا لم يَرُقْ له أن يخص حديث الكساء لآل البيت فقط، رسول الله، وعلي وذريته، وفاطمة؟.

(١) من مشاهدي القناة في مدينة برمينغهام.

وأدخل جميع آل البيت، بما فيهم نساء النبي عليه الصلاة والسلام.

القرني: هذا اعتقاد أهل السنّة، أنا نقلتُ من كتب أهل السنّة، وهي كتب موثّقة عندي، وهو قول الجمهور، بل بعضهم ادعى الإجماع على أن نساء رسول الله عليه الصلاة والسلام يدخلن في آية التطهير.

لكن أنا أوجه سؤال: ما هي مصلحة السائل، من إخراج نساء رسول الله عليه الصلاة والسلام، أمهات المؤمنين من التطهير؟

أبو تركي[1]: رضي الله عن الحسنين، وعن أبي الحسين، ويشهد الله أنّا نحبّ الحسن والحسين وعليّ قبلهما.

القرآن واضح. فلماذا يريدون فصل الآية عن سياقها؟ إن لم يشمل التطهير نساء النبي عليه الصلاة والسلام فمن يشمل.؟

عبد العزيز[2]: أنا والله أحبكم في الله.

الهاشمي: تقول أخي العزيز: إنّك تحبنا في الله، تُحدثنا من منطلق الحب، وإنّا نقدّر لك هذه العواطف الطيبة.

بما أننا تحدثنا عن صفات المؤمنين، ورغبةً في معرفة الحقيقة والاقتراب منها: إذا اعتقدتَ أن فلاناً غير مؤمن، كافر مستحق للخلود في النار، لأنه لا يرى ولاية الإمام عليّ بمعناها التام، ولا يرى عصمته، فهل يجوز لك أن تحبه؟

(١) من مشاهدي القناة من الرياض .
(٢) من مشاهدي القناة من الدنمارك .

يقول الشيخ القزويني وهو من المجتهدين: شرط دخول الجنة للناس كافة، الإيمان بولاية الإمام علي.

ووافق حديثه قول الإمام الخميني، والشيخ المفيد، الذي يقول: إنّ من أنكر الإمامة، وجحد واجب الطاعة للإمام، فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار.

هذا يعني أنك تأتي أنت كمسلم بصلاة وصيام وزكاة، ومحبة لأهل البيت، لكن ما دامت لا تعتقد أن عليّاً هو الولي المنصوص عليه ديناً، والمعصوم، لا تدخل الجنة. لأنّ شرط دخول الجنة للناس كافة، الإيمان بولاية الإمام علي.

أنت قلت: نحبّكم في الله، والحب يُبنى على الاعتقاد، فلماذا أخي العزيز وبأي حجة واضحة من كتاب الله ترى أن الذين ذكرتُهم لك، لا يجوز لهم ولا يحق لهم أن يشموا ريح الجنة لأنهم لا يرون ولاية الإمام علي. لماذا لا نعطي فرصة لتجديد الفتوى والاجتهاد، فرصة لأن يدخل المسلم الجنة من دون الإيمان بولاية الإمام علي وعصمته رضي الله عنه ؟

هل أنت، أستاذ عبد العزيز، ممن يرى رأي هؤلاء الأئمة الأعلام، أم أنّك من المجدّدين الذين يقولون: إنّ أهل السنة مؤمنون إضافةً لإسلامهم، ومن أهل الجنة ،ولكنّهم ربما لن يحصلوا على الفردوس الأعلى لأنهم لم يؤمنوا بالولاية؟

القرني: المسألة أنهم إذا كانوا يعتقدون هذا الشرط فأسأل الله أن

يعين العالم الإسلامي! هذا كلام خطير، إذا كفرت إنسانا استحللت دمه، وحرمته من رحمة الله عز وجل.

لماذا استُحدث هذا الشرط الذي ما نطقت به الأدلة، هذا الشرط لم يكن أصلاً في القَرآن ولا في السنّة.

عبد العزيز: هل أسمح لنفسي أن أقول عن أخي السني: إنّه غير مؤمن، وأسمح لنفسي بالزواج من امرأة سنّية. (أنا متزوج من سنيّة، وعندي منها أولاد).

وهل تعتقد أن الذين صلّوا في العراق سنة وشيعة، وكان منهم سادة معمّمون خلف الشيخ السني المذهب، لا يؤمنون بأنه مؤمن.

أما قول الشيخ المفيد: «إنّ من أنكر الإمامة، وجحد واجب الطاعة للإمام، فلن يدخل الجنّة». فهذا المعتقد إذا كان عند الشيعة، فعليكم إثبات العكس.

الهاشمي: أرجو أن تتربى الأجيال كلها على الاعتقاد بأن كل من قال واعتقد أنّه: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، فإنّ هذه الكلمة تنجيه بإذن الله تعالى من الخلود في جهنم، نعوذ بالله منها.

نواصل الحوار غداً بإذن الله في سهراتنا الثالثة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

السهرة الثالثة

الهاشمي: بسم الله الرحمن الرحيم. أهلاً بالمشاهدين الكرام إلى برنامج الحوار الصريح في جولته الخاصة بدراسة موقف أهل السنة من أهل البيت عليهم السلام. ضيفنا في هذا البرنامج الحواري الثقافي وهذه الجامعة العلمية المفتوحة وهو الكاتب والشاعر والداعية السعودي الشيخ الدكتور عائض القرني.

صفات المؤمنين في سورة الأنفال

نبدأ ببعض الآيات الكريمة ذات الصلة بالموضوع والتي لها علاقة بمبحث الإيمان.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٢-٣].



دكتور عائض أدعوك لتقديم تفسير موجز لهذه الآيات الكريمة.

القرني: ذكر الله صفة أهل الإيمان فبدأ بالذكر.

يقول بعض أهل العلم: الذكر أول المنازل وآخرها.

قال أبو العباس ابن تيمية: هناك شبه إجماع بين أهل العلم أن الذكر هو أفضل عمل لأن الله يقول: ﴿ولَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ واللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[العنكبوت: ٤٥].

ولما ذكر الصلاة قال: ﴿إنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والْمُنكَرِ ولَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

قالوا: أكبر من كل شيء. وقال بعضهم: بل إن الصلاة لها فائدتان: أنّها تنهى عن الفحشاء والمنكر، و بها يُقام ذكر الله.

قال: (إنما المؤمنين)، إنما: أي حقيقة المؤمنين، الصادقون في إيمانهم، لهم علامات، منها: أنه إذا ذُكر الله وجِلت قلوبهم.

قال: إذا ذُكرت أسماؤه وصفاته وآياته البينات وجلت قلوبهم.

قالوا: وجلت: أي خافت، فزعت.

والصحيح: أنه يعتريها من الخوف، ومن الخشية، ومن الخشوع، إخباتاً لربها سبحانه تعالى: لأنّ المذكور هو الله سبحانه. قال الله تعالى لموسى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِياً﴾(مريم:٦٥). هل سمعت أحداً سمّى باسمنا؟ لم يسمّ أحد باسمه لا في العجم، ولا في العرب، لا في الجاهلية، ولا في الإسلام، لذلك يقول: ﴿فاعْلَمْ أَنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ﴾(محمد:١٨).

ومعنى آخر: هل تعلم له شبيها في الصفات، والذات، والأسماء.

قال: (الَذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)، من صفات المؤمنين، أنّ قلوبهم تخشع عند ذكر الله سبحانه وتعالى.

في القرآن آيتان كريمتان فيهما خوف وإخفاء، قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾(الأعراف:٢٠٥) وقال: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾(الأعراف:٥٥)، قال: عند الدعاء خفية، وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِياً﴾(مريم:٦٥). عند الذكر اذكر ربك تضرعا وخيفة من الخوف.

قال الزمخشري، وأهل أسرار البلاغة والبيان: إن الخوف من الذكر، لأنّ الذكر يُثمر عند الذاكر انبساطاً وانشراحاً، وشيئاً من النشوة والطرب، فأمر الله تعالى بالخوف حتى يُقمع الذاكر، وتهدأ نفسه وجوارحه وأعصابه قليلاً، فإن الذكر من أعظم وقود النشوة الإيمانية من القرب، فأمر الله بالخوف عند ذكره جلّ عُلاه.

قال الله لموسى: (يا موسى إذا ذكرتني فاذكرني وأعضائك تنتفض من خشيتي) يقال: ليس من العبادات عبادة يكافئك الله بمثلها إلا الذكر، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾(البقرة:١٥٢)، ولم يكافئ الله سبحانه من ذكّى أن يُذكّي عنه، ومن حجّ أن يحجّ عنه.

هذه العبادة يكافئ الله العبد بمثلها، كما في الحديث: ((إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه)).

أحد الأولياء، أبو غيث الخولاني: كان يذكر الله كثيراً، فقالوا: هذه وسوسة، أو مرض، فقال:

ومن هيامي بكُم قالوا: به مرض

فقلتُ: لا زال عني ذلك المرض

يقول الله لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ولا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾(طه:٤٢)، أي: لا تفترا، لا تنسيا، لا تتعبا من ذكري.

أتى الله سبحانه وتعالى بالذكر، لأنه أعظم عمل، أجلُّ عمل، قال: (إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وجِلَتْ قُلُوبُهُمْ).

إنّ إخفاء الدعاء أصدق وأبعد عن التشويش، ولذلك ينبغي أن يكثر الإنسان الدعاء ويخفي ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِياً﴾(مريم:٣).

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا واذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(الأنفال:٤٥)، أمرهم الله بالذكر وقت القتال، مع العلم أنهم مشغولون بالقتال، فلماذا اختار الله هذا الوقت؟ وهو وقت سن السيوف، وامتشاق الرماح، وتطاير الجماجم، وصعود الأرواح وسيلان الدم، لماذا؟

قال ابن تيمية: لأن المحبين يفتخرون بذكر محبوبهم وقت الأزمات.

أما سمعت عنترة يقول:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل

مني وبيض الهند تقطر من دمي



فـــوددت تـقـبـيـل الـسـيـوف لأنـهـا لمعت

لمـعـت كـبــارق ثــغــرك المـبـتـسـم

قال تعالى: (وإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانا) هنا مسائل منها: أن الآيات إذا أُطلقت، فهي الآيات الشرعية، وقد تفيد الآيات الكونية التي خلقها سبحانه وتعالى،

ويدخل في ذلك العلوم الشرعية، وأحاديث الرسول ﷺ.

الثاني: أن الإيمان يزيد وينقص، وهو معتقد أهل الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وعليه فينبغي للإنسان أن يتلو كتاب الله، وعليه إذا تلي عليه كتاب الله أن ينصت،

يقول ابن أبي مليك: ولله ما من قارئ يقرأ القرآن إلا بزيادة أو نقص. قالوا: عرفنا الزيادة، فكيف النقص؟ قال: يقول سبحانه رداً عليهم: ﴿وهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾(فصلت:٤٤). قال: ﴿ولا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إلاَّ خَسَاراً﴾(الإسراء:٨٢)،

قال: ﴿وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(العنكبوت:٥٩)، التوكل: هو تفويض الأمر إلى الله، والاعتماد عليه سبحانه وتعالى، والرضا به كفيلاً ووكيلاً وناصراً، جلّ في علاه، لا إله إلا هو.

يقول عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده، لو توكّلتم على الله حق توكّله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»[1] . لكن توكل البشر قليل فأُمروا به.

(١) أحمد والترمذي، عن عمر رضي الله عنه .

يقول أحدهم: «من ترك التوكل على الله قدح في الشرع، ومن ترك السبب قدح في العقل، ومن تركهما فهو مجنون»

رجل سأل رسول الله عليه الصلاة والسلام قائلاً: يا رسول الله، هذه دابتي أعقلها، أو أتوكل؟ فقال له رسول الله عليه الصلاة والسلام: «اعقلها وتوكّلَ»[١]. أمره بالأخذ بالسبب، وأمره بتفويض الأمر إلى الله سبحانه وتعالى.

تقابل رجلان من بني إسرائيل، فقال: هل تقرضني ألف دينار؟ قال: أقرضك. قال: هل عندك وكيل أو كفيل إذا ما دفعت لي. قال: ما عندي إلا الله. قال: كفى بالله وكيلاً. فلما أعطاه المال، قال: نكتب؟ قال: هل عندك شهيد، قال: ما عندي شهيد إلا الله، قال: كفى بالله شهيداً.

فأخذ المال وبعد سنة، أراد أن يردّ له المال، لكنه لم يستطع اجتياز النهر، فأخذ خشبة ونقرها ووضع فيها ألف دينار وألقاها في اليم، والتفت إلى السماء، وقال: يا الله، إنك تعلم أنه قبل سنة سألني: هل عندك وكيل؟ فقلت: أنت والوكيل. وقال لي: هل عندك شاهد؟ فقلت: أنت الشاهد. فقال: كفى بك وكيلاً، وكفى بك شهيداً، أسالك يا الله أن توصل الأمانة له بقدرتك، ثم رمى بها في النهر، وخرج صاحبه في اليوم نفسه فما وجده، ووجد الخشبة، فقال: آخذها حطباً لأهلي، فأخذها فنقرها فوجد المال فيها»[٢].

---

(١) رواه أحمد بسند صحيح .
(٢)أصل القصة في البخاري في (باب الوكالة) .

ذكر بزرجمهر حكيم فارس: أنّ عجوزاً فارسية كان عندها دجاج في كوخ مجاور لقصر كسرى الحاكم، فسافرت إلى قرية أخرى، فقالت: يا ربِّ، أستودعك في دجاجي وكوخي، لا يعتدي عليهما جنود كسرى، فلمّا غابت عدا كسرى على كوخها ليوسّع قصره، وبستانه، وذبح جنوده الدجاج، وهدموا الكوخ، فعادت العجوز، فلمّا رأت ذلك، التفتت نحو السماء، وبكت وقالت: يا ربِّ غبتُ أنا، فأين أنت؟! فهذا دليل على أن الأمم مُجمعة أنه سبحانه وتعالى يُتوكل عليه ويُعتمد عليه.

ثم قال سبحانه: (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ)، ولم يقل: يصلون فقط، لأن في الأمة من يصلي، لكنه لم يقم الصلاة في حياته. في الأمة من يصلي ولكن يعق والديه، يصلي لكنه يرابي، يصلي لكنه يشهد الزور، يصلي لكنه يعتدي على دماء المسلمين وعلى أموال المسلمين وعلى أعراض المسلمين، منهم من يصلي لكنه سيئ الأدب مع ربه سبحانه وتعالى.

يقيمون الصلاة في النفس وفي الضمير وفي حياتهم، فهؤلاء المصلون تظهر صلاتهم

إندونيسية وماليزية وسنغافورة، دخلت في الإسلام بصدق التجار المسلمين وصلاتهم ووفائهم، مما كان له أكبر الأثر على السكان فأسلموا.

(مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)، هناك صلة، وصلاة، فالصلاة بينك وبين الواحد الأحد، والصلة بينك وبين عباده، أن يشارك الإنسان إخوانه في كل خير. يقول عليه الصلاة والسلام: «والله لا يؤمن، من بات شبعان

وجاره جائع إلى جنبه، وهو يعلم». هذا التكافؤ الاجتماعي.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من كان عنده فضل ظهر فليتصدق به على من لا ظهر له.)».

قال حاتم في الجاهلية:

إذا كنت ربا للقلوص فلا تدع

رفيقك يمشي خلفها غير راكبِ

يقول حاتم:

أما والذي لا يعلم الغيب غيرهُ

ويحيي العظام البيض وهي رميمُ

لقد كنت أطوي البطن وزاد يشتهى

مخافة يوما أن يقال لئيمُ

يقول: يشهد الله، أنّي أنام وأنا أتقلب من الجوع، وأشرك جيراني وضيوفي بالأكل حتى لا يقال: إني بخيل.

(أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقاً) قال أهل العلم،أي: هم المؤمنون حقاً، يقيناً، صدقاً. وقيل: لقد حققوا الإيمان الصحيح قولاً وعملاً، أما مجرد ادعاء الإيمان فسهل، أولئك استحقوا مرتبة الإيمان التي وعد الله بها، أولئك الذين ينبغي أن يطلق عليهم لفظ الإيمان.

وعَدَهُم الله بثلاث:

(لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ)، إنما نكر الدرجات لأنها عظيمة ومتعددة، ودرجات أهل الإيمان تتفاوت على حسب إيمانهم، وليسوا في درجة واحدة ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ)﴾(فاطر:٣٢)، ظالم لنفسه هذا جيد، ومنهم مقتصد جيد جداً، ومنهم سابق بالخيرات ممتاز. قال: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾(فاطر:٣٣). الأصناف الثلاثة يدخلونها.

ودل على أن الدرجات جاءت على حسب اختلاف الأعمال، «يقال لصاحب القرآن: اقرأ ورتل فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها».

(ومَغْفِرَةٌ)، إنما ذكر المغفرة لأن عندهم ذنوب وليسوا بمعصومين، فاستدرك عليهم بالذنوب.

يقول لبني إسرائيل: ﴿وقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾(البقرة:٥٨).

أي: يا رب حط عنا خطايانا واغفر لنا. فإذا قالوا ذلك: غفر الله ذنوبهم وزاد المحسنين فرفع درجاتهم.

(ورِزْقٌ كَرِيم)، الرزق الكريم: ما يُقدّم من عند الباري سبحانه وتعالى، وإذا كان الرزق من عند غير الله سبحانه وتعالى فلا يطلق عليه كريم. لأن من أسداه كريم. والرزق الكريم فيه ثلاث مواصفات:

❁ لا منّة فيه: فالله يعطي عطاء من لا يخشى الفقر سبحانه وتعالى.



❁ لا حد له: ليس له حدود، فهو كريم.

❁ لا تبعة من ورائه: فلا يحاسبون عليه في الجنة. فالمتكرم هو الله سبحانه وتعالى.

الهاشمي: بارك الله فيك على هذا العرض الجميل. نعود الآن لموضوعنا. أحد مشاهدين الكرام في اليمن بعث رسالة يتساءل فيها: عندما تجيب عن أسئلة البرنامج، فهل أنت تعبّر عن وجهة نظر فرقة مخصوصة من فرق أهل السنة؟ أم أنّ ما تقوله في أهل البيت، هو ما يعتقده جمهور أهل السنة، وعموم علماء أهل السنة؟

القرني: إن جمهور علماء أهل السنة لهم تاريخ، وكتب موجودة وميسرة، من عهد صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام وإلى الآن.

أنا أتكلم عن أهل السنة الذين يمثّلون سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ومودتهم لأهل البيت ولم آتي لأتكلم باسم الحنابلة، أو باسم الوهابية، الوهابية ليست مذهباً جديداً، الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدّد، إمام جدّد الدين، لم يدَّع أن له مذهبا خاصا أو أن له طريقة خاصة، إنما دعا إلى الله عز وجل، وهو عالم من علماء الأمة، مثل ابن تيمية وأحمد.

عقيدة أهل السنة والجماعة في أهل البيت

الهاشمي: ذكّرنا إذن بعقيدة أهل السنة والجماعة في أهل البيت.

القرني:

أولاً: أهل السنة يحبّون أهل بيت النبي عليه الصلاة والسلام ويتولونهم جميعاً، ويجعلون ذلك من محبة النبي عليه الصلاة والسلام.

ثانياً: أهل السنة يعرفون ما يجب لأهل البيت من الحقوق، فإن الله جعل لهم حقاً في الخمس والفيء، وأمر بالصلاة على النبي صلى الله عليه، وآله، وصحبه، ومن سار على منهجه إلى يوم الدين.

ثالثاً: أهل السنة يتبرّءون من طريقة المجافين لأهل البيت، والمغالين في أهل البيت. لا يسبون أهل البيت، ولا ينتقصون من حقهم، ولكن بالمقابل لا يطوفون على قبور أهل البيت، ولا يغالون في أوصافهم، ولا يدّعون لأهل البيت العصمة، بل يعتقدون أنهم بشر تقع منهم الذنوب كما تقع من غيرهم، ليس فيهم مغفور الذنب.

رابعاً: أهل السنة يتولّون أزواج النبي عليه الصلاة والسلام ويترضّون عليهنّ، ويعرفون لهنّ حقوقهنّ، ويؤمنون بأنهنّ أزواجه عليه الصلاة والسلام في الدنيا والآخرة، وأنهن من خاصة أهل البيت.

خامساً: أهل السنة يعتقدون بأن القول: بفضيلة أهل البيت لا يعني تفضيلهم في جميع الأحوال، وعلى كل الأشخاص، بل قد يوجد من غيرهم من هو أفضل منهم لاعتبارات أخرى.

هذا معتقد أهل السنة والجماعة منذ صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليوم، بطوائفهم ومذاهبهم المنتشرة في عموم الأرض.

من أعلام أهل البيت

❁ فاطمة الزهراء

❁ بنت محمد عليه الصلاة والسلام ورضي عنها ورفع منزلتها وهي بضعة منه: أي قطعة من قلبه عليه الصلاة والسلام.

يقول محمد إقبال:

هـي بنـت مَـن، هـي أمُّ مَـن، هـي زوج مَـن؟

مـنـذا يـسـاوي في الأنـام عـلاهـا

أمـا أبـوهـا فـهـو أشـرف مـرسـل

جـبريـل بـالـتـوحـيـد قـد ربـاهـا

وعـلـي زوج لا تـسـل عـنـه سـوى

سـيـف غـدا بـيـمـيـنـه تـيّـاهـا

ولدت في مكة، قبل البعثة، بأربع، وقيل بخمس سنوات. وكانت أصغر بنات الرسول عليه الصلاة والسلام، وأحب بناته إليه،وأكثرهم شبهاً به خَلقاً وخُلقاً.

تقول أم المؤمنين عائشة: «والله إني كنت أنظر إلى فاطمة وهي تُقْبِل،

ما تغادر مشيتها مشية رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولا كلامها كلامه، فيستقبلها ويُقبّلها على جبينها، ويأخذ بيدها، فيجلسها في مكانه، فإذا زارها محمد عليه الصلاة والسلام قامت، فقبّلت جبينه، وأخذت بيده، وأجلسته مكانها».

هذا وصف السيّدة عائشة، للسيّدة فاطمة رضي الله عنهما، عائشة التي تُتَّهَم.

أسلمت في مكة، وهي طفلة، وهي التي أزالت الأوساخ عن أبيها، وكانت تبكي يوم أوذي عليه الصلاة والسلام في مكة.

أراد علي بن أبي طالب أن يتزوج بنت أبي جهل، فسمع رسول الله عليه الصلاة والسلام بذلك فقال: أيها الناس، إن ابن أبي طالب يريد الزواج من بنت أبي جهل، وإن فاطمة بضعة مني – يعني قطعة من قلبي – يريبني ما يريبها، و يغضبني ما يغضبها، ويرضيني ما يرضيها، فإن أراد علي أن يتزوج بنت أبي جهل، فليطلق ابنتي. وإنّي والله لا أحلل حراماً، ولا أحرّم حلالاً، ولكن لا تجتمع بنت رسول الله، مع بنت عدو الله تحت سقف واحد.

يقول الزهري: لو كان أحد أعزّ على رسول الله ﷺ من فاطمة ما كان أقسم.

يُروى أنّهم أتوا بالمرأة المخزومية إلى رسول الله ﷺ وشهدوا عليها فاعترفت فأمر رسول الله بقطع يدها. فذهبوا إلى أسامة بن زيد يتوسطون، وقد كان محبوباً من رسول الله. فكلّم فيها رسول الله ﷺ. فقال: «أتيت تشفع في حد من حدود الله؟! إنما أهلك من كان قبلكم، أنهم كانوا إذا

سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وايم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها.

قال الزهري: وحاشاها أن تسرق، ولكن لحبه ﷺ وتعلقه بفاطمة،

قال أهل العلم كالزهري والأصمعي وأهل السير والجواهري: سميت الزهراء، لما أكمل الله فيها من حسن وجمال وصفات ومعان.

تقول عائشة رضي الله عنها: كانت فاطمة من أصدق عباد الله.

الهاشمي: أنت ذكرت هذا الحديث للنبي ﷺ في تحذير المسلمين من عادات الأمم السابقة، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد.

سبحان الله العظيم! كأن رسول الله ﷺ لم يكن فقط يصف ما كان عليه الأمر في الأمم السابقة، وإنّما يصف أحوال المسلمين اليوم في كثير من البلدان، وإلى الذين يُسَمّونَ في مصر بـ(الهوامير الكبيرة، الحيتان الكبيرة)، أولئك الذين يسرقون الملايين، ولا حساب، ولا عقاب! والضعفاء الفقراء الذين يقعون في سرقات بسيطة تجدهم يملئون السجون.

القرني: هذه مشكلة كبيرة عويصة اجتماعية متغلغلة في العالم الإسلامي لبُعد العالم الإسلامي عن مفهوم الكتاب والسنة، لأن العدل هو إعطاء الحق وأخذه من كل أحد، في كل مكان وزمان، وهذا الحق الذي بعث به ﷺ، ولكن المشكلة أن هناك (محسوبيات)، وتحايل على الحق وعلى العدل.

الكاتب والمؤرخ الأمريكي (مايكل هارد): جعل محمد ﷺ في المرتبة الأولى، وجعل عمر بت الخطاب في المرتبة (٥٣) في كتابه عن العظماء المئة، وقال: أعرف أن الأمريكان والشعب الأمريكي سوف يغضبون ولكن الحقيقة تفرض نفسها.

ويقول: يكفي عمر أن يكون في المرتبة (٥٣) لأنه صاحب قصة(القبطي) الذي قال فيه عمر كلمته المشهورة التي سجلها التاريخ له: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».

جوستاف لوبون المؤرخ الفرنسي يقول: ما عرف العالم عادلاً ولا مصلحاً أعظم من محمد ﷺ.

نصل إلى زواج فاطمة من علي: قال علي بن أبي طالب: قدمت إلى رسول الله ﷺ أردت أن أخطب إليه فاطمة، وكان ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، قال: فاستحييت منه، فقال ﷺ: أتيت تخطب فاطمة؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: ما عندك؟ يعني: من المال، (على سبيل المداعبة، وإلّا فإنّ رسول الله عليه الصلاة والسلام يعرف وضع عليّ). قال: والله ما عندي شيء يا رسول الله. قال: أين درعك الحطمية؟ (ويقال: هذه الدرع ما تساوي درهمين، يقال: محطمة، ويقال: حطمية، نسبة إلى بني حطمة)، قال: فجعلتها مهراً. قال: أو لم. فذهب علي فبحث عن شاة. ثم أتى بشيء من الفراش من الصوف.، وأقام وليمة بنت محمد سيد الخلق ﷺ، سيدة نساء العالمين، الزهراء أفضل من خلق الله سبحانه وتعالى، وتم الزواج.

في أحد الأيّام سألت السيّدة فاطمة أباها خادماً، جارية تخدمها، وتطحن لها وتخفّف عنها، وتقرب لها الماء، لكنّ رسول الله لم يُجبها.

يقول علي: فزارنا الرسول ﷺ أنا وفاطمة، وقد أخذنا مضاجعنا، واستسلمنا للنوم، قال: اقترب منّا حتى وجدت برد أقدامه ﷺ. قال: نمتما؟ قلنا: نعم يا رسول الله، فقال: ألا أدلّكما على خير لكما من خادم؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: إذا أويتما وأخذتما مضاجعكما فسبّحا الله ثلاثاً وثلاثين، واحمدا الله ثلاثاً وثلاثين، وكبّرا أربع وثلاثين، تصير مائة، خير لكما من خادم[١].

قيل لعلي: هل تركتها منذ سمعتها من رسول الله ﷺ؟! قال: ما تركتُها منذ سمعتها من الرسول ﷺ. قالوا: ولا ليلة صفين؟! قال: قاتلكم الله أهل العراق، ولا ليلة صفين - لأنه قاتل ليلة صفين - ذكرتُها عند السحر.

الشاهد: حتى ابنته ﷺ لم يعطها من بيت المال خادماً لها، وإنما دلّها على ما هو أعظم من ذلك وهو العمل الأخروي الباقي لها.

وقال بعض العلماء: أنه ﷺ دلهم على أهمية الذكر وقال: هو خير لكما من خادم.

وقال: أن من حافظ على هذه الأذكار يجد من القوة ما يساعده في أعماله، وهي سهلة يسيرة عند النوم.

---

(١) انظر الرواية عند أحمد والترمذي.

يقول علي رضي الله عنه وهو من أشجع الناس: كان إذا حمي وطيس المعركة، واحمرت العيون، اتقينا بالرسول ﷺ فكان أقربنا إلى القوم. (قاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك).

يقول عبد الهادي حرب، شاعر الشام في سورية:

أنت الشجاع إذا لقيت كتيبةً

أدّبت في هول الردى أبطالها

إن البريَّة يوم مبعث أحمد

نظر الإله لها فبدّل حالَها

بل كرّم الإنسان حين اختار من

خير البرية نجمها وهلالها

محمد عليه الصلاة والسلام شجّ يوم أحد وكسرت ثنيته، أتت فاطمة تبكي وتضّمد جراحه، فتأثر الناس، وهم يرون مضغة محمد رسول الله (جزء من قلبه) يبكي على محمد عليه الصلاة والسلام.

يقول الأندلسي لما رأى ابنته تبكي: فبكى بعضي على بعضي معي.

المعتمد بن عباد، بعد العز والمجد والمُلك، هزمه ابن تاشفين في الأندلس وسجنه

فكانت بناته يغزلن للناس بالأجرة، أتوا لزيارته في السجن وهن حافيات، فبكى، وأنشد يقصد نفسه:

في مـا مـضـى كـنـت بـالأعـيـاد مـسـرورا

فـسـاءك الـعـيـد في أغـمـات مـأسـورا

تـرى بـنـاتـك فـي الأطـمـار بـالـيـةً

يـطـأن في الـطـين مـا يملـكـن قـطـمـيرا

يـطـأن في الـطـين والأقـدامُ حـافـيـةٌ

كَـأنَّـهـا لـم تـطـأ مـسـكًـا وكـافـورا

يقول البردوني:

وشـب طـفـل الـهـدى المـحـبـوب متَّـشـحاً

بـالخـير مـتـزنـا بـالـنـوّر والـنـارِ

في كـفِّـه شـعـلـة تـهـدي وفـي

دمـهِ عـقـيـدةٌ تـتـحـدَّى كـلَّ جـبّـارً

استعرضنا زيارة النبي ﷺ لفاطمة، أما الموقف الآخر فهو زيارة فاطمة للرسول ﷺ في سكرات الموت، جلست عند رأسه، وقالت: واكرب أبتاه، قال: لا كرب على أبيك بعد اليوم.

فقال ﷺ: ادن، فدنت، فسارّها بشيء فبكت، ثمّ سارّها بشيء فضحكت، فاستغربت السيدة عائشة ذلك، كيف تبكي، ثمّ تضحك!، فسألتها فقالت: أخبرني أنه سيموت في مرضه الذي هو فيه ﷺ فبكيت.

ثمّ قال لي: أنت أول أهلي لحوقاً بي، فضحكت. فلحقت به بعد ستة أشهر.

ومن مناقبها: أن نسله ﷺ وعقبه من فاطمة، لا من زينب، ولا من رقية، ولا من أم كلثوم، عليهن السلام جميعاً، فإن الحسن والحسين من نسلها.

يقول أنس: لّما انتهينا من دفن رسول ﷺ، قالت فاطمة: يا أنس، كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على أبي.

في خلافة أبي بكر، جاءت فاطمة تسأله الميراث، فقال أبو بكر: قال رسول الله:

«نحن معاشر الأنبياء لا نورث». فقالت فاطمة: أنت وما سمعت من رسول الله أعلم. فقال أبو بكر: ولكنّي أُنفق على مَن كان يُنفق رسول الله، وأعطي مَن كان رسول الله يعطي[1].

وقال: والله الذي لا إله إلا هو ما سألت الله الخلافة في سر ولا علانية، وددت والله أن رجلاً من المسلمين كفاني أمر هذه الخلافة، والله الذي لا إله إلا هو لقرب أهل رسول الله ﷺ أحب إلّي من قرب أهلي.

يقول سبحانه وتعالى:﴿والَّذينَ جَاءُوا منْ بَعْدهمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفرْ لَنَا ولإخْوَانِنَا الَذينَ سَبَقُونَا بِالإيمَانِ ولا تَجْعَلْ في قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(الحشر: ١٠).

(١) الحديث في مسند الإمام أحمد بسند صحيح .

حول ما نسب للخليفة عمر بن الخطاب بشأن إيذاء السيدة فاطمة

الهاشمي: وصلتَ إلى الجزء الأخير من حياة السيدة فاطمة، لكن هناك أمر يستحق أن نتوقف عنده، هناك أمر جرّ المشاكل لأحد الأسماء المشهورة الآن في الفكر الإسلامي المعاصر مثل السيد آية الله حسين فضل الله، فإن نفيه لما ردّده آخرون عن عدوان تعرضت له السيدة فاطمة، جعل البعض يُسقط عنه المرجعية، ويخرجه من عداد المراجع المعتبرين.

القرني: الفرية التاريخية التي ردّدها البعض، وأنكرها السيد آية الله حسين فضل الله، جزاه الله خيراً، أنهم قالوا: أن عمر بن الخطاب آذى فاطمة واعتدى عليها (معاذ الله) حتى إنه كسر بعض أضلاعها رضي الله عنها وأرضاها، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إن يَقُولُونَ إلاَّ كَذِبا﴾(الكهف: ٥).

أقف وقفات:

أولاً: أين السند لهذه الروايات الباطلة، الموضوعة؟

ثانياً: والله الذي لا إله إلا هو لو أن عاملاً أو سائقاً أو حارساً كُسرت أضلاع زوجته لصبّ جام غضبه، حتى ينتقم. أين علي بن أبي طالب؟ أين صاحب معركة بدر؟ أين فارس أحد؟ أين فارس الأحزاب الذي قتل

مرحب؟ أين الذي ترعد منه الأبطال، وتسكت منه الجماجم، لا ينتقم لزوجه؟!

ثالثاً: أين المسلمون؟ بنت خير خلق الله ﷺ يُعتدى عليها، ولا يحرّك أيّ مسلم ساكناً، ولو احتجاجاً. إنّها روايات باطلة موضوعة، للانتقاص من الصحابة.

رابعاً: والله الذي لا إله إلا هو، لو لم يكن عندنا إلا أن نأخذ المصحف ونذهب إلى الكعبة ونُقسم أن عمر أزكى وأتقى لله من أن يفعل ذلك بجارية من المسلمين لفعلنا، فكيف ببنت سيد الخلق ﷺ الذي قال عمر رضي الله عنه له: أنت أحبُّ إليّ من نفسي.

الهاشمي: لماذا برأيك تروج هذه الروايات المكذوبة، ولماذا يحتفظ بها البعض ويكررها باستمرار؟

القرني: لإيذاء الصحابة، والإساءة إليهم، وهذه أتت من ديانات مجوسية دخيلة على الإسلام، وإلا فالمحبون لأهل البيت من القرون المفضلة لم يأتوا بهذا، ولم نسمع بهذا إلا في العصور المتأخرة المظلمة، حتى صوّروا الصحابة وكأنهم مؤلّبون، ومحتالون، مع العلم أن الله سبحانه رضي عن الصحابة، والأمّة ترضّت عن هؤلاء الخلفاء وبايعتهم طوعاً، ثم نشر الله لهم القبول في الأرض.

والله لا أشرّق ولا أغرّب، إلا وأسمع الناس تترضى عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وإني أذكرهم في بعض المناسبات، فتسيل دموع

الملايين، فيا للعجب! أرجو ممن يقول هذا الكلام أن يستغفر ربه، وأن يتوب إليه.

إيّاك أن تلاقي ربّك بهذه الفرية. والله إنها تُلحق بأهل الإسلام وبتاريخ الإسلام سواد لا يُمحى إلا بالتوبة النصوح، لا تخبروا الأمم الأخرى بهذا الكلام الباطل. هذا الكلام الذي لا يصدقه عقل، ولا يمكن أن يصدر عن صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

الهاشمي: أريد فقط أن أضيف في الحديث عن شخصيتها وسيرتها الذاتية، أمراً آخر ربما فاتك الحديث عنه هو التذكير بأن أمّ السيدة فاطمة (السيدة خديجة رضي الله عنها) هي أول شخص في التاريخ بعد النبي ﷺ آمن بالإسلام، وأنها امرأة عظيمة ذات فضل عظيم على المسلمين كافة من خلال دورها التاريخي المشهود في نصرة سيد الأنام محمد ﷺ.

القرني: كنت أود أن أتكلم في هذه المرة عن أعلام القرابة، وعن زوجات الرسول ﷺ وبناته، وقلت: سوف أختار علمين، فاطمة سيدة نساء العالمين خير البنات، وعائشة الفاضلة المفضلة الصديقة بنت الصديق خير الزوجات، ولكنك رددتنا إلى السيدة المكرمة التي يفضلها بعض أهل العلم على عائشة، وهي خير سيدات العالمين، السيدة خديجة رضي الله عنها.

ومن أعلام أهل البيت:

❁ خديجة أم المؤمنين

خديجة إذا ذكرناها ذكرنا الدعوة، وذكرنا الكفاح والنضال الأول، وذكرنا المصابرة، وأنا أذكر ثلاثة مواقف سريعة:

الموقف الأول: لما عاد رسول الله ﷺ من الغار خائفاً، وهو يقول: «زمّلوني، زمّلوني، دثّروني، دثّروني، وخشي على نفسه، قالت السيدة خديجة: »كلا والله، لا يخزيك الله أبداً، إنّك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتكسب المعدوم.

يقول أهل العلم في سياق التعليق على العقيدة الطحاوية التي أجمع عليها أهل السنة جميعاً، يقولون: انظروا لرجاحة عقلها، كيف استدلت على حسن فعال الرسول ﷺ بأن الله سبحانه لا يُخزيه، ثم ناصرتهُ ودافعت عنهُ، وذبّت عنه، ووقفت معهُ، فكانت راجحة العقل رضي الله عنها وأرضاها، لدرجة أنها لما ماتت حزن عليها ﷺ حزناً شديداً، وسمي العام الذي ماتت فيه عام الحزن.

الموقف الثاني: كان ﷺ جالساً فدخل جبريل، فغطت خديجة رأسها، فقال جبريل من هذه؟ قال: خديجة. قال: أقرئها مني السّلام،

وبشّرها في الجنة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

يقول السهيلي صاحب (روض الأنف): أما قوله فبشرها في الجنة ببيت (لا صخب فيه) لأنها لم تصخب على رسول الله ﷺ، وجعلت بيته هادئاً مطمئناً ساكناً، فأزالت الصخب، فعوّضها الله بعدم الصخب في جنات النعيم.

(ولا نصب) قال: لأنها أراحت النبي ﷺ من كل ما أهمّه وأتعبه، وشاركته النصب فكان جزاءها ألا تنصب في الآخرة.

الموقف الثالث: وفاؤه ﷺ، وتحنّنه وتحركه لخديجة.

تقول عائشة: «والله ما غرت من امرأة غيرتي من خديجة وقد ماتت، فكان إذا أتت صديقة خديجة رحّب بها وسألها ﷺ عن أهلها وقال لأهله: هذه صديقة خديجة كانت تأتينا، وفرح بها ﷺ وأجلسها على رداءه، قالت: وإذا ذبحنا شاة، قال: أعطوا صويحبات خديجة، وكان يدعو لها ﷺ، وإذا ذكرها تفيض عينيه بالدموع ﷺ.

يقول شوقي:

وإذا صحبت رأى الوفاءَ مجَسْماً
في بردكِ الأحبابُ والخلطاءُ
وإذا أخذتَ العهدَ أو أعطَيته
فجميعُ عهدِك ذمةٌ ووفاءٌ

أين يوجد هذا الوفاء والكرم؟ إلا في هذه السيرة العطرة، بأبي هو وأمي ﷺ. أشكرك أن ذكرتنا بخديجة، بالكفاح والنضال، امرأة وفّت مع زوجها الصادق الأمين المخلص الذي أتى لإنقاذ البشر من الظلم.

الحمد لله أن يسّر لنا، في هذا الوقت الرغبة للحديث عن هذه الأجواء الطيبة العطرة، عن بيت النبوة، عن زوج النبي ﷺ، وعن ابنته.

الهاشمي: ولا ننسى موقفها عندما حوصر المسلمون في شعب بني هاشم وضُيِّق عليهم. لم يسجّل التاريخ عليها موقف تردُّد واحد في سيرتها مع الرسول ﷺ ولا في أي لحظة. أنا أعتقد أنّ لها دينا عليّ، وعليك، وعلى كل المسلمين والمسلمات في كل عصر.

القرني: صدقت، وأسأل الله أن يكافئها على ما قدّمت، وعلى ما فعلت، وهي أول امرأة شهِدت «أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» حتى دفعت مالها ووقتها وراحتها وعمرها واستشارتها.

وقفت الدنيا ضد محمد ﷺ، وهي وقفت مع محمد ﷺ وحدها، قبيلة قريش كلها ضده، هي وحدها بصبرها، فأسأل الله أن يكافئها، ويجعلها مع النبي ﷺ.

مناقشات مع المشاهدين

الهاشمي: نستقبل الآن مكالمات المشاهدين .

مها[١]: يعلم الله أني أتمنّى أن يرزقني زوجاً وذرية مثل علمك وأخلاقك، (تخاطب الشيخ عايض) والله لقد صافحتك بيدي في منامي، وسألت عن تفسير لهذا الحلم فقالوا: ستنجبين ابناً فقيهاً عالماً، وسألت الله أن يرزقني ما أريد.

لا تنسني من دعائك، ولا تنس أن هناك أخوة وأحباباً لك، فلا تفكر بالاعتزال مرة أخرى، وشكر الله لكم، وجزاكم خيراً.

القرني: بارك الله فيك يا أخت مها، ورزقك الذرية الناصحة الصالحة، التي تحفظ كتاب الله وتعمل بسنة نبيه ﷺ، وأمّا الدعوة فهذا واجب شرعي لا يتركه المؤمن حتى يموت ﴿واعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ﴾(الحجر:٩٩).

فهد[٢]: ليس عندي أي مداخلة، ولكني أحببت أن أثني على البرنامج وعلى القناة وعلى الشخصيات التي فيها، وبالذات الشيخ عائض القرني، وأنا أدعو الشيخ أن يدعو لي بالخير والتوفيق، وجزاك الله خيراً دكتور محمد، والشيخ عائض.

(١) ثلاث مداخلات، أولها مداخلة للأخت مها من الرياض.
(٢) مداخلة للأخ فهد من الرياض .

القرني: بارك الله فيك، أشكرك أخ فهد، وعسى الله أن يوفقك ويفتح عليك وعلى جميع المسلمين، أما ما ذكرته من شكر قناة (المستقلة) فأضم صوتي إلى صوتك، ومبادرة طيبة أن تُطرح هذه الموضوعات، موضوعات الأمة، موضوعات عقائد الأمة، ومصير الأمة، واتفاق الأمة، على مبدأ صحيح، وعلى تصفية تراث الأمة مما علق بها، وأشكر قناة (المستقلة) على أنها أسمعت العالم صوت القرآن، الكتاب الخالد، الكلام الذي اهتزّت له الجبال وضمير الناس والإنسان. والله لو كان عند الأمم وثيقة مثل هذا الكتاب الخالد لتباهوا بها وتباروا بها وقدموها للناس. كتاب لا يغيره الدهر، ولا تنتهي عجائبه وغرائبه وفوائده، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(الحجر:٩).

أبو علاوي[١]: أرجو أن يتّسع صدر الشيخ القرني، لأننا نختلف لنلتقي إن شاء الله. الإسلام اليوم ليس مذهبا واحد بل مذاهب عدة، هذا حال الأمة اليوم ممّا يقتضي سماع الواحد منّا للآخر.

أخي العزيز، تكلمنا عن حديث الكساء، واليوم أمامي الأدلّة:

أخرج الطبراني، وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «ما أنزل الله:(يا أيها الذين آمنوا) إلاّ وعليٌّ أميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان، وما ذكر علياً إلا بخير».

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال: «ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في عليّ».

---

(١) مداخلة للأخ أبو علاوي.

وأخرج ابن عساكر أيضاً عن ابن عباس قال: «نزلت في عليٍّ ثلاث مئة آية».

وأخرج البزار عن سعد قال: قال رسول الله ﷺ لعليٍّ: «لا يحلُّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك».

بالله عليك يا أخي، هذه الأحاديث أمامي وهي تبيّن فضل الإمام عليّ سلام الله عليه، ورضوان الله على صحابته.

ولكن الاستغراب من الشيخ عائض القرني بعد كل هذه الأحاديث، وغيرها كثير، أن يقول: أبو بكر أفضل من عليّ. فهل هذا موجود في القرآن، ومدعّم في آية، أن أبا بكر أفضل من علي. أنا أرى أن عمار بن ياسر أفضل من أبي بكر وعمر.

القرني: أشكرك يا أخ أبو علاوي على أدبك وحسن عرضك، واحترامك للآراء الأخرى. يا أخي نحن لم نأت لنعرض بضاعة نأخذها من كتب، بلا أسانيد ولا رجال، وبلا جرح ولا تعديل، أقول لك أنت عرفت بعض الروايات، أمّا أنا فخمس وعشرون سنة أدرس الروايات والسند، ومسئوليتي أن أمحّص، وأميّز الصحيح من الضعيف.

أنت تنقل من كتب، كالطبراني وغيره، وابن عساكر، هم من أهل السنّة بلا شك، ولكنّهم يروون الصحيح والضعيف والواهي، واعترفوا في بعض كتبهم قالوا: نرويها حتى يعلم الناس بها، فهذه التي ذكرتها أنت يا أخي ضعيفة عند علماء أهل السنّة، وأهل والجرح والتعديل، لا يضعفونها من أجل عليّ، لأنهم يحبّونه، ويتّبعونه، ويتولّونه، ويضعون



دماءهم ونحورهم دون عليّ، لكنّها للأمانة العلمية.

الرواية التي ذكرتَها: «نزلت في عليّ ٣٠٠ آية». ليست صحيحة، ومن قال بهذا وما هو السند الموصل لذلك؟ وما هي الآيات الثلاث مئة؟

ورواية: «لا يجنب غيري وغيرك في هذا المسجد». ضعّف كثير من أهل العلم هذا الحديث. وهو من حيث المعنى باطل. إذا كانت الطهارة في المسجد تقتضي ألا يدخل جنب، فلماذا يُستثنى عليّ من الحكم الشرعي رضي الله عنه وأرضاه.

أنت ترى أنّ عمار بن ياسر، أفضل من أبي بكر، هل لأن عمارا وقف مع علي؟ ومن ثمّ لابد أن يبحث عن فضل لعمار حتى يُقدّم على أبي بكر. نحن نتولى الجميع، ونحن عندنا أدلة قاطعة من المعصوم ﷺ بفضل أبي بكر، أذكر منها دليلين فقط:

❁ أنه قدمه في الصلاة، هل أُجبر الصحابة بعد وفاته ﷺ؟ هل قام أبو بكر بسيف أمام الناس ومعه شُرطة ومعه (كمندوس)؟

❁ ومنها إغلاق جميع الخوخات إلّا خوخة أبي بكر، واعتراف علي رضي الله عنه له بالفضل، بأحاديث صحيحة«رضيه رسول الله ﷺ لديننا، أفلا نرضاه لدنيانا؟ واعتراف الصحابة له.

أرجوك يا أبا علاوي على ما أتاك الله من حسن أدب وحسن عرض أن تعتمد علم السند، يا أخي راجع كتب الجرح والتعديل.

أُتي هارون الرشيد بخارجي فأمر بقتله، وكان ممّن يكذب على رسول الله ﷺ في الحديث. قال: كيف تقتلني وقد وضعت أربعة آلاف حديث كلها مكذوبة؟! قال: والله لآتين لها بابن المبارك، وأبي إسحاق، والفزاري، يخرجانها حرفاً حرفاً.

مسألة كبيرة مثل مسألة الإمامة بالدين، والإمامة بالخلافة؟ ينبغي ألّا نمر عليها من دون التأكّد من الحديث، وسنده، وصحّته.

الهاشمي: لما مات رسول الله ﷺ هل بقي من أمر الدين شيء لم يبلغه للناس، بحيث تتأثر نظرة الناس إلى الدين بشخصية من سيحكم بعده؟

القرني: أحسنت وأجملت في هذا السؤال. أما علمت أنه في يوم عرفة، في خطبة الوداع قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ورَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾(المائدة:٣).

عند البخاري يأتي يهودي إلى عمر بن الخطاب يقول: «آية في كتابكم لو نزلت علينا معشر يهود لاتخذنا ذاك اليوم عيداً». قال عمر: إني أعلم اليوم الذي نزلت فيه، والمكان الذي نزلت فيه. قال: أين نزلت؟ قال: نزلت في عرفة، اليوم التاسع من ذي الحجّة، والرسول ﷺ في الحج ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ورَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾(المائدة:٣).

معنى ذلك أنه كمُل الدين، وتمّت النعمة، و لم يبق أمر مما تحتاجه الأمة المحمدية من التشريع إلّا وقد كمُل قبل وفاته ﷺ، وإلّا ما تمّت الرسالة.

الهاشمي: لو حكم الأمة بعد وفاة الرسول ﷺ بلال بن رباح، أو الزبير بن العوام، أو سلمان الفارسي، ما المشكلة؟

لو كان معنا إنسان أجنبي، أقصد غير عربي، وأراد أن يدخل في الإسلام، هل يؤثر أمر الحكم والسلطة بعد وفاة النبي ﷺ في دينه ومعرفته بأصول الإسلام وأركانه؟ أم أن المهم بالنسبة له هو العمل بأركان الإسلام وشرائعه؟

القرني: نعم، أحسنت لأن معنى الرسالة عندنا كتاب وسنة، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(الحجرات:١٣).

ثم نقول بالعقل يا أخي: بالله، هل يُتصور أن الله أراد أن يحفظ هذه الأمة ويجعلها أمة خاتمة، ورسالة خاتمة، ويحفظ الشريعة، ثم تنقل الخلافة بلغط وجور وعدوان من علي رضي الله عنه لأبي بكر، والأمة ساكتة، ثم تستمر القرون والأمّة تزكّي أبا بكر.

الهاشمي: لو قامت القيامة في عهد سيدنا أبي بكر واجتمع الناس ليوم المعاد. هل ينقص من إسلام من أسلم شيء بسبب موقفه من هوية الحاكم في الدولة الإسلامية بعد وفاة النبي ﷺ ؟

القرني: أبداً، ولو كان علي إماماً بعد أبي بكر، ما زاد ذلك في ديننا شيء، وما نقص شيء. لماذا لم يحتجّ عليّ ولو بكلمة واحدة على خلافة أبي بكر. كل ما يُذكر من خلافات بينهم، إنّما ظهر من بعض الرواة، في قرون لاحقة للإساءة لأصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام.

أبو عبد الرحمن[١]: أسال الله العظيم أن يجمعنا بكم في يوم القيامة بإذن الله وأشهدكم أنني أحبكم في الله.

سؤالي يتعلّق بالآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾(الأحزاب:٣٣). إخوتنا الشيعة يقولون: لا يوجد نون النسوة في الآية.

أقول والله أعلم: إنّ فاطمة الزهراء، هي بنت رسول الله، فلماذا شملت الآية فاطمة الزهراء، و لم تشمل زوجات النبي عليه الصلاة والسلام.

الهاشمي: جوابهم: إنّ حديث الكساء هو الذي يجعلها مشمولة بالآية.

القرني: في حديث الكساء، لم تذكر نون النسوة، لماذا ما حولت الميم التي في حديث الكساء إلى نون؟

الهاشمي: لأن الموجودين هم: سيدنا محمد ﷺ، وسيدنا علي، وسيدنا الحسن والحسين، وامرأة واحدة هي فاطمة، فيبقى إذن الضمير ضمير مذكر، كما احتججتَ أنتَ بتغليب المذكّر على المؤنّث.

القرني: ليقبلوا جوابنا، فنقبل هذا الجواب.

الهاشمي: لو التقيت بشخص في ردهة الفندق، وقال لك: أنا معي أهلي في الغرفة. عندما يقول: أهلي، يقصد: زوجته، واحتمال: أقرباءه.

أبو هلال[٢]: والله نحبكم في الله، ملاحظة: نصيحتي لكل أخ كريم

---

(١) مداخلة للأخ أبو عبد الرحمن .
(٢) مداخلة للأخ أبو هلال من الإمارات .

أن يرسل السؤال، أو الانتقاد عبر البريد الإلكتروني أو عبر الإدارة لأنها تكون أنفع.

هناك فكرة أضعها دكتور محمد الهاشمي للتقريب بين المذاهب أن يقام موضوع بعنوان: (تصفية المذاهب من الشوائب) ويُدعا بعالمين من علماء السنة، وعالمين من علماء الشيعة، بوجود لجنة تحكيم، وتكون أمهات الكتب متوفرة.

الهاشمي: فكرة طيّبة، وهي محل درس، ويوجد من إخوانك من طرحوا مثلها، وقد بعثت ستة أسئلة للسيد السيستاني، وعندي أمل كبير أن يحدث بها اختراق في العلاقات السنية الشيعية لمراجعة بعض المسائل، ونبني عليها ربما النقاش الذي اقترحته.

أنس[١]: يا شيخي الكريم والله إني أحبك في الله وبصدق.

ما أتمناه لكل المسلمات أن يأخذوا(٥٠٪) من أخلاق السيّدة فاطمة، وليس (١٠٠٪).

الهاشمي: إن شاء الله ربنا يحقق مرادك ويتحلى المسلمون رجالا ونساء بأخلاق بيت النبوة.

علي الموسوي[٢]: نحيي جناب الشيخ القرني ونشكر الأخ الهاشمي على هذا البرنامج.

سؤالي: لماذا كتبت للسيستاني، و لم تكتب للقزويني، ما هذا

(١) مداخلة للأخ أنس من كردستان.
(٢) مداخلة للأخ علي الموسوي من كندا.

التناقض؟ هذا نوع من الحيل التي وجدتها في مناقشاتكم هذه.

الهاشمي: لا يوجد تناقض. أعلمك أنني دعوت السيد الحسيني القزويني، وهو عالم وأستاذ جامعي في الحوزة العلمية في قم، ورجل يتحلى بالخلق الكريم، والتهذيب واللطف، ومن علمائكم المجتهدين. تحدثت معه بالهاتف ودعوته إلى البرنامج، كما كلمت الشيخ عائض، وكما كلمت جميع الضيوف في الجولات السابقة من برنامج "الحوار الصريح".

حين ندعو الضيوف للبرنامج نخبرهم عن المحور الرئيسي للنقاش، وأهم وأبرز الموضوعات التي سنتكلم بشأنها. لكن السيد القزويني اشترط عليّ إرسال خطاب مكتوب مفصل له، يتضمن مطالب محددة اقترحها بخصوص البرنامج، وجعل ذلك شرطاً لحضوره. لم أقبل منه هذا الشرط و لم أرغب في التعامل معه بطريقة مختلفة عما تعاملت به مع بقية ضيوف البرنامج. عرضت عليه أن أعامله مثل معاملة الشيخ الدكتور عائض القرني لا أكثر ولا أقل. هذه هي الأسباب التي حالت دون مشاركة السيد الحسيني القزويني.

أما السيد السيستاني، فكتبت إليه طالباً منه الفتوى، وإيضاح بعض المسائل التي أرها مهمة للوصول إلى تفاهم أفضل ومعرفة أوثق بين المسلمين. طلبت منه التكرم بإجابتي على عدد من المسائل منها:

❁ ما حكم الشريعة في مسلم لا يقول ولا يؤمن بولاية الإمام علي مثلاً؟

❁ ما حكم الشريعة في من يلعن الخلفاء الراشدين، أو بعضهم؟

❁ ما حكم الشريعة في من يضرب نفسه ويدمي جسده؟

❁ ما حكم الصلاة في أماكن غير المساجد؟

أنا وجهت له الأسئلة وأتطلع إلى تلقي أجوبته لتعرض وتناقش. وإن شاء الله يأتي جوابه الكريم. إذن، لا يوجد تناقض يا سيد الموسوي.

علي الموسوي: الحاج وعد ممكن أن يأتي مع القرني، ويشترك عالم شيعي، وآخر سنّي.

الهاشمي: عزيزي: الأخوة الشيعة كُثُر، نحن اخترنا، ودعونا عالماً من علمائهم إلى البرنامج، لكنه اعتذر. كما دعونا الشيخ عائض، وهو لبى الدعوة.

هل يعني هذا أن الشيخ القرني هو العالم الوحيد لدى أهل السنة ؟ لا. أبداً. والشيخ عائض لا يدّعي هذا أبداً.

على كل حال، نواصل النقاش والحوار غداً بإذن الله في السهرة الرابعة.

السهرة الرابعة

بدأ الدكتور محمد الهاشمي هذه السهرة بالترحيب بالمشاهدين وبضيف البرنامج ثم قرأ قصيدة من قصائد الدكتور عايض القرني:

سقاك أخا الجوا من دمع عيني ورواك الحيا من مقلتين

سألتك مرة في اليوم وصلا وها أنذا أسأل مرتين

فخذ مني وصايا نافعات بها التوفيق في دنيا ودين

إذا ما الليل أظلم فاغتنمه وحسبك أن تصلي ركعتين

وصم يوما شديد الحر تروى به في يوم تؤخذ باليدين

وصاحب مصحفا فردا جليلا ورتل آية في كل حين

وأكثر ذكر من خلق البرايا وسبح يا أخي في الغدوتين

وأشبع من طعامك بطن خال شديد الجوع يسأل كسرتين

وصل رحما تولت عنك وابدأ ببرك مكرمًا للوالدين

وعش دوماً سليم الصدر شهماً بشوش الوجه طلق الوجنتين



ووقتك لا يفوتك فاغتنمه لعلك أن تموت بلحظتين
ولا تغتب عروض الناس دعها ستأوي حفرة من حفرتين
وزر هذي المقابر إن فيها حديثا سار من ذاك الأنين
فخذ زاداً لذاك القبر واغنم وقدر أنت تحيا ليلتين

الهاشمي: أجدد الترحيب بمشاهدي البرنامج في هذه الجولة الخاصة التي نناقش فيها مكانة أهل بيت النبي ﷺ عند أهل السنة. وكما جرت العادة في الحلقات الماضية أقرأ الآن بعض الآيات المتصلة بالموضوع، ثم أدعو الشيخ عائض لتقديم تفسير موجز لها.

آيات من سورة ق

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق٣١-٣٥].

القرني: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه المرضي عنهم المزكّين، وعلى من سار على منهجهم إلى يوم الدين.

شكر الله لكم دكتور محمد على هذا الاستهلال القوي المؤثر بكتاب الله عز وجل.

يقول سبحانه وتعالى: (وأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ).

كان عليه السلام يقرؤها في الجُمَع. تقول أم حارثة: «ما حفظت سورة (ق) إلا من رسول الله ﷺ، كان يخطب بها كل جمعة»[١].

الله سبحانه وتعالى بعدما تكلّم عن خَلْقِ الإنسان، وخَلْقِ السماوات والأرض، تكلّم عن سكرة الموت، وعن الآخرة، فبدأ سبحانه بجهنّم،ومن ثمّ انتقل للجنة، بأسلوب رائع.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ولَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ورَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً﴾(النور: ٢١).

إن الله وعد الذين فعلوا الفاحشة، وتابوا، بجنات النعيم، ﴿والَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ومَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾(آل عمران: ١٣١).

هل هناك منظمة عالمية أو هيئة دولية تغفر الذنوب؟ لا يغفر الذنوب إلا الله، (و لَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وهُمْ يَعْلَمُونَ).

(هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ) هنا: أواب حفيظ. أما الحفيظ: فهي على وزن فعيل: الحافظ وحفّاظ وحفيظ، وراعى سبحانه فواصل الآية (مريب وعتيد وعنيد ومزيد وغير بعيد) فقال: حفيظ.

(١)صحيح مسلم .

ولذلك مراعاة الفواصل بالقرآن أمر عجب. أين نذهب من هذا الكنز العظيم الذي يحير العقلاء ويدهش الناس ببلاغته؟

بالمناسبة في سورة (الذاريات) الذي أتى بعجل: قال تعالى: سمين. لأن الفاصلة نونية، فلما أتى في سورة (هود) قال: حنيذ. والحنيذ: سمين، والسمين: حنيذ.

قال:(لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ)، هو الذي يحفظ حدود الله. وقد أوصى ﷺ ابن عباس بهذه الوصية فقال: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك»[١].

الحفيظ لِمن: قال:(مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ)، هنا ذكر الرحمن لأنه كثير الرحمة، الذي وسعت رحمته سبحانه وتعالى كلّ شيء، فذكّر عباده بأنه رحمان بعد ذِكر الذنوب والخطايا.

قام أبو معاذ الرازي على منبر بغداد - وهذا لم تر الناس مثله من وعاظ العالم على مرّ التاريخ - وقال: لا ينفع المرء إلا فضله والعمل الصالح، قالوا: فإن لم يكن له عمل صالح، قال: مصائب مكفّرة. يعني: يبتلينا الله بالمصائب المكفّرة فتكفِّر عنّا. قالوا: فإن لم يكن؟ قال: شفاعة سيد الخلق ﷺ. قالوا: فإن لم يكن؟ قال: رحمة أرحم الراحمين. فضج الناس بالبكاء. قيل له: إذا أعرض عنّا بوجهه الكريم سبحانه، ماذا نفعل. قال قولوا: لا إله إلا الله.

---

(١) رواه الترمذي وأحمد بسند صحيح .

وغـــير تـقــي يــأمــر الـنــاسَ بـالـتُّـقـى

طـبـيـب يـــداوي الـنـاس وهـــو عـلـيـلُ

فهنا قال: (من خشي الرحمن بالغيب) أي إنه خال ليس عليه رقابة.

(وذروا ظاهر الإثم وباطنه) الباطن لا يطلع عليه إلا الواحد الأحد.

يقول ثعلب النحوي اللغوي: وفدت على أحمد بن حنبل فسلّمت عليه فقال: مَن أنت؟ قلت: أنا ثعلبة. قال: فماذا عملك؟ قلت: أحفظ الأشعار. قال: أسمعني. قال: فأسمعته. يقول أبو نواس:

إذا خـلـوت الـدهـر يـومـا فـلا تـقـلْ

خـلـوتُ ولـكـن قـل عـلـيَّ رقـيـبُ

ولا تحـسـبن الله يـغـفـلُ طـرفـةً

ولا أن مـا يـخـفـى عـلـيـه يـغـيـبُ

قال: فوضع أحمد القلم، ووضع الأوراق، وأغلق الغرفة، ووالله إني سمعت نحيبه يبكي من خلف الباب وهو يردّد:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل عليَّ رقيب

ومن أجمل الأدب الأندلسي قصيدة القحطاني التي يقول فيها:

وإذا خـلـوت بـريـبـةٍ في ظـلـمـةٍ

والـنـفـسُ داعـيـةً إلى الـطـغـيـانِ



فاستح مِن نظر الإله وقل لها

إن الذي خلق الظلامَ يراني

ذكر اللواء الركن محمود شيت الخطاب العراقي المشهور -رحمه الله- أنّ أحد القادة الضباط كان عنده مراقبة فخرجت فتاة، فقال لها: ما عندنا أحد، ما هناك إلا الكواكب في السماء، قالت: فأين مكوكبها؟ قال: فكانت سبب هداية هذا الضابط، وأصبح من الدعاة، الذين يدعون للواحد الأحد.

عمر بن الخطاب ذهب معتمراً من المدينة إلى مكة، وفي الطريق أراد أن (يجس نبض الرعية) فوقف عند راعي غنم، فقال: يا راعي أعطني شاة من غنمك. قال: الغنم لسيّدي، وسيّدي لا يأذن. قال: قل له أكلها الذئب. فقال: فأين الله؟ فجلس عمر يبكي، ويردد: أين الله يا عمر؟

كان عمر رضي الله عنه يتحسّس أمر رعيّته، وفي ليلة سمع امرأة تقول لابنتها -وقد ذكرتم القصّة في سيرة عمر-: امزجي اللبن بالماء، فقالت البنت: إنّ أمير المؤمنين قد منع ذلك، فقالت الأم: وما يدري عمر؟ قالت: إنّ ربّ عمر يرانا. فعرف البيت وزوج ابنه عاصم من هذه الفتاة، فكان من ذريته عمر بن عبد العزيز، الذي ملأ الأرض عدلاً وإيماناً رضي الله عنه وأرضاه.

نحن بحاجة إلى أن نتّقي ربنا، ونخشاه بالغيب، ولئن فعلنا ذلك لصلح حال الأمة راعياً ورعية، ولصلح حال الكُتّاب. من يراقب الدور الحكومية؟ من يراقب المؤسسات؟ من يراقب الهيئات الاقتصادية؟ إلا من

خشي الرحمن بالغيب.

قال تعالى: (وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ).

يقول رسول الله ﷺ: «وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب». نحن بحاجة إلى قلوب منيبة.

هناك قلب سليم، وهنا قلب منيب. السليم: من كل شرك وشبهة وشهوة وإثم وفاحشة، أتى سليم من كل شيء، طاهر.

وهنا منيب: رجّاع إلى الله سبحانه وتعالى، وهو الذي عرف طريق التوبة فتاب إلى ربه، ولا يمكن أن يتوب الإنسان حتى يأتي بقلب منيب، نحن بحاجة لتربية القلوب قبل تربية الأبدان.

«ما سبقكم أبو بكر بكثرة صدقة ولا صيام ولا صلاة ولكن بإيمان وقر في قلبه».

فيا أيها المسلمون هذه القلوب ربّوها على طاعة الله وعلى توحيده وعلى خشيته لتنالوا (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ) هذا الجزاء.

قال: (ادْخُلُوهَا) وهذا التكريم من الله سبحانه وتعالى، هذه الدار التي بناها الله سبحانه وتعالى والتي ما رضي أن يتولاها غيره إكراما لعباده.

قال: (ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ) فالله سلام وداره سلام وعباده يدخلون بالسلام.

اختار السلام هنا، السلام من الخوف والقلق والآفات والعاهات.

فأما العاهات فلا تصيبهم عاهة، حتى إنّهم يُغمسون في نهر الحياة عند باب الجنة، فيذهب مَن كان به برص أو آثار برص أو مرض أو سل، فيأتون وجوههم من السرور مسفرة، لا ذلّة ترهقهم، ولا قترة. جعلنا الله وإياكم دكتور محمد منهم وجميع عباده الصالحين.

(ادْخُلُوهَا بِسَلام) فهم يحيَّون بالسلام، حتى الملائكة: ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾(الرعد:٢٣-٢٤) لا تسمع إلا سلام، فليس هناك شتم، ولا سبّ، ولا غيبة، ولا خلاف، ولا جدال، كلها سلام في سلام.

ثم قال سبحانه: (ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ) لا يتم مقام في الدنيا إلا أن يكون هناك خلود، لا يصلح شيء من النعيم إلا إذا عرفت أنه مستمر دائم أما نعيمنا نحن فأشبه بالمسرحية.

يقول (ستيفن كوفي) مؤلّف كتاب (العادات السبع): زرت مقبرة كاليفورنيا، فرأيت قبر رئيس الجمهورية بجانب قبر الفقير الحقير.

يقول: إن الحياة مسرحية عابثة إذا ما كانت هذه النتيجة.

وفي ذلك يقول ابن الزبعرى:

وسواء قبر مثر ومُقل

هارون الرشيد بهجة الملوك، والعلماء الذين في عهده صفوة العلماء، مالك، وابن المبارك، والفُضيل، بنى قصراً في بغداد، واستدعى الشعراء جميعاً، فأدخلوهم فجاء أبو العتاهية فوقف أمامه وقال:

عـــشـــ مـــا بـــــدا لــــك ســـالمـــا

في ظـــل شـــاهـــقـــة الـــقـــصـــور

تجـــري عـــلـــيـــك بمـــا أردت

مـــع الـــغـــدو ومـــع الـــبـــكـــور

فـــإذا الـــنـــفـــوس تـــغـــرغـــرت

بـــزفـــير حـــشـــرجـــة الـــصـــدور

فـــهـــنـــاك تـــعـــلـــم مـــوقـــنـــا

مـــا كـــنـــت إلا في غـــرور

يقول علي الطنطاوي – رحمه الله –: ساعة الصفر هي ساعة الموت، فيها يذعن الجبار، ويستسلم الكافر، وفيها يضعف القوي، وفيها يذل العزيز، وفيها يتخلى الإنسان عن كل استعداداته، وعن كل مباهاة.

(ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ) هذا هو الأمن الخلود عنده سبحانه وتعالى، أما هنا في الدنيا فلا استقرار، أما هنا فلا خلود.

ثم زيادة في النعيم (لَهُم مَّا يَشَاءُونَ) تصور هذا الأمر أن الله سبحانه يعطيهم ما تشتهيه الأنفس، يقول لهم: ما يشاءون، ومن الذي يكرم؟ الجواد الذي لا ينته بره ولا خيره سبحان فضله وكرمه.

يوم قال اليهود عن الله سبحانه: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾. انظر الرد كيف كان: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ

يَشَاءُ﴾(المائدة:٦٤) فتجد الكرم والعطاء الذي لا حدّ له سبحانه وتعالى.

(لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا ولَدَيْنَا مَزِيدٌ) يعني: زيادة. ما هو المزيد؟ قال العلماء: الزيادة هو النظر إلى وجهه الكريم جلّ في علاه، لا إله إلا هو. فنسأل الله أن يرينا وإياك وجهه الكريم. آمين.والصحيح أن الله سبحانه يري أولياءه وجهه الكريم في جنات النعيم.

انظر استدلال محمد بن إدريس الشافعي يقول: لما قال الله سبحانه: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين: ١٥)قال: لما حجب أعداءه دلّ على أنه يُري وجهه أولياءه. [وبضدّها تتميز الأشياء]

كما قال أبو الطيب، وهذا يسمى مفهوم المخالفة في الأصول عند الأحناف.

هذه الآية التي أحسنتم كل الإحسان في استهلال هذه الجلسة بها أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يقول: (ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ). ونحن ننتظر موعد الباري سبحانه ونُشهد الله وملائكته وحملة عرشه، أنّنا نشهد أن لا إله إلا هو، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ، ونشهد بأنّنا مقصرون ومذنبون ومخطئون، لكن الكرم كرمه:

إن الملوك إذا شابت عبيدهم
في رقّهم عتقوهم عتق أبرارِ
وأنت يا خالقي أولى بنا كرما
قد شبت في الرق فاعتقنا من النارِ

الهاشمي: آمين. بارك الله فيك وزادك فضلاً وعلماً إن شاء الله، وجعلني وإياك ممن يوجّه إليه هذا الخطاب الكريم يوم القيامة، ممن تزلف الجنة لهم غير بعيد، ممن يدخلونها بسلام، ذلك اليوم يوم الخلود، وأسأل ذلك للجميع.

الأخ مهدي من العراق أرسل برسالة يقول: إنّه من أحد المتابعين لقناة (المستقلة)، خصوصاً الحوارات التي تتناول الأديان والمذاهب، يقول: وجدت فيها من الفوائد التي تغني عن كثير من الكتب والمكتبات، فهي جامعة بحدّ بذاتها، وجدت فيها الخير الكثير - يشير لحوار الأديان - وقد شارك معنا الدكتور محمد بن يحيى النجيمي من طلاب العلم - كما تسمونهم أنتم في المملكة - أستاذ المعهد العالي للقضاء، والحاخام اليهودي جوناثان ويتبرع، والقسيس المسيحي فرانك غيلي، وتقريباً بصفة شهرية هناك حوارات في (المستقلة)، بين اليهود والمسيحيين والمسلمين، حول الأمور التي تجري في العالم والتي تهم الشرائع الثلاث، وموقف أهل العلم في كل ديانة منها مما يجري في إطار منهج (المستقلة) لتشجيع ثقافة الحوار الذي يقوم على احترام كل الشرائع والثقافات، وإن كانت الأغلبية الساحقة من ضيوف (المستقلة) ومشاهديها، هم من المسلمين، لكن يشاهدها أيضاً الإخوان المسيحيين العرب، وهم عدد معتبر وكبير.

خطابنا موجه إلى الجميع دون تمييز، وباحترام للجميع، لليهود، للمسيحيين، وللمسلمين.



القرني: نعم. نحن المسلمون نؤمن بمحمد ﷺ، وموسى، وعيسى، فإذا لم نؤمن بأحد من هؤلاء لا يُقبل إيماننا أبداً.

ونقول بالمقابل: يا أهل الكتاب، آمنوا بمحمد ﷺ كما آمنا بموسى وعيسى، ثم إن رسالته ﷺ ناسخة لما قبلها من الشرائع والرسالات فليُعلم ذلك.

الهاشمي: الأخ مهدي من العراق، غاضب من بعض المتصلين الذين يحاولون أن يعرقلوا صفو البرامج، بالطعن والتشويش، وهو يستغرب جداً. يقول: كأنهم يغتاظون عندما يسمعون أن المسلمين كافة يحبون الرسول، وآل بيته الأطهار، وكان من المفترض أن يفرحوا ويسعدوا، وليس أن يغضبوا لذلك.

حساسيات حول الوهابية

الأخ أحمد عجيل يبعث رسالة يقول: أُعلن اعتراضي وانزعاجي من أن يطل علينا عائض القرني من على (المستقلة) ويتحدث عن مودة بيت أهل الرحمة، لأنّه من الوهابيين، فهو لا يحق له أن يتحدث عن المودة والرحمة عامة، فكيف بحب ومودة من اصطفاهم الرحمن وجعل مودتهم أجر الرسالة بقوله تعالى: (قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى)؟

ويشير بقوله: وهذا (أي الشيخ القرني) توقيعه السادس والعشرون في قائمة المشايخ الوهابيين، ويتهم الوهابيون بأنهم أفتوا بقتل المسلمين في العراق.

القرني: الأمر الأوّل: أنا لم أكن في القائمة مع (الـ ٢٦)، ولم أوقّع، بغض النظر عن اجتهادهم.

الأمر الثاني: أنا أناشد الأخ أحمد قبل العدوان علينا، أن يقرأ كتب ورسائل الشيخ المجدّد محمد بن عبد الوهاب غفر الله له ورحمه، يا أخي نحن رُبِّينا من الصِّغر على رسالة محمد ﷺ، ومع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أو غيرها من الكتب وأئمة الدعوة على حب أهل البيت، وهذه عقيدتنا، والله ما أتينا بها تزلفاً، وعلى ذلك قلت لكم مرات كثيرة: هذه عقيدة المسلمين منذ صحابة رسول الله ﷺ إلى الآن، وهي عقيدة أكثر من مليار من الأئمة والعلماء والدعاة والقضاة والولاة والمصلحين، فاتق الله يا أخي وتجرّد إلى الحق، وأناشدك أن تقرأ الكتب بلا تعصب، اقرأ ماذا يقولون في كتبهم، وسوف تجد أن أهل السنة يحترمون ويقدّرون ويتولّون أهل البيت، لكنهم ليسوا كالنواصب، الذين يسبون أهل البيت معاذ الله، ولا كالغلاة الذين يُغالون في أهل البيت ويدّعون لهم العصمة، ويطوفون بقبورهم وعند أضرحتهم. لا، نحن ندعو للوسطية، ونناشد المسلمين أن يتبعوا الرسول ﷺ وحده، لأنه مبعوث إلى الناس كافة ﷺ.

الهاشمي: أكثر الرسائل تشكرك على أداءك، وعلى ما ذكرت من معلومات، وتثني على (المستقلة)، لاستضافتها لحضرتك، واحترامها

لكل الآراء. إنّ الترحيب بكل الآراء هو الذي يجعلني أركّز على بعض المنتقدين.

أحد الأخوة يقول: أحب أن أستنكر الطريقة التي تقدِّم بها البرنامج، حيث إنّها غير عادلة، لأن موضوع الحلقة: مكانة أهل البيت، وأنت تأتي بشخص سعودي وهّابي.

هذا انتقاد لك أنت. ويوجد انتقاد ثان لي. بأنّني غير عادل. أعود لانتقادي فيما بعد. أنت كسعودي وهابي هل يوجد مشكلة بينك وبين أهل البيت؟

القرني: يا أخي، لماذا الحساسية عند بعض الأخوة، يقولون: سعودي وهّابي!

بلاد الله كلها واحدة، لكن مهبط الوحي في السعودية. لم يهبط الوحي في رومانية ولا هنغارية. وقبلة المسلمين عندنا، ومنطلق الخلفاء الراشدين، وأهل البيت كلهم كانوا في مكّة.

رسالتنا عالمية للناس كافة، لكن أنا أرجو الأخ أن يتجرد إلى الحق، نحن مع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

جلستُ مع أناس في أوروبة يتكلمون عن الوهابية، سألتهم: هل قرأتم كتبهم؟ قالوا: لا. قلت: هذا ليس في كتبهم.

ثم لماذا هم يعتقدون أنّا في السعودية ضد أهل البيت. هل ينصر أهل البيت إلا نحن؟ هل كانت انطلاقة الدعوة الخالدة الصحيحة، دعوة أهل

السنة، إلا من بلادنا دون أن نقصر أو نقلل من أي قدر، لأننا ضد العنصرية والعصبية.

صلاح الدين الأيوبي مسلم كردي، أنا أحترمه، أنا أقدّره، لأن المسلمين لما انحرفوا في فترة من فترات التاريخ جعل الله الدين لمن أعزّه وأكرمه.

محمود زنكي مسلم تركماني. يا إخوان لا تصنفوا الإسلام على حسب الدول وعلى حسب الأقاليم. الإسلام دين عالمي (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ). لكن متى هؤلاء الأخوة يتقون الله؟

أنا ذهبت إلى طهران لأقرأ أفكار الشيعة من هناك وأطّلع على كتبهم، أنا لا أقبل أن يقول لي سنّي مثلاً: أن الشيعة يقولون كذا، حتى أنظر في كتبهم.

أنا رسالتي في الماجستير: (البدعة وأثرها في الدراية والرواية)، رجعت إلى كتبهم من كتبهم، حتى لا نظلم الناس (ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ).

لماذا تُظلم دعوة الإمام المجدد محمد عبد الوهاب ويقال أنها جفت أهل البيت، هل بالله عليك سمعت أحداً يسبُّ أهل البيت؟!

أنت يا دكتور محمد قد زرت السعودية وتجوّلت في أكثر مدنها، وجلست مع المسئولين والولاة والقضاة والعلماء والدعاة، أما رأيت الاحترام لأهل البيت؟ أما رأيت التقدير؟

والله الذي لا إله إلا هو لو قام أحد في مجلس وتنقّص من الحسن أو الحسين لنطردنّه، وليجدنَّ من الإذلال، ومن الامتهان، ومن التعزير، إلى درجة أنه يُقدّم للقضاء، بل لا يستطيع أحد في السعودية أن يسب الحسن أو الحسين أو فاطمة أو واحدة من نساء النبي، هذا ترفع فيه قضية إلى الشرع ويُجلد، ويُحبس بسببها.

الهاشمي: يتابع الأخ، ويلح عليّ في هذا الموضوع فيقول لي ناصحاً: يا ليتك تنتبه إلى الوهابي، كما تحسب أنفاس الشيعي، الذي يتصل ويتداخل، يا ليتك تطبق العدالة، مع الأسف، هي غير موجودة بتاتاً في حوارك، لأنّ في داخلك ميلاً للوهابي مع الأسف (كما يقول).

هل الإيمان بولاية الأئمة شرط لصحة إيمان المسلم؟

وأجيبه: يا أخي العزيز أرد عليك بنفس العبارة الكريمة التي ذكرتها، أنا أعترف لك أنه صحيح أنا الآن لست بصدد إحصاء الأنفاس على الشيخ عايض، مثلما فعلت في بعض الفترات السابقة مع بعض الإخوان من ضيوفي الأعزاء الكرام، الذين يتحدثون من منطلق المرجعية الشيعية. لماذا؟ فقط أشرح لك السبب حتى تفهم. إذا الشيخ عايض القرني ضيفي يقول لي مثلاً: إنّه لا يدخل الجنة إلا من يُعلن ويضيف لإيمانه بالله ورسوله وملائكته وكتبه واليوم الآخر، إيمانه مثلاً بعصمة بأي واحد من الصحابة.

سأقول له: شيخ عايض.؟ سأقفه هنا، ولن أترك له المجال. قبل أن يسترسل سأقاطعه وأقول له: أين الدليل؟

عندما أقدم هذا البرنامج فإني أحاول أن أعبرّ عن نبض الشارع وأطرح الأسئلة التي تدور بخاطر المتخصصين وعند عموم المشاهدين. إذا تكلم عندي ضيف بأمر كبير ضخم أقول له: أرجوك لا تتجاوز وقدّم لي الدليل. إذا كان الدليل الذي قدّمه ضعيفاً وغير منطقي، أطلب منه إيراد المزيد من الأدلة .

عندما يقول لي أحد الضيوف: إنّ مليارا من البشر وأكثر لا يدخلون الجنة إلا إذا آمنوا بعصمة سيدنا عليّ، وأنت رأيت في الآيات التي شرحها الشيخ عايض في صفات المؤمنين، أنه ليس فيها أبداً، ولا في كتاب الله كلّه من أوله إلى أخره آية واحدة تقول:(إنما المؤمنون الذين يؤمنون بكذا وكذا، ويؤمنون بالعصمة لأولاد الحسين رضي الله عنه وأرضاه). لو وجدنا آية واحدة تدل على هذا لحسم الأمر ولانتهت المناقشة. لكن ما دام أنه لا يوجد آية واحدة، فإن عليّ أن أتشدّد مع الأخ الحسيني القزويني أو أي أحد آخر يقول هذا الكلام. هذا هو السبب.

ولو أن الشيخ عايض القرني قال كلاماً مماثلاً،وزعم مثلا أن من لم يؤمن أن سيدنا أبو بكر الصديق أفضل الخلق، يُخلّد في النار، فإن من واجبي ومن واجب أي شخص يدير هذه الندوة أن يقف له بالمرصاد ويسأله: من أين أتيت بهذا؟ أين دليلك؟

الشيخ عايض يذكّرني بفضائل سيدنا علي، يذكّرني بفضائل السيدة

فاطمة، ويذكّرني بمواقفها مع سيدي وإمامي وسيد الخلق وإمام الخلق ﷺ، هل تريدني أن أمنعه من ذكر هذه الفضائل. وأقول له: توقف يا عايض القرني!! هل تريد أن أتخاصم معه من دون سبب. على ماذا بالضبط في حديث يجب أن أعترض عليه وأخاصمه؟

يا أستاذ أرجوك أن تكون موضوعيا ومنصفا.

اتصل بي الأخ الدكتور عبد الحميد (أبو الزهراء) النجدي، وترك لي رسالة مطوّلة في هاتفي الجوّال قال لي فيما يخص موضوع الإيمان:

«إنّ الشيعة يعتبرون أهل السنة مؤمنين بالله ورسوله واليوم الآخر، لكنهم ليسوا مؤمنين بولاية الإمام علي، وهذا ينقصهم، لكن هذا لا يجعلهم مخلدين في النار». هذا رأي الشيخ الدكتور أبو الزهراء النجدي، وهو رأي طيّب في عمومه، وإن شاء الله تتيسر لي فرصة وأوجه له دعوة للبرنامج وأتواصل معه لترتيب حلقة للمناقشة.

لكن صدقني يا أخي العزيز النجدي، إنّ النصوص التي تقول بخلاف رأيك هذا موثقة في كتب المذهب، وأقرأ لك الآن نماذج منها متاحة بين يدي:

«لو أن عبداً عبد الله ألف سنة، وجاء بعمل اثنين وسبعين نبياً، لا يقبل الله منه حتى يعرف ولايتنا أهل البيت، وإلّا أكبّه الله على منخاريه في نار جهنم». وهذا الكلام منسوب إلى سيدنا جعفر الصادق، عن أبيه (الإمام علي بن أبي طالب)، عن جده، عليهم السلام.

«والذي بعثني بالحق نبياً، لو أن رجلاً لقي الله بعمل سبعين نبياً، ثم لم يلقه بولاية أولي الأمر منّا أهل البيت، ما قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً».

وفي حديث ينسبونه للنبي ﷺ: «يا علي، لو أن عبداً عبد الله مثل ما قام نوح في قومهن وكان له مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله، ومدّ في عمره حتى حج ألف عام على قدميه، ثم قُتل بين الصفا والمروة مظلوماً ثم لم يوالِكَ يا عليّ، لم يشم رائحة الجنة و لم يدخلها».

«والذي بعثني بالحق نبياً، لو جاء أحدكم يوم القيامة بأعمال كأمثال الجبال، و لم يجئ بولاية علي بن أبي طالب، أكبّه الله عز وجل في النار».

«لا أقبلُ عمل عامل منهم. قال: إلا بالإقرار بولايته (ولاية عليٍّ) مع نبوة أحمد رسوله.».

فيا أخي العزيز، حفظك الله، يا أبا الزهراء، أرجوك ابعث لي مقالة وقل لي فيها: إنّ هذه الآراء، وهذه الأحاديث المنسوبة للإمام الصادق، وللنبي ﷺ، ولسيدنا علي، التي تحرِّم دخول الجنة لمن لا يؤمن بولاية الإمام علي، غير معتمدة لديك، وأنا أؤكّد لك أنك سوف تُعد وسوف تُكتب في عداد المجدّدين في تاريخ الفكر الإسلامي، وخاصة تاريخ الفكر الإسلامي الجعفري، وإن شاء الله سوف يكتب الله لك أجر إنجاز تقريب جوهري ونوعي بين المسلمين.

هذه هي المشكلة يا أخي العزيز، وهي التي تجعل الشيخ عايض القرني لا يدّعي لأحد من الخلق بعد رسول الله ﷺ هذا المقام، و لم يطلب منّي ولا منكم أن نجعل في أي واحد ممن مدحهم عصمة أو ولاية تمنع الناس عن

الجنة، لذلك فإنّ الحديث معه ليس فيه إشكاليات جوهرية، ومع ذلك فأنا أعطي فرصة للأخوة، ليناقشوا الأمر معه.

نبدأ الآن حديثنا، كنّا قد أشرنا إلى حديث الثقلين لأن بعض الإخوان يقولون: إنّ النبي ﷺ أوصى باتباع القرآن الكريم، وأهل بيته، فماذا تقول في هذا الأمر حفظك الله ورعاك؟

تفسير حديث الثقلين

القرني: أولاً: حديث الثقلين رواه الإمام مسلم، وتعرف أن مسلماً من محدّثي أهل السنة الكبار الذين يعتمدون صحيحه بعد صحيح البخاري مباشرة.

قال زيد بن أرقم رضي الله عنه: «قام فينا رسول الله ﷺ يوماً خطيباً بماء يدعى خُم – مكان الغدير – بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر ثم قال: أما بعد. ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب – يعني تقبض روحه ﷺ فيموت – وأنا تارك فيكم ثقلين، كتاب الله سبحانه وتعالى، فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله، ورغّب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي».

أولاً: صحة الحديث: هو صحيح عند أهل السنة، فهو عند مسلم في الصحيح، وقَبِلَه العلماء.

ثانياً: معنى الحديث: إنّ رسول الله ﷺ أوصانا بكتاب الله أن نقرأه ونتدبره ونعمل به، ونحيّر به شئون حياتنا. وأوصانا ﷺ بأهل بيته أن نتولاهم ونحترمهم، ونذبّ عنهم، نحبّهم ونرى حقهم علينا، الحق الواجب الشرعي.

وهذا الذي فعله أهل السنة بأهل البيت رضوان الله عليهم وأرضاهم، من التوقير والتقدير والاحترام، وأن نحفظ وصية الرسول ﷺ فيهم، وأن يكون لهم كما تعرف خمس الفيء، والغنائم التي نص عليها الرسول ﷺ، ولا يجوز لنا أن نسبّهم أو نتنقّصهم، رضوان الله عليهم، أو نقلّل من شأنهم أيضاً، ولا نغلو، لأن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ (النساء: ١٧١) فلا نعتقد فيهم العصمة، ولا نطوف بأضرحتهم، ولا ننسب إليهم شيئاً من بعض صفات الألوهية، فنحن عملنا بالحديث والحمد لله، فعّلنا هذا الحديث في حياتنا كأهل للسنة.

الهاشمي: الحديث في صحيح مسلم، وللحديث بقية أقرأها عليك وأطلب تعليقك عليها:

أنا تارك فيكم الثقلين، يقول ﷺ أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به.

يقول الراوي: ((فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه))، ثم قال: ((وأهل

بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي».

فقال له حُصين - حصين يسأل الراوي -: ومَن أهل بيته يا زيد، أليس نساؤه من أهل بيته؟

قال: - راوي الحديث -: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته - كأنه يقصد المعنيين هنا - من حُرم الصدقة بعده.

سأله الرجل مرة ثانية: ومَن هُم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس.

قال: كل هؤلاء حُرموا الصدقة؟ قال: نعم].

فما تعليقك على بقية الجزء من هذه الرواية في صحيح مسلم؟

القرني: أرى أن هذا مقبول، ومعناه كما قال زيد، يقول أهل العلم: إذا روى الراوي حديثاً ثم قال رأياً يوافقك، كان أكثر تثبيتاً لروايته ودرايته بالحديث. فهو لما سُئل عن زوجات الرسول ﷺ، قال: نساؤه من أهل بيته. ثمّ لما قيل له: ومَن هم أهل بيته، أخبر بذلك.

ليس في الحديث إخراج لزوجات الرسول من أهل البيت قطعاً. لأنه إذا أوصانا ﷺ بالحسن والحسين، هل معنى ذلك أن نخرج علياً، وجعفر الصادق، من أهل البيت؟

فالرسول ﷺ إنما أوصى بأهل البيت مع الزوجات تنزُّلًا معهم.

لكن الفهم الصحيح لهذا الحديث أنه ﷺ أوصانا بآل البيت، فإن كان يقصد الخمسة فنحن نوصي بهم ونحترمهم ونقدرهم، وإن كان

يقصد الزوجات فنحن ندخلهم في آل البيت ونحترمهم ونقدرهم.

المهم أنّه ليس في الحديث لا من قريب ولا من بعيد إخراج زوجاته ﷺ، أو التنقيص من قدر زوجاته ﷺ.

وليس في الحديث من قريب ولا من بعيد ذكر العصمة لأهل البيت.

الهاشمي: هل ممكن أن تشرح لنا الحكمة من هذا الحديث، نقول: الحكمة من الصلاة، كذا، الحكمة من الزكاة، التكافل الاجتماعي، الحكمة من تحريم شرب الخمر، حفظ النفس وصيانتها عن المفاسد. ما هي برأيك الحكمة من وصيته ﷺ من قوله: «وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي»؟

عندما يحث على كتاب الله والاستمساك به، فالحكمة فيه ظاهرة، كيف تجتهد في تأويل الحكمة من هذا القول؟

القرني:

الأمر الأول: قد يكون الله سبحانه أطلع نبيه ﷺ على أنه قد يُجفى أهل بيته ﷺ من جافٍ من الجفاة، فأخبر ﷺ وأوصى بهم خيراً.

الأمر الثاني: أنه قد شُكي إليه ﷺ من أهل بيته جفاء بعض الناس، عن العباس أنه قال: يا رسول الله، إذا أتينا قريش وهم مقبلون على أحاديثهم ومجالسهم، فإذا رأونا تغيّرت وجوههم! قال: «والله لا يؤمن أحد بالله عز وجل وبي، حتى يعرف قدركم»[1].

(١) رواه أحمد.



الأمر الثالث: يستشرف أن له ﷺ حقا على الأمة، وإذا كان على الإنسان حق فمن حقه أن تُكرّم قرابته، فالرسول ﷺ أوصل الناس رحماً. فكان ﷺ من صلته برحمه أنه أوصى الأمة أن يصلوا رحمه ﷺ.

الأمر الرابع: إن الرسول ﷺ بيّن في هذا أن أهل البيت إذا كانوا مؤمنين أن يكون لهم الحظوة والمنزلة. أراد أن ينزلهم المنزلة اللائقة بهم.

لا نريد أن نُحمّل الحديث أكثر مما يحتمل، لكن يا دكتور أنا أقول لك: هذا الحديث والحمد لله، فعّله أهل السنة، فهم لم يقبلوا رأي النواصب.

ويا إخوان، يا من خالفنا، أهل السنة ليسوا نواصب. نبرأ إلى الله من سب أهل البيت.

لكن بالمقابل، بالله عليكم، هل يُفهم من الحديث أنّ أهل البيت معصومون، أو أن الخلافة فيهم، لا يجوز أن تخرج عنهم. هل هناك وصية لهم بالخلافة؟

الهاشمي: يعترف الراوي في الحديث الذي رواه مسلم قائلاً: يا ابن أخي، والله لقد كبرت سنّي، وقدُم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من حديث رسول الله ﷺ، فما حدّثتكم فاقبلوا، وما لا، فلا تُكلّفونيه. ثم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خُمْ –بين مكة والمدينة–. إلى آخر الحديث.

بعض الإخوان يقولون: إنّ الحديث فيه أمر بتولي سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتوصية بأن يكون هو الحاكم للأمة الإسلامية في المدينة المنورة بعد النبي ﷺ.

هل صح أن النبي ﷺ أوصى بالخلافة بعده لعلي؟

القرني: لم يثبت عنه ﷺ شيء صريح فيما يخصّ ذلك، وكيف تكون هذه الرواية صحيحة، ثم لا ينقلها العلماء والمحدّثون، هذه الرواية ليست بالصحيحة.

بالله عليكم، هل يعقل أن الرسول ﷺ يوصي لسيدنا عليّ، فيتواطأ الرواة في عدم ذكر الحديث، ثم يتواطأ صحابة رسول الله ﷺ الذين نصروا رسول الهدى لسحب الخلافة من علي، ويتعاضدون على حرمانه.

. ولنفرض أن الصحابة قاموا بالأمر وأنهم تآمروا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسحبوا منه الخلافة. الواحد الأحد الذي أرسل رسوله ﷺ، وأراد أن تكون هذه الأمة خير أمّة، والرسالة خاتمة، يرى المسلمين يتآمرون على علي بن أبي طالب، ثم ربنا سبحانه وتعالى يترك الأمر لهم في أعظم شيء، في الخلافة الراشدة. ولا ينصر عليّا بن أبي طالب، ويجعل الخلافة فيه، ليقوم الدين في الأرض، ويبدأ أبو بكر فيصلي بالناس في المسجد، وعلي بن أبي طالب يصلي وراءه، ويخطب بالمسلمين، ويوزع صدقاتهم، ويصلي بهم، ويحكم ويعدل فيما بينهم، وأهل البيت حاضرون، ولا يعترض أحد منهم، ويسكت عليّ، ويسكت أقاربه، ويسكت الذين حضروا!. ثم تضيع خلافة الأمة.

معنى ذلك، أن الأمة قد غوت وضلّت في مجموعها، وقد ارتكبت خطأً فاحشاً في تاريخها، الإنسان لماذا لا يُعمل عقله؟.

الهاشمي: هناك من شرح هذا القول بالإشارة إلى موقف جرى للإمام علي رضي الله عنه مع جمع من المسلمين كانوا قادمين من اليمن، كُلّفوا بمهمة، وحصل خلاف بين الإمام علي، وعدد منهم حول الغنائم، واشتكى بعضهم إلى النبي ﷺ من سيدنا علي، فقيل في هذه الروايات أن هذا الحديث في خم، وما جاء فيه في مواضع أخرى، في روايات أخرى، في تولي الإمام علي (بمعنى المحبة والتبجيل) كان جواباً لهؤلاء الذين جاءوا يشتكون الإمام علي وهو كان قائداً لهم في هذه الحملة.

وهناك آخرون قالوا: إنّ الآية القرآنية الكريمة التي نزل فيها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧)قالوا: الآية تعني: بلّغ ما أُنزل إليك من ربك في ولاية علي، وأنه هو الولي المختار من الله، ليكون قيّماً على الأمة، حاكماً لأمورها، مفوّضاً من عند الله.

القرني: أنا أقول أين السند؟ أين الرواية الصحيحة؟

يا إخوان اتقوا الله، السند من الدين. لا نريد الدين إلا بأسانيد صحيحة. علماء الإسلام حفظوا السنة المطهرة وأخرجوا الزائف والموضوع والباطل في كتب محشوة بالأحاديث الواهية وهذه منها.

الرسول ﷺ لو نُزّل عليه هذا لبلّغ الأمة، بلاغًا شافياً ولنقله. أمام الحضور. هل يُعقل أن يُخفي رسول الله شيئاً، ولا يُبلّغه؟ معاذ الله.

افرض أنهم بلّغوا الأمة، والأمة ما قامت بالأمر.

لماذا خانت الأمة رسولها ﷺ؟

لماذا ما سلّ سيف واحد فقط في عهد أبي بكر الصديق؟

لماذا ما قام أحد في المجلس وقال لأبي بكر الصديق: خالفت توجيه النبي ﷺ في غدير خم وخنت، - وحاشاه أن يفعل ذلك - وعطلت وصية النبي .

يا أخي المنطق السديد أن نأتي بالبرهان، بالدليل والسند.

الحلال والحرام عند أهل السنة وعند أهل البيت

الهاشمي: حديث الثقلين مرتبط بحديث الغدير. السيد مرتضى العسكري يتحدث في كتابه "معالم المدرستين" عن مدرسة الصحابة، ومدرسة أهل البيت، أو مدرسة السنة، ومدرسة أهل البيت.

هل يدعو أهل البيت إلى أمور في الدين غير التي نعرفها في كتاب الله وسنة النبي ﷺ؟ ومن حصيلة دراستك لأهل البيت كلهم: هل وجدت في تراثهم كله أمرا في الدين غير الذي نعرفه ونشأ عليه عموم أهل السنة؟

القرني: أنا درست كتب أهل البيت، ومرويات أهل البيت، وخرجت بمسألة أن أهل البيت يدعون إلى ما يدعو إليه رسول الله ﷺ، وإلى ما يدعو إليه كتاب الله عز وجل، وما يدعو إليه الصحابة، والله لا

فرق عندي بين ما يدعو إليه أمير المؤمنين علي، وما يدعو إليه عمار وبلال وسلمان.

يا أخي ليس عندنا دسائس في الإسلام، يقول عمر بن عبد العزيز: إذا رأيت الناس يتناجون في دين أو في حديث آخر فاعلم أنهم على الدسيسة.

ما عندنا أسرار ولا ألغاز ولا أحاجي. الدين واضح. مبادئنا تُعلن على المنابر وعلى المنائر، وتُعرض على القنوات الفضائية. ما عند أهل البيت علم كتموه.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه أقسم أنه ما خّصه الله سبحانه وتعالى بشيء إلا ما في هذه الورقة، (ورقة يحتفظ بها في سيفه) فيها فكاك الأسير، وفيها من الديات، والعقل.

الهاشمي: هل دعا أهل البيت: سيدنا علي، سيدنا الحسن، سيدنا الحسين، سيدنا جعفر الصادق، والآخرون، هل دعوا إلى أمور غير التي يعرفها أهل السنة؟ مثلاً هل عندهم صلاة إضافية غير الصلوات الخمس التي يصليها المليار مسلم السني. والحج، هل يحجون في الوقت نفسه؟

القرني: صلاتهم كما نصليها، وصيامهم وزكاتهم، وحجهم، يحجون مع الناس ويصلون مع الناس، وهم بشر يأكلون الطعام، ويمشون مع الناس، ويغضبون، ويتزوجون النساء، ويحصل منهم الذنوب، رضوان الله عليهم، وهم من أفضل الأمة ومن أحسنها.

الهاشمي: هل حرّموا شيئاً هو عند أهل السنة حلال، أو أحلّوا شيئاً هو عند أهل السنة حرام؟

القرني: أبداً، والله إنّ الذي يتصفح سيرة القرابة والصحابة يخرج بقناعة أن ما هناك إلا الحب والمودة، وأنّا قصرنا نحن المسلمين في نقل ثناء الصحابة على القرابة، وثناء القرابة على الصحابة.

بالمناسبة يا أخي أنا أشكر بعض الدعاة عند أهل السنة الذين ذكروا هذا كالشيخ عايض الدوسري، صاحبنا وحبيبنا، والشيخ عبد الكريم الحربي، والشيخ صالح الدرويش، وغيرهم ممن يعتني بهذا، ومن أبرز في رسائلهم ومذكراتهم ثناء الصحابة على القرابة، وثناء القرابة على الصحابة، نريد مزيداً من ذلك.

الهاشمي: لكن هناك أمور أخرى مهمة هنا يجب طرحها بصراحة. بعض المشاهدين يتصلون بنا في البرنامج ويخالفونك في الرأي، أو يكتبون إلى البرنامج غاضبين من حضورك،ويقولون إن أهل البيت هم الذين ينبغي أن يُقتدى بهم.

نريد تناول الأمر بشكل منطقي، وبأسلوب يفهمه كل مسلم يشاهدنا. إذا قلنا إن منطق الأمور في الإسلام يشترط على أهل البيت، وعلى الصحابة، وعايض القرني، ومحمد الهاشمي، وعايض الدوسري، ومحمد الموسوي، والسيد السيستاني، والشيخ عبد العزيز آل الشيخ، ومشايخ الأزهر، وغيرهم، أن يتبعوا القرآن الكريم والرسول ﷺ، فهل هذا قول منطقي مقبول شرعا؟ أم أن عند أهل البيت أسرارا وخصوصيات

أخرى توجب على كل مسلم أن يتبعهم هم دون غيرهم بعد رسول الله ﷺ؟

القرني: أبداً. بل الواجب الشرعي على علي بن أبي طالب، مثل الواجب الشرعي علينا جميعاً، أن نتبع الرسول محمدا ﷺ، القرآن نص على ذلك، والرسول ﷺ. هل سمعت في حديث صحيح وثابت أو آية من القرآن تقول اتبعوا آل البيت، أبداً. يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾(الأحزاب:٢١). وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(آل عمران:٣١).

ويقول ﷺ: «خذوا عني مناسككم». هل قال: خذوا عن العباس، أو جعفر، أو علي، أو الحسن، أو الحسين؟ هل قال: من رغب عن سنة العباس، أو علي بن أبي طالب، أو جعفر الصادق، فليس مني؟ قال: «من رغب عن سنتي فليس مني».

الله بعث لنا رسولاً خاتماً واحداً، هو المعصوم، وهو الذي أتى بالرسالة، ولذلك: لماذا نغلو؟ أنا أطالب أهل السنة أن يُكثروا من تبجيل واحترام أهل البيت. وأطلب من الفرق الأخرى ألا تسب الصحابة، وأن تثني على الصحابة، وأن تُنزلهم منزلتهم، أنا فقط أسأل سؤالا: ما هو سبب شرف الحسين بن علي؟ يعني لماذا صار محبوباً عند المسلمين؟

الهاشمي: لأنه حفيد سيدنا محمد ﷺ.

القرني: وأخوه الحسن حفيد رسول الله محمد ﷺ!

هل يُعقل أن يأخذ الحسين بن علي الوقت كله، والدموع كلها، والبكاء كله، وجده عليه الصلاة والسلام الذي هو سبب شرفه، الذي أتى بالرسالة، لا يأخذ إلا عشر الوقت! عشر الزمن!

سؤال حول التطبير وإقامة المآتم

الهاشمي: من فضلك، الحديث ذو شجون، وأود أن أسألك في هذا الشأن. أنت تتكلم عن الدموع والبكاء. سألت سؤالاً قبل أيام، وأريد جواباً عليه. هل بكى النبي ﷺ وهل أقام المآتم على سيدنا حمزة، وسيدنا جعفر، وهما استشهدا في حياته؟

القرني: لم يفعل النبي ﷺ ذلك، وقد نهى ﷺ عن النياحة، ونهى عن لطم الخدود، فمن حديث جرير بن عبد الله البجلي يقول: «كنا نعد الاجتماع عند الميت من النياحة».

وقد أكّد رسول الله عليه الصلاة والسلام في أحاديث أنّ شق الجيوب، والنياحة، من أفعال الجاهلية، ونهى عن الدعوة بالثبور، وعن العويل، إنما سنته: أنّه كان يبكي وتدمع عينه ﷺ.

الهاشمي: في حياته ﷺ هل وجدت رواية، وأنت تدرس الحديث، أنّه في العام الموالي لاستشهاد سيدنا حمزة زار النبي وسلم ﷺ قبره وبكى ولطم وتقبل العزاء فيه مجددا؟

القرني: معاذ الله، لم يفعله ﷺ ولا أحد من خلفائه، ولا أحد من العلماء، وهذا من البدع، وقال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

الهاشمي: أنت ذكرت أمر البكاء والحزن، هل وجدت دليلاً شرعياً يجوّز البكاء على الحسين كل عام في ذكرى استشهاده؟ طرح هذا الموضوع في برنامجنا العام الماضي، فعلق الكاتب المصري الدكتور عبد الصبور شاهين قائلا: لماذا يستكثر بعض المسلمين مرتبة الشهادة على الحسين؟ لماذا يحزنون ويبكون ويلطمون رغم أنه نال مرتبة الشهداء؟ أنت يا شيخ عائض: هل تبكي له في موته وفي استشهاده، وفي (أربعينيته) كل عام؟ وإذا أجبت بنعم فأين دليلك الشرعي على هذا؟

القرني: الأمر الأول: ليس على هذا دليل شرعي.

الأمر الثاني: لا يُفهم من كلامنا أنا إذا نهينا عن البدع، وضرب الأجسام، وإنزال الدماء، والقيام بالمآتم، أنّا نكره الحسين. أنا قلت: أُشهد الله وملائكته وحملة عرشه أني أحب الحسين وأتولاه وأترضى عنه، وأهل السنة جميعاً. ونقلت كلام الإمام ابن تيمية في ذلك.

الهاشمي: أخ عراقي شيعي، أرسل لي إشارة قبل قليل، يقول: المفروض أن نفرح له، لأنه نال الشهادة، أليست الشهادة أعلى مقام يبتغيه الإنسان؟ فلماذا لا نفرح للحسين أنه نال الشهادة؟ يقول: لماذا نضطر أن نبكي كل عام، وأن ننوح كل عام؟

القرني: الموقف الصحيح، موقف الكتاب والسنة، أن قتلهُ مصيبة،

ينبغي أن نسترجع عليها، وإذا ذكرنا ذلك نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، لكن لانعقد الولائم ولا العزائم، ولا نطوف بالأضرحة، ولا نضرب بالأجسام، ولا ندعو بالبور والثبور، ولا نلطم الخدود، نُهينا من سيد الخلق ﷺ عن ذلك.

ثم نقول: أليس سيد الخلق ﷺ موته أعظم مصيبة من المصائب التي وقعت بالأمة؟ هل هناك احتفالية وبكاء، كل سنة عند المسلمين بموت الرسول ﷺ؟

الهاشمي: نعود الآن للموضوع الأصلي. أنت تقول إذن أنه لا خلاف بين عموم المسلمين، لا في الحلال ولا في الحرام، وفي الأمور الفقهية لا يوجد اختلاف كبير. الخلافات الفقهية في عمومها أمور بسيطة ومحتملة. وسواء أخذت في أحكام المواريث، بفقه جعفر الصادق، أو بفقه مالك بن أنس، أنت على الخيار، كما قال الأزهريون. تستطيع أن تأخذ بهذا الفقه أو بذاك.

هل الخلاف الأساسي بين المدرستين سياسي بحت؟

ما رأيك إذن لو قلت لك، من أجل تطوير النقاش وتعميقه ودراسة الأمر من جوانب عدة، أنه لا يوجد بين المدرستين أي خلاف أساسي على الإطلاق إلا حول السياسة والحكم، وبالتحديد حول هوية من كان

ينبغي أن يحكم بعد وفاة رسول الله ﷺ؟

إذا قبلت بهذه الأطروحة، فهل ترى أن الخلاف حول الحكم، حكم سيدنا أبو بكر الصديق، أو سيدنا علي، يبرر انقسام المسلمين إلى مذهبين؟

القرني: إذا كان الخلاف على أمر سياسي، يعني خلافة مضت وانقضت. فنقول: المفروض أنّنا تجاوزناه.

لكن أقول: من موقع أنّني أتكلم باسم أهل السنة، ومنهج أهل السنة، بمدارسها الموجودة الآن، يا إخواننا: أنتم تطالبوننا باحترام القرابة.

نقول لكم: نحن نحترم القرابة ونُشهد الله على حبهم، وسوف نذبُّ عنهم.

لكني أسألكم بالله، كما تطالبون لاحترام القرابة، ألّا تتعرضوا للصحابة. لا تسبّوا الصحابة، ولا زوجات الرسول محمد ﷺ، لا يمكن أن يكون لقاء فيما بيننا، والصحابة يُسبّون، أبداً، لأنهم الذين حملوا الشريعة إلينا.

الهاشمي: لو أن باحثاً محايداً نظر لوجد أن الخلاف الحقيقي الوحيد هو حول أمر سياسي. إذن ما دام الأمر سياسياً، ومتعلقاً بالحكم، فإنه من الأفضل للجميع أن يتجاوزوه، ومن ثمّ يتجاوزوا ما ترتب عليه من فرقة، ومن كراهية للصحابة وجفاء لأهل البيت، ومن كراهية بعضهم للبعض الآخر، ومن الإبقاء على جذوة الكراهية حية لأجيال بين الناس، ومن

التخلي عن فتاوى التكفير.

كل هذه الأجيال ما شهدت أصلاً اجتماع السقيفة ولا أدركته، فلماذا نبث الكراهية في نفوس الأجيال المتعاقبة، جيلاً بعد جيل، كأن هؤلاء الناس، كأن عايض القرني هو الذي حسم أمر الخلافة، ونوصي أولادنا بكراهيته، أو ربما بإخراجه من رحمة الله عز وجل.

سؤالي لك: إذا تبين أن الخلاف ليس في حلال أو حرام، وليس في آية من آيات الله، ولا في أصل من أصول الدين، فهل يُعقل أن تستمر هذه الأدبيات التي تُروّج الكراهية والأحقاد والفرقة بين المسلمين؟

القرني: أخاطب العقلاء والعلماء من الشيعة في العراق، وفي إيران، وفي السعودية، وفي الخليج، وفي أي مكان، يا إخوان: تعالوا تحت مظلة الكتاب والسنة نحتكم، نتّفق على مبادئ، ألا نتعرض للقرابة ولا للصحابة، وأن نأتي بارك الله فيكم إلى الأمر السياسي الذي انصرم وانتهى فنتجاوزه، ولا نُحدث بيننا فرقة.

هل يسرّ المسلم أن يكون المسلمين مثلاً في إيران في صف ونحن في صف؟ نحن مستهدفون من أعداء الإسلام جميعاً، لا يفرقون بين سني ولا شيعي.

فيا عقلاء: لا تغلوا في دينكم، نحن نريد منكم ما تريدون أنتم منا، ما يوافق الكتاب والسنة، نحن مستعدون لاحترام قرابة رسول الله ﷺ، لكن أكرّر: نحن لا نرضى لزوجات الرسول ﷺ أن يُتعرّض لهن، ولا نرضى أيضاً أن يُسبّ أو يُلعن الصحابة.

ثم نقول: الأمر الذي سلف، وحصل الاختلاف فيه، ما الجدوى منه بيننا الآن؟ لماذا تُحيى الكراهية، وتُبث في المدارس؟

لماذا لا يبث الإيمان، واحترام السلف السابق الذين سبقونا بالإيمان، والترضي عنهم؟ لماذا لا نتكلم عن وحدة المسلمين؟

الهاشمي: لم لا نتفق على المعاني التي ذكرتها في شرح الآيات قبل هذا كله. واضح جدا أنه لا خلاف بين المسلمين على الصلاة والصوم والزكاة، وأركان الدين الأساسية، وبر الوالدين، وصلة الرحم، وقول الحق، والالتزام بالعدل الغائب في أكثر بلاد المسلمين. أليس هذا هو جوهر الإسلام ؟

القرني: نعم. وبالنسبة لتبجيل الصحابة، أنا مع من يدعو يوم عرفة، يقول: اللهمّ ارض عن قرابة رسول الله ﷺ، لكنني لا أستطيع أن أتحمّل، ولا أي مسلم سني يستطيع أن يتحمل، شتماً لأصحاب رسول الله، أو زوجاته.

الهاشمي: لنفترض أن أحداً من هؤلاء الناس فعلاً جاء إلى جنبك في عرفة ودعا بهذه الأدعية، هل هذا مبرر لك لتسيء الأدب مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أو ولد من أولاده، أو حفيد من أحفاده؟

القرني: أبداً. هناك مسألتان:

الأمر الأوّل: أن أذكّرهم بالتي هي أحسن، نحن مطالبون بالحوار حتى مع المشركين ﴿ ولا تَسُبُّوا الَذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ

عَدْواً ﴾، حتى مع أهل الكتاب: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن)، فالحوار فيما بيننا نحن المسلمين أولى.

الأمر الثاني: لا يزيدني ما أسمع من شتم للصحابة إلا حبا في القرابة، لأنني أنا قرأت في تاريخ الصحابة والقرابة وعرفت ما بينهم من مودة. يا أخي، انظر إلى المصاهرة بين الصحابة والقرابة.

بالله عليك، أما تزوَّج عمر بن الخطاب بنت علي بن أبي طالب؟ أما تزوَّج أهل البيت من الصحابة؟

الهاشمي: هذا يعني أنك في كل الأحوال محب لأهل البيت مهما كان أمر الآخرين.

القرني: أشهد الله على ذلك وأشهد الناس أني وددت أني فديت من هذا المكان بدمي الحسين بن علي، والله الذي لا إله إلا هو أني وددت لو أُقتل أنا مكان الحسين بن علي، وإني ابرأ إلى الله ممن قتله.

تأبين علي لأبي بكر

الهاشمي: القرآن الكريم معجزة النبي ﷺ وليس في تراث اللغة العربية نص يدانيه أو ينافسه. بعد ذلك، اتفق العلماء والمؤرخون أن النبي ﷺ أوتي جوامع الكلم. من بعد ذلك، فإن سيدنا عليا بن أبي طالب رضي الله عنه من أشهر أهل البلاغة والفصاحة في التراث العربي. ما رأيك أن

أُسمعك شيئا من كلام أبي الحسن والحسين. اسمع الآن إلى هذا القول الذي أورده له الدكتور عبد الرحمن الشرقاوي في كتابه (الصدّيق أول الخلفاء) منقولاً عن روايات أخرى للإمام علي. اسمع كلامه يا سيدي في سياق حديثك قبل قليل عن الصحابة وذكرك لأبي بكر الصديق. اسمع كلام الإمام علي في أبي بكر الصديق يؤبّنه يوم وفاته.

وقف الإمام علي وهو يؤبّن أبا بكر الصديق يوم وفاته يخاطبه بقوله:

(رحمك الله يا أبا بكر، كنت أول القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدهم يقيناً، وأعظمهم غناءً، وأحفظهم على رسول الله ﷺ، وأنسبهم برسول الله خُلُقاً وفضلاً وهدياً وسمتاً، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيراً. صدّقت رسول الله حين كذّبه الناس، وواسيته حين بخلوا، وقمت معه حين قعدوا، وسمّاك الله في كتابه صدّيقاً (والذي جاء بالصدق وصدّق به أولئك هم المتقون) يريد محمداً ويريدك، وكنت والله للإسلام حصناً، وعلى الكافرين عذاباً، لم تقْلُل حجّتك، ولم تضعُف بصيرتك، ولم تجبن نفسك، وكنت كالجبل الذي لا تحركه العواصف، كنت كما قال رسول الله ﷺ: ضعيفاً في بدنك، قوياً في أمر الله، متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله، جليلاً في الأرض، كبيراً عند المؤمنين، ولم يكن لأحد عندك مطمع، ولا لأحد عندك هوادة، القوي عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه، والضعيف عندك قوي حتى تأخذ الحق له، فلا حرمنا الله أجرك، ولا أضلّنا بعدك). رضي الله عن أمير

المؤمنين علي، وعن خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق.

القرني: أشكرك على حُسن عرض هذا الكلام الجميل لعلي رضي الله عنه.

تتوقف الكلمات عند علي بلاغةً وفصاحةً رضي الله عنه، وهذا مشهود له، يقول يوم صفين:

أي يـومـي مـن المـوت أفـرّ

يـوم لا يُـقـدر أم يـوم قُـدرْ

يـوم لا يُـقـدر لا أرهـبُـهُ

وإذا مـا جـاء لا يـفـي الحـذرْ

يوم خيبر يقول مرحب من المعسكر المقابل للمسلمين :

أنـا الـذي سـمـتـني أمـي مـرحـبُ

شـاكـي الـسـلاح بـطـل مجـرِّب

إذا الحروب أقبلت تلهّبُ.

فخرج علي فقال:

أنـا الـذي سـمـتـني أمـي حـيـدرة

كـلـيـث غـابـات كـريـه المـنـظـره

أكيلكم بالسيف كيل السندره

أقول: والله، والذي أُشهد الله عليه سبحانه وتعالى أنه هو وأبو بكر،

صلّيا خلف الرسول ﷺ وتعانقا وتحابّا وتوادّا وحضرا الجهاد سوياً، وحجّا سويّاً، واعتمرا سويّاً، وصاما سويّاً، وماتا، وكلّ واحد راض عن الآخر، فلماذا نحن بعد أربع عشرة قرنا نَفتعل خصومة مع أناس وضعوا رحالهم في الجنة؟ كانوا متصافين متحابين، وذهبوا إلى الله سبحانه وتعالى وهم في الفردوس الأعلى، لكن انظر المصيبة علينا كأمة، أخذنا نفتعل الأقاويل، وكأن بعضهم ينقض على بعض وبعضهم خان بعض. ما كان بينهم إلا الصفاء والمحبة. ﴿واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾(آل عمران: ١٠٣)، أنا عندما أقرأ كلام علي في أبي بكر أبكي، لا يوجد أجمل من هذا الكلام.

انظر إلى التزوير للتاريخ، إن جاء كلام فيه حب ومودة واتصال واعتصام، قالوا لنا: هذا خطأ ما يصلح، وإذا جاء كلام فيه غدر وبغض وكراهية، قالوا: هذا صحيح هذا ثابت. الواجب أن ننشر ثقافة المحبة، ونتجاوز عن كل رواية مسيئة.

الهاشمي: أفهم من حديثك أنك توافق على أن من واجب المسلمين، وخاصة علماء المسلمين وكتابهم، نشر ثقافة المحبة، المحبة التي اجتمع عليها الصحابة، والتي نحتاجها اليوم أشد الحاجة، فقد مللنا وكرهنا من خطاب الكراهية وثقافة الكراهية، ومللنا من خطاب الحقد وثقافة الحقد. فإلى متى يستمر البعض في ترويج ثقافة الأحقاد والكراهية؟

القرني: إلى متى؟ ربنا عز وجل يعلمنا: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ والرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ (النساء:٥٩) إلى كتاب الله والرسول، وسنته ﷺ.

حوار مع المشاهدين

الهاشمي: نفتح الآن المجال لاتصالات المشاهدين .

أم محمد[١]: فقط أريد إجابة صريحة رجاءً، أرسلنا عشرات الفاكسات لكي يحضر شخص ثاني إلى جانب الشيخ، حتى تكون عادلاً في الموضوع، وما لقينا أي إجابة إلى الآن.

الهاشمي: يا أم محمد، ذكرتُ أنني دعيت السيد محمد الحسيني القزويني، وشرحت أسباب اعتذاره.

اسمعي حجة الأخ عايض، وتفاعلي مع كلامه قبولاً أو ردّاً، المهم مقابلة الحجة بالحجة. لعلّ هذا الكلام يرد الناس إلى بعضهم رداً جميلاً.

القرني: أنا أبيّن موقف أهل السنة الذي نعتقد وندين الله به، ولم آتي لأسب أحداً، أنا أكلمكم بالعقيدة التي عندنا في أهل البيت، ماذا نعتقد نحن. أتيتُ لأخبركم أنّا نحبّ أهل البيت ونحترمهم ونتولاهم ونقدرهم، ولكن في نفس الوقت نقدر الصحابة ونحبهم وهذا كررته مراراً.

أبو ميلان[٢]: أنا كردي، لا أُحسن اللغة العربية، عندي صديق

---

(١) مداخلة للأخت أم محمد .

(٢) مداخلة للأخ أبو ميلان من الدنمارك.

في الدانمارك شيعي، لما صار انفجار كربلاء، وكنا نتناقش كل يوم، قال: لّما الناس يحجون لكربلاء.، يا أخي القضية أكبر من أهل البيت، القضية ليست قضية شيعة ولا سنة، القضية هي أنهم يقدسون هذه الأماكن.

والله العظيم، أنا قلبي يبكي دما على المسلمين لما أراهم وهم أبناء قبلة واحدة يختلفون، لماذا هذه المشاكل يا أخي؟.

الهاشمي: يا أخي العزيز أبو ميلان، أنا باعتباري عربيا، أعترف لك بأن لدي نقطة ضعف تجاه الأكراد. تجاه المشاهد الكردي عندما يتصل بي. عندي نقطة ضعف، مصدرها محبة قوية وأصيلة للأكراد. سبب هذه المحبة هو إقراري بفضل الزعيم الكردي المسلم صلاح الدين وعطائه الكبير في خدمة الإسلام والمسلمين. أشعر كأنه عليَّ دين للأكراد كلهم، بسبب هذا الرجل العظيم. لذلك أحب الأكراد وأعزهم. وأنا سعيد باتصالك.

أريد فقط أن أهوّن عليك بشيء واحد، أنت تتكلم لأن الأمور في العراق مختلطة وفيها صراعات وأمور.، لكن أطمئنك، لو ذهبت إلى أي بلد لن تجد كل هذه النظريات، الناس أطهر مكان لهم هو مكة المكرمة، وبعدها المدينة المنورة التي ناصرت النبي ﷺ وبعدها بيت المقدس. المسلمون متفقون على هذا. وبالإضافة إلى ذلك تذكر أن الإسلام يحترم التعددية.

الذي يدور الآن في هذا البرنامج حوار علمي تحتاجه الأمة. لعل الله بعد خمسين سنة يجمع شمل المسلمين ويوحد صفهم. المراد هو أنني

أدعوك إلى ألا تيأس. المهم أنك إذا سمعت بخبر أي تفجير، تبرأ إلى الله من المفجرين، ومن الإرهابيين، ومن دعاة العنف والتكفير والتفجير. لأن الذي فجر أبرياء متجهين إلى كربلاء أو أي مكان في الدنيا، يرتكب جريمة بشعة لا يبررها دين ولا خُلق ولا منهج!

القرني: يا أخي أبو ميلان، الكردي صلاح الدين شافعي، وكان يقرأ الموطأ لمالك قبل الغزوة حتى في حطين قرأ مالك، وكان يترضى عن الصحابة في كل مكان. لماذا لا ننشر ثقافة حب أهل البيت وحب الصحابة؟ وندرس صلاح الدين الأيوبي ونحيي مدرسته.؟.

الهاشمي: نرجع للمعاني التي نتكلم عنها، المعاني الأساسية في الإسلام، فلعل الأمور تتجه نحو التقارب، لكن التقارب يبنى بالصراحة وبالوضوح، وباحترام حق الاختلاف وبالاستماع إلى كل الآراء. وأيضاً الإنسان يجب أن يفتح عقله للحقيقة، فلو وجد الحق عند غيره ينبغي ألّا يكابر ويعاند.

عبد الرحمن[١]:

الأمر الأول: نحن الذين خلّصنا الإسلام من النواصب أعداء أهل البيت، وهم الخوارج. نحن الذين قضينا عليهم فصارت التهمة فينا، كلفتنا حروبنا مع الخوارج عشرات آلاف المسلمين من القتلى.

الأمر الثاني: فيما يخص حديث الثقلين إذا كان حديث الثقلين يفيد

---

(١) مداخلة للشيخ عبد الرحمن دمشقية.

الاقتداء بأهل البيت فأنا أدعو بالاقتداء بأهل البيت الذين بايعوا عُمَر وزوجوه وأسموا أبناءهم باسمه. لأن هذه الأمور الثلاثة إذا اجتمعت نفت أي تقية من الشجاع علي، ونفت أي عداوة بينه وبين أبي بكر ثاني الاثنين، وبينه وبين عمر الذي أعز الله به الإسلام.

لكن حديث الثقلين يُراد منا أن نفهمه بفهم آخر، وهو أن العترة هم المصدر الثاني بعد القرآن لأننا كلما قلنا لهم: كتاب الله وسنة نبيه، قالوا: لا صحّحوا، كتاب الله وعترتي، ليس وسنتي. ولكن نسأل: هل العترة هم مصدر تشريع مستقل، أم أنهم يتبعون سنة النبي ﷺ، لاشك أنه لابد لهم أن يقولوا: إنهم كانوا يتبعون سنة النبي ﷺ. فنقول: رجعنا إلى السنة، فما لكم تُعاندون؟

الهاشمي: لكن يقولون إن أعلام أهل البيت هم الأدرى بالسنة، لأنهم توارثوها علماً منقولا من النبي عليه الصلاة والسلام ويرون أن العترة هم الأوثق.

عبد الرحمن: على كل حال إذا كانوا هم يقولون: إنهم هم الأفهم لسنة النبي ﷺ فليصححوا رواياتهم عنه.

الأمر الثالث: دائماً نسبٌّ من قتل الحسين رضي الله عنه، أو شارك، أو أمر. نريد أن نضيف على هذا قيداً بسيطاً، وهو أن نقول: نسبٌّ من خانوا الحسين، وغدروا به، وبيعته في أعناقهم، وزعموا أنهم أنصاره، واعترفوا بذلك في كتبهم.

الأمر الرابع: فيما يخص قوله تعالى (بلّغ ما أنزل إليك من ربك) هذه

ما نزلت في غدير خم هذه نزلت في المدينة، والنبي ﷺ بعد نزول هذه الآية لم يعد يتخذ حُرّاساً كما سلف بالإسناد الصحيح.

الأمر الخامس: فيما يخص قصة عمر مع الراعي ما كان بودي أن تُروى لأنه ليس لها إسناد وليست بالصحيحة، وقد يكون فيها شيء من الكلام بحق عمر رضي الله عنه.

انتهى وقت سهرتنا اليوم. نواصل الحوار غداً بإذن الله. أستودعكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



السهرة الخامسة

الهاشمي: بسم الله الرحمن الرحيم. أرحب بالمشاهدين الكرام إلى برنامج "الحوار الصريح". هذا البرنامج منبر للحوار الفكري والثقافي الحر، يحتفي بالتعددية وحق الاختلاف ويصب في خدمة ثقافة الديمقراطية والحوار واحترام حقوق الإنسان.

تفسير سورة الانفطار

كالعادة نبدأ بآيات بينات من كتاب الله الكريم ذات صلة بالموضوع الذي نناقشه في هذا البرنامج وهو مودة البيت.

ونحاول أن نستفيد من ضيفنا الشيخ الدكتور عائض القرني في بيان المعاني الرئيسية الأساسية للآيات التي نبدأ بها حلقتنا.

أقرأ اليوم سورة الانفطار في الجزء الثلاثين من المصحف الشريف. وفيها بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١) وإِذَا الكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (٢) وإِذَا البِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وإِذَا القُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وأَخَّرَتْ (٥) يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَاماً كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) ومَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) ومَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً والأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار٨٢/١-١٩].

القرني: بارك الله فيك، وحفظك، وجزاك الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله سبحانه وتعالى (إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ) إذا: الشرطية، إذا حدث هذا الحدث الهائل، إذا وقعت هذه الواقعة العُظمى، أي إذا السماء انفطرت، فقد قامت القيامة، وحصل يوم الدين، وقام الناس لرب العالمين.

بدأ الله سبحانه بالسماء التي تحيط بهذا العالم، هذا الأديم الممدود، قال أهل العلم: تشققت وذهب ضياؤها، وخرُب بناؤها، ووقعت كواكبها، هذا من الانفطار: أي الانشقاق.

قال:(إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ) فماذا يحصل؟ مازال الحديث عن ذلك اليوم، وعن إذا الشرطية، وبعدها سوف يقع ما يقع، وهو قيام الساعة،

وخراب العالم، وهذا الحدث سوف يشاهده الناس بعيونهم وسوف يقع لا محالة، فالذي بنى السماء هو الواحد الأحد، والذي أذن سبحانه وتعالى بانشقاقها وانفطارها هو الله، وإن يوماً تتساقط له السماء، وتنتثر له الكواكب، وتتفجر له البحار، وتتبعثر له القبور، لهو يوم شديد، يوم صعب، يوم عسير، أسأل الله سبحانه وتعالى وإياكم أن ينجينا فيه.

قال: (وإِذَا الكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ) هنا الكواكب يدخل فيها الكواكب السيارة والنجوم والمجرات، لأنه إذا قال الكواكب شمل الجميع.

(انتَثَرَتْ) ذهب نظامها، فإن الله أذن بخراب نظام العالم، فذاك اليوم تنتثر، تتساقط على الأرض وتهوي كأنها رواجف، وتقع فلا تبقى الثريا مكانها، ولا الجوزاء ولا الشمس ولا القمر، وإنما تتناثر، فقد انتهى نفعها وفائدتها، وأذن الله بعالم آخر ويوم آخر مشهود، يُنهي فيه هذا العالم الذي نحن فيه.

قال تعالى: (وإِذَا البِحَارُ فُجِّرَتْ) ورد في القرآن (سُجّرت) و (فُجرت) أمّا سجرت: فأوقدت واشتعلت.

ولذلك كثير من الفوائد التي ذكرها كثير من العلماء، كالدكتور زغلول النجار وغيره من العلماء، أن هناك طبقات كبريتية في البحار لا زالت ترتفع، ترتفع ليأتي يوم تنقدح هذه الطبقات وتشتعل، كما أثبت ذلك العلم، وإذا فجرت فإنها تختلط بعضها في بعض، وتتماوج البحار مشتعلة، فهناك اشتعال وهنا انفجار. فهي تُفجّر مشتعلة ويدخل بعضها في بعض، ويذهب نظامها، حتى مسارات البحار والمحيطات تختلط،



وتنتهي إلحاقاً بخراب هذا النظام.

(وإذَا القُبُورُ بُعْثِرَتْ) حيث الأموات فيها من الأبرار والفجّار. وانظر لكلمة بُعثرت، من هوان الخليقة على الله عز وجل، يُبعثرها بعثرة، ليخرج هؤلاء الذين حملوا الأوزار، أو أتوا بالحسنات ليخرج هؤلاء العباد المعنيون بالحساب عند الواحد الأحد، لأن هؤلاء المقبورون هم المقصودون من الخليقة، هذا هو الإنسان ولذلك سوف يأتي خطاب الإنسان، فما خُلقت السماء ولا الجبال ولا الكواكب ولا البحار، إلا من أجل هذا الإنسان. هذا الإنسان الذي دُفن في القبر. وانظر إلى مسألة القبور. مسألة القبور يوم نزل الإنسان من الدور إلى القبور، ومن القصور إلى القبور، يوم يدخل الإنسان القبر، هي قضية كبرى يوم يدخل بعد الحُلل، بعد الجمال، بعد الأرائك، بعد الشهرة، بعد المنصب، يدخل القبر حتى يقول أحدهم:

أتيت القبور فناديتها
أين المُعظّم والمُحتقر

تفانوا جميعاً فما مخبر
فماتوا جميعاً ومات الخبر

فيا سائلي عن أناس مضوا
أما لك فيما مضى معتبر

المتنبي يقول يوم رأى قبور الفراعنة في مصر:

أبـــنـــي أبـــيـــنـــا ونـــحـــن أهـــل مـــنـــازل

أبـــداً غـــراب الـــبـــين فـــيـــهـــا يـــلـــعـــق

نـبـكـي عـلـى الـدنـيـا ومـا مـن معشر

جـمـعـتـهـم الـدنـيـا فـلـم يـتـفـرقـوا

أيـــن الأكـــاســـرة الجـــبـــابـــرة الألى

كـــنـــزوا الـكـنـوز فـمـا بـقـيـنـا ولا بـقـوا

مـــن كـــل مـــن ضـــاق الـفـضـاء بجيشه

حـــتـــى ثـــوى فـــحـــواه لحـــد ضـــيـــقُ

خـــرسٌ إذا نـــودوا كـــأن لم يـعـلـمـوا

أن الـــكـــلام لـــهـــم حـــلال مـــطـــلـــقُ

قال: ما بال أهل القبور نسلّم عليهم ما يردّون، نصبّحهم بالخير ما يردّون التحية؟ لماذا سكتوا وكانت المواكب تمر أمامهم، وكانت الدور تُنشر من أجلهم، وكان الجمهور يصفقون لهم، وكانت صورهم تعلّق بالشوارع، وكانت أقواس النصر تُرفع لهم قال: فمالهم الآن سكتوا؟

قال: (وإِذَا القُبُورُ بُعْثِرَتْ) الآن آن لأهل القبور أن يخرجوا. تبعثر، لماذا؟ قال: تُفتح طبقاتها ليخرج الذين في داخلها، والله كم في داخلها من أناس! في داخلها العلماء والزهاد والعباد والأولياء والرحماء، والفجار والكفار والسفّاكون والجلادون والظلمة، كلهم يخرجون.

قال تعالى: (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وأَخَّرَتْ) قال أهل العلم: إذا بعثر ما في القبور وخرجوا، حينها تعلم وتتذكر ماذا قدمت من الأعمال الصالحة والسيئة، وماذا أخّرت وراءها أيضاً من الأعمال في سجلها، وماذا أخرت من الأبناء، وماذا أخرت من الميراث، الذي تتحمل تبعته بعد موتها، فهنا تقديم وتأخير ففي هذه اللحظة لا يتذكر الإنسان إلا ما عمل، في لحظات الكرب هذه.

كنت والدكتور سعد البريك في رحلة من المنامة إلى الرياض، ولما اقتربنا من الهبوط اعتذر الكابتن بعدما اقتربنا من الأرض، وكان الجو ممطراً، فصعد بنا مرة ثانية، واهتزت الطائرة، وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا، ما تذكرنا في تلك اللحظة إلا الأعمال، وأخذنا نناجي الواحد الأحد لا إله إلا هو، وتماسكنا بالأيدي وعرقنا يتصبب، ونحن نقول: الله الله لا شريك له، الله ربي لا أشرك به شيئاً.

هذه اللحظة يصل إليها كل إنسان، حتى فرعون قال في هذه اللحظة: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(يونس: ٩٠).

وهذه ساعة الاضطرار، ولحظة الاضطرار، حتى يقول الله سبحانه وتعالى عن نفسه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾(النمل: ٦٢) من هو الذي يجيب المضطر وقت اللحظة يوم لا يدعو الحكومات، ولا المنظمات، ولا الأصدقاء، ولا الأحباب، لا يدعو إلا الواحد الأحد لا إله إلا هو.

ولي قصيدة ذكرتها في ساعة الاضطرار في كتاب (لا تحزن) قلت:



كـــم نـطـلـب الله فـــي ضـــر يـحـل بنا

فـــإن تــولـــت بـــلايــانــا نـــســينــاهُ

نـدعـوه في الـبـحـر أنَ يـنـجـي سفينتنا

فـــإن رجـعـنـا إلى الـشــاطـئ عـصـينـاهُ

ونــركـــبُ الجـــوَّ في أمـــنٍ وفي دعـــةٍ

فــمــا ســقــطـنــا لأنَ الحـــافـــظَ اللهُ

(عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وأَخَّرَتْ) والله لا ينفع حينها، لا الشهادات الراقية، ولا المناصب المرتفعة، ولا الحشود، ولا الجموع، إنما العمل.

ثم يقول سبحانه: (يَا أَيُّهَا الإنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ) يا أيها الإنسان، لم يقل: المؤمن، و لم يقل: الكافر، يا من يحمل همومه وأحزانه، يا أيها الإنسان الكادح إلى ربه، يا أيها الإنسان المسئول عما قدم، يا أيها الإنسان الذي سيقف أمام الرحمن مجرداً من الملابس، مجرداً من التاريخ، مكشوف الإرادة، مكشوف النية، مكشوف الضمير، مشهّد عليه.

يقول أبو معاذ الرازي الواعظ الكبير والداعية الرباني: ويل لمن كان حجيجه لسانه وخصيمه علمه. فاللسان يشهد، والأعضاء تشهد، والعلم يحتج على الإنسان.

يا أيها الإنسان ارحم نفسك. يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم، ما الذي غرك بربك حتى عصيته، وكفرت به، وما الذي غرك بربك حتى عصيت أمره وخالفت نهيه سبحانه وتعالى.

إنّما قال بربّك: تذكيراً بربّ النعم. يقول: ربك الذي رباك بالنعم، وهداك وأعطاك ومنحك وتولاك، وأسدى إليك. كيف تركت نعمه؟ أليس من الشكر أن تطيعه؟ أليس هو الرب؟

لم يقل: الله، ولا الواحد، ولا المهيمن، وإنّما قال الكريم: لأنه صاحب العطايا، والكريم عند أهل العلم: من اتصف بثلاث صفات:

١. يعطي من سأل، ومن لم يسأل، فالله سبحانه وتعالى يعطي وله المثل الأعلى يقول السيل يأتي إلى الأرض التي تريد أن يأتيها والأرض التي لا تريد أن يأتيها كالمطر، كالغيث، والله أعلى وأجل، فيعطي من سأل ومن لم يسأل، ولذلك كل يوم هو في شأن، ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾(الرحمن: ٢٩) يعطي مَن أطاعه ومَن عصاه، ومن حاربه ومن تولاه، ومن نصره ومن خذله، كلّ يعطيه.

٢. يعطي سبحانه وتعالى عطاء من لا يخشى الفقر، فخزائنه ملأى.

في صحيح مسلم من حديث أبي ذر: «ياعبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنّكم، قاموا على صعيد واحد، فسألني كلّ منهم مسألته. فأعطيت كل واحد مسألته، ما نقص ذلك مما عندي، إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر».

قامت إحدى الجامعات بإحصائية في السعودية للّغات المحلية، والدارجة، والعالمية، والأطلسية، والساحلية، التي يتكلم بها الناس يوم عرفة فبلغت أربع مئة لهجة ولغة، يسألون ربّاً واحداً وإلهاً واحداً. هذا يقول: ابنتي، وهذا يقول: أريد النجاح، وهذا يقول: اقض الدين يا ربي،

وهذا يقول: ردني إلى أهلي سالماً، وهذا يقول: أريد وظيفة. فالله سبحانه يعطي الجميع، ويمنح الجميع، ويستمع للجميع.

٣. هو الذي لا يريد مقابلاً من عباده. متى أراد سبحانه من هذه الخليقة البائسة مقابلا؟ وهو سبحانه خلقهم ورزقهم، وهم أضعف من أن يردوا الجميل، بل خزائنه ملأى، حتى الطير في الهواء، والسمك في الماء، كل دابة تطلب الرزق منه سبحانه وتعالى، يصبح الصباح وإذا بالعجماوات، والزواحف، والحيوانات، والبهائم، والطيور، كلها تسأله وتناشده رزقها، فيعطي الجميع، ولا يريد من أحد شيئاً، إنما هم هلكى ومساكين وبائسون وأقل من أن يستطيعوا أن يردوا، أو يحتاج إليهم سبحانه وتعالى.

قال تعالى: (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ) فهو سبحانه وتعالى خلق الإنسان فسواه، قال: سوّاه وركّب أعضاءه، وسوّى بنانه، وسوّى كل مفصل من مفاصله، فعدله، وأحسن في خلقه سبحانه، ولذلك قالوا: أحسن الخلق، خلق الإنسان، فإنه عدل صورته وعدل أعضاءه، وجعل عيونه في أعلى وجهه، وفمه في منطقة مناسبة، وجعل الحواجب تستر العينين، والرموش على العينين، وجعل في الكفين معصمين، وفي المعصمين كفين، وأصابع تتحرك، بإرادة من عنده سبحانه وتعالى خلقها لهذا الإنسان.

قال: (فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ) لا تجد اثنان يتفقان في صورة واحدة ولو كانوا توأماً فلا بد أن يكون هناك من فارق بسيط. فالله صوّر

الخليقة على ما شاء من أبيض وأسود وأحمر، وقصير وطويل، وجميل وأقلّ جمالاً، إلى غير ذلك ركّبهم في صورهم، سبحانه وتعالى، وسوف يبعثهم في صورهم، جلّ في علاه، لا إله إلا هو.

ثم قال سبحانه: (كَلاَّ) هذه أداة ردع وزجر، معناها ليس الأمر كما تظنون، أو كما تدعون.

(بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّين) بل يوجد في الخليقة من كفر بالله، وكذب بيوم القيامة، وقضية التكذيب قضية كبرى استغرقت مساحة من القرآن، فإن الله أثبت بالأدلة، والبراهين القاطعة، والأمثلة، على قيام ذلك اليوم، وأنه لا بد واقع.

يتحدث عن قيام الدين: كيف تكذبون بيوم الدين، وإنما سمي يوم الدين، لأن فيه مداينة، يجازي الله الناس، ويدينهم بأعمالهم، ويحاسبهم بما فعلوا، فسماه يوم الدين. يوم يدين الإنسان بما فعل ويحاسبه على ما صنع.

(وإنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ) مع الإنسان حافظين من الملائكة، جعل الله سبحانه وتعالى عن ذات اليمين وذات الشمال حافظان، ومن أمامه ومن خلفه، يحفظونه من أمر الله بأمر الله، ويحفظون أعماله فيسجلونها.

علينا ملائكة يلتقون في صلاة العصر، وفي صلاة الفجر، فيصعد هؤلاء، وينزل هؤلاء، يحفظون علينا أعمالنا وأقوالنا.

هذا هو الإنسان يوم تجده يوم القيامة مجرداً من كل حجّة، ومشهودا

عليه، ومحفوظا، حتى من الملائكة.

وصف الله الحافظين، الحافظ: هو الذي لا ينسى ولا يهمل ولا يغفل، وهؤلاء هم الملائكة. ثم لا يخطئ، فلا يجعل مكان الحسنة سيئة، ولا مكان السيئة حسنة.

(كِراماً كَاتِبِينَ) قال: كراماً، لا يرتادون إلا في الأزمنة المباركة والأمكنة المباركة، وهم مكرّمون عند ربهم سبحانه وتعالى، لهم منزل صدق، ولهم كرامة عند مولاهم، ثم إنهم كاتبون، وليسوا أميين، فهم يسجلون الحسنات والسيئات، حتى لا يقول أحد: : لا، لا ما فعلتُ هذا، الملائكة واهمون، فيجيبهم الله سبحانه: ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾ (الإسراء: ١٤).

(يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) أي: إنهم ليسوا صماً بكماً، لكنهم يعلمون الأعمال الصالحة، والأعمال السيئة. فهم يطلعهم الله على تلك الأعمال فيسجلونها ويقيدونها في أوقاتها وأزمنتها.

هذا الفاصل بعد المداينة والمحاسبة، ووقوف الملائكة، ونشور السجلات، ويا له من يوم مرعب. يقول ابن عمر في المشهد: أخذ رسول الله ﷺ منبراً جديداً، صنعه له غلام من الأنصار، أمرته أمه أن يصنعه، فصنع المنبر، فقام ﷺ على المنبر، وعزل الجذع الذي حن له ﷺ شوقاً، وقال: يطوي الله السماوات بيمينه، ومسك ﷺ بيمينه، ويأخذ الأراضين باليد الأخرى يطويها، ثم يقول: أنا الملك، ثم رفع ﷺ صوته: أنا الملك، أنا الملك، لمن الملك اليوم، لمن الملك اليوم، لمن الملك اليوم، فلا يجيبه

ملك مقرب، ولا ملك مرسل، فيجيب نفسه بنفسه: لله الواحد القهار. يقول ابن عمر: لما قال الرسول ﷺ: لمن الملك، أخذ ﷺ يتمايل، والله لقد خشيت أن يسقط هو والمنبر علينا من تمايله واهتزاز المنبر به ﷺ.

فهو أخطب العرب والشاهد أنه تحمس لذلك اليوم الذي لا يكون فيه محكمة للعدل إلا لله، ولا قاضي إلا الله، ولا حاكم إلا الله.

وكما يقول شوقي:

وإذا خطبتَ فللمنابرِ هزةُ
تعلو الندي وللقلوب بكاء

سجن المهدي أبا العتاهية، فقال:

أما والله إن الظلم شؤم
وما زال المسيء هو الظلومُ
إلى الديان يوم الحشر نمضي
وعند الله تجتمع الخصومُ

وقال آخر:

إذا جار الوزير وكاتباه
وقاضي الأرض أجحف في القضاءِ
فويل ثم ويل ثم ويل
لقاضي الأرض من قاضي السماءِ

(إنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيم) هذه الخاتمة، الأبرار: أولياء الله في نعيم، في جنات النعيم، نعيمهم أنهم في جنات النعيم في عطاء الكريم، في جوار الرحمن الرحيم، وقد نجوا من الجحيم، ولذلك هذه الكلمة تستغرق نعيم الأعين ونعيم القلوب ونعيم الأجسام ونعيم الأنفس، إلى النعيم المقيم.

(وإنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيم) هم أعداؤه سبحانه وتعالى، في جحيم، في نار تلظى، ويكفي أنه لم يُفصِّل فيها، نعوذ بالله من شرورها، ونعوذ بالله من حميمها، ومن سمومها، ومن نكالها، ومن أغلالها، ومن سلاسلها.

(يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ) يعني أعداؤه سبحانه وتعالى يصلون النار يوم القيامة، يوم الدين، يوم الحساب، يدخلونها فيصلونها بجلودهم، ويذوقونها ذوقاً.

(وما هم عنها بغائبين) هل يستطيع أحد أن يغيب يوم الحشر؟

يقول أبو جهل: إذا جاء ذاك اليوم، أكفيكم عشرة، وأنتم اكفوني تسعة.﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾(المدثر: ٣٠). ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً﴾(المدثر: ٣١).

﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَداً (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً﴾(مريم: ٩٣-٩٥) لا مواكب، لا حرس، لا سكرتارية، يأتي وهو عبد، يأتي فرعون مثلما يأتي أبسط فقير بسيط ينام على الرصيف.

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ) لهول يوم القيامة ولهول فزعه يتساءل

سبحانه: أنت ما تدري ما يوم الدين! أنت ما اطلعت على ذاك اليوم، يوم يتغير فيه العالم، يوم يكون الحكم فيه الواحد الأحد، يوم يجازى فيه الإنسان.

(ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ) تكرار، وتأكيد، يوم صعب، يوم ما دار في الخيال، ولا أتى على البال. ولذلك يقول الله: ﴿الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾(القارعة:١-٣). فهنا قال: وما أدراك ما يوم الدين، فسوف يخبره، وإذا قال: وما يدريك، فلن يُخبره، أنت ما تدري ما يوم الدين أصلاً، لكن سوف نخبرك به.

(يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ) يوم لا يستطيع الإنسان أن يقدم شيئاً للإنسان، أو يشفع، إلا بإذن الله، أو يقف موقفاً بسيطاً، لماذا؟ لأنّ الأمر كله لله، تنتهي مناصب الدنيا، اتخاذ القرار يكون لله الأحد.

في الدنيا قد يستطيع الإنسان أن يصدر أمراً، أو يقول شيئاً، لكن يوم القيامة يجرّد الإنسان من كل شيء. الأمر كله لله الواحد الأحد.

انظر إلى اختيار كلمة (لله)، الله: لأن النفوس لا تسكن إلا إليه، الله: لم يتسمَّ باسمه أحد، الله: تألهه القلوب وتألهه العقول، قالوا تحتار فيه، الله: الكلمة الجميلة التي جُعلت في كلمة التوحيد، لا إله إلا الله.

هذا شعر سوداني، على ذكر الأخوة السودانيين جزاهم الله خيراً، إنهم ساهموا في ثقافتنا العربية، وفي الثقافة الإسلامية، وشكراً لكم وجزاكم الله خيراً.

الهاشمي: جزاك الله كل خير، وبارك الله فيك على هذه السياحة الجميلة في آيات هذه السورة الجليلة، نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من الآمنين في ذلك اليوم العظيم، وأن يجعلنا من أهل عليّين، قال الله تعالى: (إنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ)، وندعوه تعالى أن يجعلنا بفضله وكرمه من الأبرار.

الحقيقة أن ما تتحدث عنه السورة يوم هائل، والإنسان يجب أن ينتبه لأفعاله، لكن من جهة ثانية، لو الإنسان تدبّر الآيات، فإنه يجد هذه المعاني تجعل الحياة أكثر متعة، لأنه من دون هذا اليوم لا قيمة للحياة. إذا كانت نهاية المحسن والمسيء سواء، فلا معنى للحياة، ولا يكتمل معناها ويظهر ويتجلى إلاّ بمعرفة الفصل الثاني منها في الحياة الآخرة، وهذا الذي إن شاء الله يقوي إيمان المسلمين بالغيب، والإيمان بالغيب من ميزات المؤمنين كما ورد في سورة البقرة ،وأيضا في قوله تعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾(ق:٣٣).

سنواصل حديثنا الليلة بإذن الله عن مودة أهل البيت ومجموعة من المسائل المتفرعة عنها. وعن المبادئ والتعاليم التي دعا إليها أهل البيت. نواصل اليوم مناقشة الموضوع من أوجه مختلفة، ونتيح الفرصة لطرح الأسئلة، خاصة لمن لديهم اعتراض، ولا يوافقون الشيخ عائض.

كنت يا د. عايض قد أجبت في سهرا سابقة عن أسئلة تتعلق بسيرة بعض أعلام أهل البيت عليهم السلام. نبدأ من هنا لأنك تود تقديم سيرة شخصيات أخرى كريمة من أهل بيت رسول الله ﷺ؟ بمن تريد أن تبدأ؟

القرني: بعائشة رضي الله عنها أم المؤمنين.

عائشة من أهل البيت

الهاشمي: أنت تعدّها ممن تشملها عبارة أهل البيت؟

القرني: نعم، نعدها بما فهمنا من كتاب الله عز وجل، ومن سنة رسوله ﷺ، لأنه ﷺ يقول في الصحيح: «من يعذرني في رجل آذاني في أهلي».

يقصد عائشة، فهي أهله عليه الصلاة والسلام، وهي نصاً بلا شك في السنة، من أهل بيته ﷺ عند أهل السنة، فأنا أتكلم الآن بالعقيدة التي في كتب أهل السنة، وأتكلم بما يعتقده أهل السنة، على مدى الدهور والقرون.

وإنما أقول: عائشة، لأن الخلاف وقع فيها، في أمّنا، وهل رأيت أحداً يكره أمه؟ وخاصة إذا كانت الأم كعائشة التي اختارها الله لنبيه ﷺ في الدنيا، وفي الآخرة في الجنة.

ثمّ إذا كانت هذه الطاهرة مبرّأة من فوق سبع سماوات، وإذا كانت حبيبة المصطفى ﷺ، وإذا كانت أمنا هي بنت أبي بكر الصديق، فهي صدّيقة بنت صدّيق، حبيبة بنت الحبيب، زوجة الحبيب ﷺ وعلى آله وصحبه وسلّم.

الصلاة والسلام على محمد، الصلاة والسلام على آل بيته الطاهرين

الطيبين، الصلاة والرضوان على أصحابه الأخيار المنتجبين المباركين، أصحابه عليه الصلاة والسلام العدول، الذين زكّاهم الله من فوق سبع سماوات.

من أعلام أهل البيت:

❁ عائشة أم المؤمنين

❁ أم عبد الله عائشة بنت أبي بكر الصديق أمّنا في الدنيا والآخرة، وهي أحب نسائه إليه ﷺ، عائشة من بيت الصدق، وبيت الأمانة، وبيت المجد، وبيت الشرف، بيت أبي بكر الصديق الخليفة الأول للإسلام رضي الله عنه وأرضاه.

ولدت قبل بعثة الرسول ﷺ بأربع سنوات، وعُرفت بالذكاء والعلم.

قال الشعبي: ما رأيت أحفظ من عائشة. وقيل: أفصح من عائشة.

وذكرها الزهري قال: كان إليها المرجع عند أصحاب الرسول ﷺ، أي ربما أفتت كبار أصحاب رسول الله ﷺ بالمسائل، خاصة مسائل بيته ﷺ التي لم يطّلعوا عليها.

كانت حافظة واعية عاقلة فصيحة طاهرة الجناب، رضي الله عنها، آية في الكرم والسمو.

هل يختار الله لنبيه إلا أعقل النساء، وأفضل وأزكى النساء، رضي الله عنها وأرضاها؟

أعظم شرف لعائشة كانت تردّده، واسمع أيها العالم الإسلامي مني هذا وهذا ثبت بالبراهين، أعظم شرف تقول: «إنّ رسول الله ﷺ مات بين سحري ونحري».

سيد الخلق محمد ﷺ الرسول المجتبى المصطفى مات واضعاً رأسه بين سحرها ونحرها، فتوفي ورأسه ﷺ على صدر عائشة.

كان ﷺ يسأل في مرضه، كما صح في الحديث: أين أنا غداً؟ يتحرى أن يكون في يوم عائشة، لأنه كان يدور على نسائه، فكان ﷺ يسأل: أين أنا غدا؟ فقالوا له: عند عائشة، فقبضه الله في بيت عائشة، إكراماً لعائشة فهو يريد ﷺ أن يتوفى عندها، وفي بيتها. فأيُّ شرف هذا.

يقول ﷺ: «أُريتُك في المنام في قطعة من حرير».

روت من الأحاديث ألفين ومئتين وعشرة أحاديث، كما أثبت ذلك علماء السنة في كتبهم.

كان مسروق يقول: الصدّيقة بنت الصدّيق، الحبيبة بنت الحبيب، المبرّأة من فوق سبع سماوات.

عاشت رضي الله عنها وأرضاها، عاشت خمسا وستين سنة[1]، كلها صدق، كلها عفاف، كلها تقوى، كلها حشمة.

(وأزواجه أمهاتهم) فأزواج الرسول ﷺ أمهات لنا، وهذه الزوجة الطاهرة المبرأة الصديقة بنت الصديق.

---

(١) أو سبع وستين سنة، على اختلاف الروايات..

هي البكر الوحيدة التي تزوجها الرسول ﷺ، وكل نسائه كنّ ثيبات، رضي الله عنهن وأرضاهن.

دخل عليها ابن عباس وهي في سكرات الموت، فقال: السلام عليك يا أمّنا ورحمة الله وبركاته، تقدمين على فرط صدق، على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر.

من بركاتها رضي الله عنها، أن القرآن كثيراً ما كان ينزل والرسول ﷺ عندها وفي حجرتها.

ومن بركاتها أنه لما سقط عقدها، وكانت شابة، وكانت حريصة على العقد، على الرغم من قلّة ثمنه، فانتظر النبي ﷺ، وانتظر المسلمون يلتمسون عقد عائشة، فتأخر الجيش ولم يكونوا على ماء، وحان وقت الصلاة، فأنزل الله آية التيمم، فكانت رخصة للناس. تقول عائشة: فأتى أبو بكر، فدخل عليّ فأخذ يطعنني في بطني بيده - مداعبة - يقول: أخرت الجيش؟ حبست رسول الله ﷺ؟ والرسول ﷺ يتبسم، ولم يقل شيئاً ﷺ.

يقول أسيد بن حضير: والله ما هي بأول بركاتكم.

ومرة كانت تختلف مع الرسول ﷺ في بيت النبوة فدخل أبو بكر فأخذ يطعنها والرسول ﷺ يحبس يده ويمسك يده. فلما خرج قال: أرأيت كيف منعتك من أبيك؟

ألا إن وادي الجزع أضحى ترابه

من المسك كافورا وأعواده رندا



وما ذاك إلا أن هندا عشيةَ
تمشت وجرّت في جوانبه بُردا

نزل في حقها في القرآن براءة، ستة عشر آية متتالية، في حادثة الإفك:

يقول تعالى:﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾(النور:١٦) وقال سبحانه لما نسبوا له الولد: ﴿وقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ ولَداً سُبْحَانَهُ﴾(البقرة:١١٦). ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن ولَدٍ سُبْحَانَهُ﴾ (مريم:٣٥).

قال الزمخشري: عند ذكر الولد والشريك قال الله: (سبحنه) تقديساً له، وتنزيهاً، نزّه الله نفسه أن يكون له ولد. وعندما رُميت عائشة قال: (سبحانك).أي: لماذا أيها المسلمون لما سمعتم هذه الفرية والكذبة العظمى، ما قلتم: سبحانك هذا بهتان عظيم؟ ﴿وتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (النور:١٥). ولذلك لم يحصل في إنكار فرية، أو إنكار بعض الشرك، مثل ما أنكر الله تعالى على من وقع في عرض السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها، الطاهرة المطهرة المزكاة بتزكية الله سبحانه وتعالى.

وقد سُئل رسول الله ﷺ: «مَن أحبُّ الناس إليك. قال: عائشة. قيل: ومن الرجال؟ قال: أبوها[(١)]».

كان الناس يتحرون وقت عائشة لإرسال هديتهم من اللبن، والتمر،

(١) صحيح البخاري

لأنهم يعلمون أن النبي ﷺ في بيت عائشة، يكون أكثر انشراحاً وأنساً وراحة.

تقول عائشة حين سُئلت عن بيت النبوة: كيف إذا دخل عليكم؟ قالت: يدخل بسّاماً ضحّاكاً، وربّما قطّع معي اللحم، وكنتُ إذا شربت من إناء، أخذ ﷺ من نفس الموضع الذي شربت منه، فشرب منه ﷺ.

وكان ﷺ يقول لعائشة ويمازحها: إني لأعلم متى ترضين ومتى تغضبين! قالت: متى يا رسول الله؟ قال: إذا رضيت، قلت: لا ورب محمد. وإذا غضبت قلت: لا ورب إبراهيم. قالت: والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك.

قال الزهري: كانت عائشة أكثر النساء علماً، وكان علمها في الطب والفقه والشعر(١).

وقال عروة: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا طب ولا شعر من عائشة.

يقول الأصمعي: إنها من أحفظ الناس في العربية للشعر، وكانت تتمثل به لسرعة بديهتها، وكانت فصيحة عاقلة من أعقل النساء.

وعند مسلم: من أحب رسول الله ﷺ فليحب عائشة، وهذا في قصة فاطمة.

وصح عنه ﷺ أنه قال: إن جبريل أتاه فقال: من هذه؟ قال: عائشة.

---

(١) الاستيعاب ٤ / ٣٥٨.

فقال: أبلغها مني السلام. فعلى جبريل وعلى رسول الله الصلاة والسلام. تكرّر ذلك في حديث خديجة أيضاً.

حين توفي الرسول ﷺ بين سحرها ونحرها. شاركها ﷺ حتى في الألم. تقول هي: وارأساه. فيقول ﷺ: بل أنا، وارأساه[١].

إن كان سركم ما قال حاسدنا
فما لجرح إذا أرضاكم ألم

قام ﷺ يصلي من الليل، فسمعته يدعو في سجوده، وكانت عائشة تمد قدمها وهي مستلقية جهة القبلة، فإذا أراد النبي ﷺ السجود غمز قدمها فسحبتها ليسجد، هذا بيت النبوة، الذي انطلقت منه الرسالة، غرفة واحدة صغيرة.

وفي ليلة من الليالي قام فخرج من البيت، وكان ﷺ يظنها نائمة، قالت: فأخذتني الغيرة، فكنت أمشي خلفه، حتى وصل البقيع (الغرقد) فوقف ﷺ على أهل البقيع فسلم عليهم، قبل وفاته ﷺ وودعهم. ثم ذهب إلى قبر الشهداء فسلم عليهم، وقال: أنا شهيد أنكم شهداء عند الله. قالت: ثم عاد ﷺ بعدما دعا طويلاً لأهل القبور من المسلمين ودعا للشهداء وسأل لهم المغفرة.

أما زهدها، وعلمها، فهذه كتب السنة، وأنا أطلب من الأخوة أن يراجعوا الاستيعاب، والإصابة، وابن سعد، وسير أعلام النبلاء، وغيرها

---

(١) صحيح البخاري، باب المرض (باب قول الرجل : وارأساه) .

من كتب السنة المعتمدة.

أرسل لها بعض المسلمين مئة ألف، فوزعتها كلها، فلما صار الغروب قالت لها جاريتها: لو حبست لنا دراهم نشتري بها، وأنت صائمة. تقول عائشة: أما لو ذكرتني لفعلت.

وأما عبادتها، فيقول عروة، ابن أختها أسماء: مررت بخالتي، (أي عائشة) وهي تصلي الضحى فسمعتها تقرأ، ولها نشيج من البكاء ﴿ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ووَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾(الطور:٢٧-٢٨).

قال: فوالله ذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي، ورجعت، فإذا هي تقرأ ﴿ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ووَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾(الطور:٢٧-٢٨).

وكانت تواصل الصيام كثيراً بعد وفاته ﷺ، وكانت معطاءة، وكانت إذا ذكرت الرسول ﷺ تسيل دموعها حتى تبل خمارها، وكانت تقول: بأبي هو وأمي مات بين سحري ونحري. تتذكر تلك اللحظة.

وهو ﷺ في سكرات الموت تدعو له بالشفاء، فيقول: بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى. قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله خُيِّرت فاخترت. وكان عنده خميصة يضعها على وجهه ويقول: لا إله إلا الله، اللهم هوّن عليّ سكرات الموت، إن للموت لسكرات.

تقول: دخل عليّ أخي عبد الرحمن، وفي يده سواك يستاك به،

قالت: والرسول ﷺ لا يستطيع الكلام، بأبي هو وأمي، فلما رأى أخي عبد الرحمن وفي يده السواك وكان ﷺ يحب السواك، وكان يقول: السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب، ولولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك. قالت: فأخذ ينظر ﷺ بقوة ما يستطيع الكلام من شدة الألم، ومن شدة الكرب، فعلمت انه يريد السواك، قالت: فأخذت السواك فليّنته له، فأخذه ﷺ فاستاك به أشد ما يستاك.

كانت عائشة رضي الله تفتي في المسائل، وتولاها أصحاب رسول الله ﷺ وأحبوها، وهي أمهم. وبرّها كل من أبي بكر، وكان أبوها وكان صاحب البر بعد وفاة الرسول ﷺ،

وكان عمر يرسل إذا جاءه هدية أو أي شيء بدأ بزوجات الرسول ﷺ، وحج معهنّ. خصص حجة لأمهات المؤمنين نساء الرسول ﷺ، فأركبهن في الهوادج، واعتنى بهن سار كالمرافق لهنّ، رضي الله عنه وأرضاه.

ثم جاء عثمان فكان وصولاً باراً راشداً، وأما عبد الرحمن بن عوف فكان من أكثرهم براً، تقول عائشة: سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة. فقد أوقف لهن بئراً، وكان كثير الصلات بهن رضي الله عنهن.

ثم جاء الخليفة الراشد علي بن أبي طالب أوصل الناس بعائشة، وأوصلهم حتى في موقعة الجمل، أعادها مكرّمة معززة، وكتب السنة تشهد بذلك، وكانت تدعو له.

أسباب خروج السيدة عائشة على الخليفة الرابع

الهاشمي: لماذا خرجت السيدة عائشة رضي الله عنها على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ؟ طبعاً الحديث هنا فيه وجهان. فيه وجه يتعلق بالتاريخ، وفيه وجه يتعلق بالموعظة بشكل عام. وأحب أن نبقى في جو الحوار الصريح، وأطرح عليك الأسئلة التي قد تجول في خاطر بعض الناس، حتى ننصفك وننصف الموضوع وننصف البرنامج. هل لديك تفسير لأسباب خروج السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها على رابع الخلفاء الراشدين سيدنا علي؟

القرني: أحسنت. خرجت تطالب بدم عثمان، بقتلة عثمان رضي الله عنه، فهم كانوا أصلاً في جيش علي، فعلي عنده حجّة، ولعائشة حجة، اجتهدوا، وكما قال الشاطبي: أهل الجنة التقوا فاستحى بعضهم من بعض.

هي ترى أن قتلة عثمان يجب أن يُحاسبوا ويُهدر دمهم، وقد اختفوا في جيش علي، فخرجت مع طلحة والزبير بقصد الإصلاح، و لم شمل الأمّة، مع العلم أن طلحة بايع عليا في المدينة، وبايعه الزبير، فقال علي: دعوني، فأنا حين يستتب الأمر، وتتم البيعة، سأحاكم هؤلاء الجناة والقتلة، وأقيم عليهم حكم الله عز وجل لأن القتلة لهم عشائر تحميهم.

الهاشمي: أظن أن هؤلاء البغاة كانوا قادمين من مصر، والكوفة.

القرني: نعم، وصدق علي وبر، وهو الخليفة الراشد في ذلك، وهو المؤتمن الصادق، قال: دعوني. علي في الخلافات كان الحق معه دائماً سواء في الجمل، أو صفين، أو في قتاله مع الخوارج.

الهاشمي: هناك بعض الروايات، تظهر أن السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها اتخذت موقفاً معارضاً لسيدنا عثمان، في نهاية حياته.

وهناك من يدّعي أنها قالت: اقتلوا نعثلاً (أي: سيدنا عثمان) فقد كفر.

القرني: معاذ الله. هذه رواية كاذبة، ليست بالصحيحة، بل بلّت خمارها لما بلغها موت عثمان، وهذه سيرتها موجودة، وتأسّفت أشد الأسف، وسبّت الذين خذلوه، وقامت تطالب بنصرته. كيف وهو الخليفة الراشد القريب؟ ثم خرجت من أجل دم عثمان مع طلحة أحد العشرة المبشرين، والزبير أحد العشرة المبشرين بالجنة. لماذا تطالب بدمه إن كانت تصفه بهذا الوصف، كما تصوّر الروايات الضعيفة الباطلة؟

الهاشمي: على أي أساس اعتبر طلحة والزبير والسيدة عائشة، أنفسهم أولياء دم عثمان، رضي الله عنهم جميعاً؟

القرني: يرون أن المطالبة بدم عثمان ينبغي أن تكون القضية الأولى ويطالبون بمحاسبة القتلة قبل البيعة.

يقول طلحة: والله ما كنت أظن أن الأمر يصل إلى قتل عثمان، لم

يظن أن هؤلاء البغاة سيتجرؤون على قتل خليفة رسول الله، فلما استشهد عثمان، كان يقول: اللهم خذ من دمي لعثمان حتى ترضى، اللهم خذ من دمي لعثمان حتى ترضى.

الهاشمي: السيدة عائشة اشتهرت بأمرين:

١. كونها زوجة المصطفى ﷺ، أمّ المؤمنين.

٢. دورها السياسي في خلافة سيدنا علي بقيادتها فعلياً لجيش واجه الخليفة في موقعة الجمل.

القرني: أحاط البغاة بدار عثمان، وعلى الرغم من محاجته لهم، بقوا محيطين بالدار، ومن شدة ورع سيدنا عثمان، طلب من جميع الصحابة ألّا يريقوا قطرة دم واحدة دفاعاً عنه، واعتقد الأصحاب أنّ جرأة البغاة لا يمكن أن تصل بهم إلى قتل الحيي الطاهر، ولكن حصل ما حصل، إذ إنّ البغاة كانوا قد حبكوا مؤامرتهم بشكل مدروس.

الهاشمي: حصل ما حصل، وكانت مرحلة حاسمة فيما سمي بتاريخ المسلمين (بالفتنة الكبرى). نحن نتكلم عن التاريخ البعيد.

السؤال الأوّل: هل كان بالإمكان تفادي المعركة التي حصلت؟

والسؤال الثاني: قد يكون سؤالاً محرجاً لمشايخ التيار السلفي، وبالذات عندكم في المملكة العربية السعودية، وهم مشايخ محترمون ومبجلون.

السؤال هو: كيف تمنعون المرأة عن ممارسة السياسة، وأم المؤمنين

قادت معركة سياسية ضد الخليفة. إضافة إلى أن بعض النساء بايعن في بيعة العقبة الثانية، ودافعن عن الرسول ﷺ في أُحُد.

خروج السيدة عائشة في معركة سياسية، أليس محرجاً لعلماء هذا التيار الذين يصنّفون في الغالب في الصف المعارض لتمكين المرأة من ممارسة حقوقها السياسية؟ .

القرني: ربما كان بالإمكان تفادي المعركة التي حصلت، لو تنبّهوا للبغاة الخارجين الذين أثاروا الفتنة، خوفاً على أنفسهم، لو تمّ الصلح بين عليٍّ من جهة، وعائشة وطلحة والزبير من جهة أخرى.

الله سبحانه عصم من كل قاصمة، فالدين لم ينته، والشريعة قامت، وتولى بعد الخليفة خليفة، واجتمع أمر الأمة لكن بلا شك حصلت فتن أوهنت الصف في ذلك الوقت.

الأمر الثاني: خروج السيدة عائشة أمنا ليس سنّة للنساء، لأنها اجتهدت في ذلك، وبعض أهل السنة يرون أنها أخطأت، وكانت، كما تذكر بعض الروايات: تبكي إذا ذكرت هذا اليوم، وتتمنى لو أنها ما خرجت، لكنها مأجورة على اجتهادها، وما كل مجتهد مصيب.

هي ليست نبية رضي الله عنها، أخطأت بهذا التصرف رضي الله عنها وأرضاها فيما نرى، وهي مأجورة، واجتهدت وقصدها الخير، ما كان قصدها الخروج على علي ابن أبي طالب، ولا قتاله، قصدها كان الثوار الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه.

الهاشمي: هل هناك احتمال بأن يكون الخلاف بين سيدنا علي والسيدة عائشة متصلاً بموقف جرى أيام حادثة الإفك المشهورة؟ أشير هنا إلى ذلك الموقف الصعب الذي جرى عندما اتُّهمت السيدة عائشة، عندما اتُّهم بيت النبوة في حادثة الإفك المشهورة. كانت أياماً صعبة جداً على النبي ﷺ. فعندما استلبث الوحي، أي عندما لم ينزل وحي لمدة شهر تقريباً، دعا النبي ﷺ سيدنا علي بن أبي طالب، ودعا الرجل السعيد الكريم أسامة بن زيد، يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله، يعني بأهله هنا: السيدة عائشة زوجته. فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، فقال: أهلك ولا نعلم إلا خيراً، وأما علي رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية (الخادمة) تصدقك. قالت: ما أعرف عليها سوءا إلا أنها جارية حديثة السن (يعني صغيرة) تنام عن عجين أهلها فتأتي الدواجن فتأكله.

جواب سيدنا علي عندما استشاره النبي ﷺ أيام حادثة الإفك، هل ترى علاقة بينه وبين خروج السيدة عائشة لاحقا على سيدنا علي أيام خلافته؟

القرني: دعني أقول لك شيئاً، من حق علي أن يشير على الرسول ﷺ وقد طلب المشورة والرأي، الأمر الثاني: عليٌّ لم يُفهم من كلامه عند أحد من أهل السنة أنه طعن في عائشة، معاذ الله، أو قلّل من شأن عائشة، أبداً، حتى الرسول ﷺ، وهو سيد الخلق هو الذي يستشير، ولا يعني ذلك أي سوء، وفي تبرئة الله سبحانه لها أكبر دليل على طهارتها. فهو لم

يتعرض لعائشة لا من قريب ولا من بعيد وإنما قال قوله، ثم إن هذا اجتهاد من علي رضي الله عنه ومن حقه أن يجتهد عند رسول الله ﷺ، وما قال منكراً.

سُئلت عائشة عن المسح على الخفين بعد وفاة النبي ﷺ فقالت: سلوا عليا بن أبي طالب، فإنه كان أعلم الناس بذلك، كان يسافر مع الرسول ﷺ وهي تعرف قدره ومقامه. فلو كان بينهما أي عتب بسبب الحادثة التي ذكرت، لما قالت: اسألوا عليا رضي الله عنه.

عندي مقطوعة قصيرة وصغيرة نظمتها في أم المؤمنين فقلت عن أمنا عائشة –وأحتسب ذلك عند الله–:

أنعم بأم المؤمنين فإنها
صِدِّيقة وعلى البراءة فاشهدِ

إن لم تبرئها فقد كذّبتَ ما
أوحاه ربي للنبي محمدِّ

في سورة النورِ العظيمة فضلُها
وتلا النبي براءةً في المسجدِ

فاحفظ لعائشة مقامَ عفافها
واحذر بأن تتلو طريقةَ ملحدِ

واعلم بأن العرض عرضُ محمّد
والبيتُ بيت المصطفى المتعبدٌ

قد قال آذاني بأهلي فاجرٌ
والأهل عائشةٌ حبيبةُ أحمدِ

يا أم عبد الله كل كريمةٍ
تفديك يا أم العفاف الأوحدِ

أنت التي قُبض النبي ببيتها
وبسحرِها والنحرِ خيرُ المرقدِ

صدّيقة والصدق يألف دارها
أمٌّ لكل مكبرٍّ وموحدِ

عن الحقوق السياسية للمرأة المسلمة

الهاشمي: الآن في القرن الحادي والعشرين الميلادي، القرن الخامس عشر الهجري، لا توجد امرأة تغفر لشخص يحرض زوجها على الزواج بأخرى . مثلاً لو قال أحدهم للآخر مازحاً: يحق لك والله أن تتزوج زوجة ثانية، وسمعته زوجة ذلك الرجل، ماذا يكون موقفها؟ الغضب الشديد بكل تأكيد.

سؤالي لك من الناحية التاريخية، هو عن رأيك في من يقول أن السيدة عائشة وجدت في نفسها على الإمام علي لأنه لم يقف معها الموقف القوي الذي وقفه أسامة بن زيد، خاصة وأن الرواية التاريخية تتضمن المقارنة بين الموقفين.

القرني: خروجها في موقعة الجمل ليس فيه شيء من تلك القصة، لا من قريب ولا من بعيد أبداً.

ثانياً: لم يُنقل عن عائشة أنها معترضة على ولاية الإمام علي، وهي تعلم أنه أولى الناس بالخلافة بعد عثمان، وقد بايعه الناس بالمدينة، و لم يصدر منها أي اعتراض، إنما قالت: نريد أن نحاسب قتلة عثمان، ونقتلهم قصاصاً.

لماذا نستخرج، ونحمّل القصة أكثر مما تحتمل؟ نحن لا نروح وراء الأوهام والظنيات، ألم يردّها عليّ، محتشمة محترمة مقدّرة إلى المدينة؟

الهاشمي: هل توافق الذين يمنعون المرأة من العمل العام، ومن الانتخابات لاعتبارات شرعية؟ يقول البعض: إذا كانت السيدة عائشة تقود جيشا، فلماذا لا يكون من حق المرأة السعودية أن تشارك في الانتخابات البلدية. ما تعليقك؟

القرني: عندنا في السعودية تكلمنا بكل تجرد وشفافية، أنا شاركت في الحوار الوطني في مكة، عن حقوق المرأة، وحضر كثير من النساء، وقلن بإجماع: نريد حقوق المرأة التي كفلها الإسلام، في الشريعة، حتى أنّ بعض النساء الفاضلات قلن: لماذا يقول بعض الكتّاب في صحفنا أنّ المرأة مظلومة، هل وكلناه؟

الهاشمي: في الانتخابات البلدية، نريد أن نعرف رأيك الشخصي، هل للنساء الحق في التصويت في الترشح للمجالس البلدية أم لا؟

القرني: انظر يا دكتور محمد، أنا أرى أن تجتمع المرجعية في السعودية، هيئة العلماء، أهل الخبرة، أهل العلم، ويدرسون المسألة ويصدرون الفتوى. ما معنى أن آتي أنا من بين كل سكان المملكة وأقول: لا، يجوز انتخابها، نطالب بفتوى مؤسسات، ونحن طلبنا ذلك في التلفزيون، لنتكلم للناس، نقول يا إخوان، يا طلبة العلم: لا تفتوا في قضايا الأمة إلا بفتاوى المؤسسات، لأن مشكلة المسلمين تضارب الفتاوى، الحل أن يجتمع علماء ودعاة ومفكرون ويصدرون الفتوى. إما أن تقول: هيّا أجب، وإذا ما أجبت!!!

الهاشمي: أهنئك على أنك، ما شاء الله، مع العلم الغزير، والأدب الوفير، والفصاحة والبلاغة، والكياسة والفطنة، واللمحات الجميلة في تفسير القرآن الكريم، أضفت إليها الآن الحكمة السياسية، فأنت تخلّصت من السؤال بأجمل ما يتخلّص به إنسان من سؤال! بارك الله فيك، وأنا أحترم رأيك، بترك الأمر لهيئة علمية عامة، وإن كان هناك آخرون يقولون رأيا واضحا في هذا الموضوع، وأنت اخترت ما تعتبره الأصوب.

نعود للكلام فيما يتعلق بسيرة السيدة عائشة، هي خرجت على الإمام علي، بعض الناس يقولون: لو أن السيدة عائشة ما خرجت لكان أفضل. وبعضهم يخطّئها بالخروج.

والبعض الآخر من الناس يقولون: لو أن علياً رضي الله عنه تعامل

معها بطريقة أخرى،واهتم بالمطلب الذي رفعته السيدة عائشة، وطلحة والزبير، ووالي الشام آنذاك معاوية ابن أبي سفيان، ولو أنه أجّل المواجهة مع حاكم الشام، إلى أن يستتب له الأمر في المدينة المنورة، لربما اتخذ التاريخ اتجاها آخر. ما رأيك، ما تعليقك على هذين الأمرين؟

القرني: علي بن أبي طالب ليس بحاجة إلينا في القرن الرابع عشر الهجري لنعطيه وصية، أو معلومة فاتته رضي الله عنه. فهو خليفة راشد يمشي على منهاج النبوة، حتى الذين علّقوا على موقفه لما عزل بعض الولاة. قالوا له: لو أبقيتهم حتى يستتب الأمن. قال: لا والذي نفسي بيده، هو يرى رأيا شرعيا أن بعض الولاة له عليهم بعض الملاحظات، وهو خليفة راشد زاهد عابد.

دكتور محمد أقول: نشهد الله عز وجل، أن عليّا رضي الله عنه، خليفة راشد بار، أصاب فيما فعل، ونشهد الله، أن عائشة مبرأة من فوق سبع سماوات، صادقة، اجتهدت، وعسى الله أن يؤجرها في خروجها.

لماذا لا نعمل بمنطق عليّ رضي الله عنه، لما قُتل طلحة في معركة الجمل، نزل عليّ من على دابته، ومسح التراب عن وجه طلحة، وقبّله، وبكى، وقال: يعزّ علي يا أبا محمد، أن أراك مجدلاً على التراب، لكن أسأل الله أن يجعلني وإياك ممن قال فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾(الحجر :٤٧).

هؤلاء التقوا على الجنة، الآن عائشة في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة. مجتهدهم له أجران، ومخطئهم له أجر.

كيف يحل المسلمون منازعاتهم على السلطة؟

الهاشمي: هذه الصدامات والنزاعات التاريخية التي صدر فيها حكم قرآني ثابت يحذر من أخطارها في قوله تعالى: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾(الأنفال:٤٦) سنّة مضت عليهم، وتمضي على غيرهم. هناك من يرى أن المسلمين إلى اليوم لم يتعلموا كيف يسوون مشاكلهم ومنازعاتهم على السلطة سلمياً .

انظر إلى الخلاف بعد تولي سيدنا علي، معاوية اعتبر نفسه ولي دم عثمان رضي الله عن الجميع، والسيدة عائشة رضي الله عنها خرجت مع اثنين من المبشرين بالجنة، وجيش آخر من المسلمين، واضح أنه كان يوجد مشاكل وخلافات في تلك الفترة.

الأمم الأخرى مرت بها ظروف مشابهة لما حصل في الفتنة الكبرى، وفي القرون التي بعدها، لكنهم في المئة سنة الأخيرة وجدوا طريقة، أسلوبا، يحلون به الخلاف حول السلطة، لأن السلطة مغرية وجذابة.

أما آن للمسلمين أن يتفقوا على آليات، وأساليب مستمدة من كتاب الله، ومن حديث رسول الله ﷺ، ومن عبر ودروس وتجارب الأمم الأخرى، لحل منازعاتهم على السلطة؟ وإلّا ما الفائدة أن نقرأ هذه القصص، هذه الصفحات الحزينة إذا لم نتعلم منها شيئاً نصلح به أوضاعنا نحن اليوم؟

القرني: أحسنت. مفاصل الحكمة الصحيحة الرشيدة موجودة في كتاب الله عز وجل، وكما قال العلماء المعاصرون: القرآن لن يبين طبيعة الحكم، هل هو ملكي، أو جمهوري، أو فيدرالي، أو ديمقراطي، أو شوري انتخابي، أو غير ذلك. إنما بيّن العدل، وبيّن الشورى، وبيّن حق الراعي، وحق الرعية، في خطوط عريضة مفصّلة، لكن المشكلة عند المسلمين تفعيل هذه.

ابن خلدون في المقدمة لما تكلّم عن الأمم، يقول: إن العرب أكثر (همجية)، وإنهم لا يستتبون مع الحكم، فهم يتنازعون، ثم أنهم يعتمدون في حكمهم على طبيعة عشائرية، وطبيعة بدوية، وطبيعة عصبية.

أنا أطالب المسلمين الآن أن يرتقوا بعقولهم إلى مسألة الشورى، أن يكون عندهم عقل شوري، عقل مؤسساتي، وهذا موجود في الإسلام، وقد حصل في سقيفة بني ساعدة، وحصل عند عمر رضي الله عنه يوم ترك الناس على شورى. لكنه لا يُفعّل الآن.

في العالم العربي، لا وجود للشورى، إلّا ما ندر:

يُقاد للسجن إن سبّ الرئيس وإنْ

سبّ الإله فإن الناسَ أحرارُ

مشكلتنا مشكلة هذا الحكم العقيم الذي ما قام على الشورى، ولذلك أنا أثنّي وأطالب تفعيل مجلس الشورى، سواء عندنا في السعودية، أو أيّ دولة أخرى، أن يُفعّل أكثر.

لو جرت انتخابات في السعودية، الأغلبية الساحقة من الناس يريدون الإسلام. نحن خيارنا الإسلام. ولكن بعض الكتّاب عندنا، وهم يُعدّون على الأصابع، يقولون: لا تدخلوا الإسلام في كل شيء. مع العلم أن الإسلام حياة، دنيا وآخرة ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾(الأنعام: ١٦٢).

نقول لحكام المسلمين: يا حكّام، لماذا تفصلون بين الإسلام الذي تريده الشعوب، والشريعة؟

ولماذا لا تفعّلون مجالس الشورى في بلدانكم التي تشير على الحاكم، ويكون أمرهم شورى بينهم، كما أمر الله سبحانه وتعالى؟ مسألة الشورى عندنا يجب أن تُفعّل ويكون هناك مجالس لها تأثير في القرار.

الهاشمي: حديثك عن الشورى هو انتصار لمعنى مهم في الإسلام، وأفهم منه أنك مؤيد لقول سيدنا عمر بن الخطاب في ذلك النداء العجيب: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».

لنفتح الآن المجال للاتصالات الهاتفية .

حوار مع المشاهدين

الموسوي[١]: إن شاء الله هذه الحوارات تكون هادفة لتقريب المسلمين، ونكون يداً واحدة على مَن سوانا.

الهاشمي: نحن يا أخ موسوي، ليس بالضرورة إذا تقاربنا، أن نكون أعداء للآخرين . من الممكن لنا أن نتقارب لكي ننفع أمتنا، وننفع الآخرين. ليس مطلوباً من المسلمين إذا اقتربوا بعضهم من بعض أن يقودوا حرباً على الناس. مطلوب منهم التقارب والاتحاد ليكونوا قوة من قوى السلام في العالم إن شاء الله، وليعملوا بقانون التعارف، ربنا قال: ﴿وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾(الحجرات:١٣).

الموسوي: أنا لما قلت: أن نكون يداً واحدة على من سوانا، لم أقل أن نحاربهم، لا سمح الله، بل أن نعاملهم على منهج ومبادئ الإسلام.

المسألة الأولى: جناب الشيخ عايض العزيز، خطّأ خروج السيدة عائشة، والسيدة عائشة كرهت من الإمام علي لجوء القتلة إليه، كما تفضل، بأن هناك مِن قتلة عثمان مَن لجأ لجوءً سياسياً عند علي بن أبي طالب.

لكن السيدة عائشة خالفت الرسول ﷺ في حديث صريح في البخاري

---

(١) مداخلة للأخ علي الموسوي من كندا .

يقول: «من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً ومات، مات ميتة جاهلية». فهي خرجت وكرهت من علي بن أبي طالب قبوله كما يدعون اللجوء السياسي من قِبل الذين شاركوا في قتل عثمان.

القرني: أما قولك يا أخي: إنّ عائشة كرهت لجوء القتلة إلى علي، فهذا صحيح، ولذلك خرجت تطالب بالقصاص منهم.

وأما قولك: إنها خرجت عن طاعته، فهذا غير صحيح، فهي لم تخرج عن طاعة علي، لأنها أصلاً ما ترى أن الخلافة قد قامت لعلي رضي الله عنها، وهي لم تعص الأمير، لأنّها لم تبايع، فهي مجتهدة تقول: الوقت وقت فتنة، الآن نبدأ بقتلة عثمان، ومن ثم نبايع لعليّ بن أبي طالب.

أمّا فيما يخص الحديث الذي ذكرته: «من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً ومات، مات ميتة جاهلية» فهو حديث صحيح، ولكن فهمك وشرحك له خاطئ، واستدلالك به باطل، فعائشة لم تخرج عن بيعة علي، ولم تعترض على بيعته، فلم تكره إمارة علي، لا في الخفاء ولا في السر، وتعلم مقام علي من الرسول ﷺ، ومقامه من الخلافة، ومقامه من المسلمين، ولم يقل ذلك أحد من علماء السنة. إنما خرجت تريد محاسبة القتلة على فِعلتهم.

الموسوي: المسألة الثانية: شيخنا العزيز، أم المؤمنين عائشة كانت من أقرب الناس إلى عثمان، لو كانت دافعت مع الجيش الذي معها قبل مقتل عثمان، ولما كانت هذه الحروب الدامية باسم قميص عثمان.

القرني: أما قولك: لماذا لم تدافع عن عثمان؟ كبار الصحابة ما

توقّعوا أن يصل الأمر إلى قتل عثمان، يُقسم كبار الصحابة، ومنهم عليّ، وطلحة، والزبير بالله العلي العظيم، أنهم ما توهّموا أن هؤلاء البلطجية، البغاة، السبئيين، العيارين، يتجرؤون على عثمان. إضافة إلى ذلك أنّ سيدنا عثمان رضي الله عنه، من ورعه، وتقواه، ما أراد من الصحابة أن يمرّغوا أيديهم بدم أحد بسببه، ولم يرض باقتراح معاوية بأن يُرسل له جيشاً من الشام، ومن يقرأ في كتب التاريخ يرى كيف أنّ علياً أرسل الحسن والحسين، إضافة إلى عدد كبير من الصحابة للدفاع عن عثمان، في حال حاول البغاة تصعيد الموقف، إلّا أن موقف عثمان من الفتنة السبئية كان واضحاً بقوله: «أيها الناس، عودوا إلى بيوتكم، لا أريد أن يراق دم من أجلي». وهذا ثابت عنه، وعند الطبري، وابن كثير، وغيرهم.

الموسوي: المسألة الثالثة: والمهمة جداً في نظري، أن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، قام خطيباً، فأشار نحو بيت عائشة، وقال: «هاهنا الفتنة (ثلاثاً)، من هنا يطلع قرن الشيطان».

القرني: فيما يخص المسألة الثالثة، أن الرسول ﷺ نظر إلى مسكن عائشة، وقال: «من هنا يطلع قرن الشيطان»، فهذا من الزور، والبهتان، والإفك.

فالرسول ﷺ أشار إلى جهة العراق، لا إلى جهة عائشة، هل يشير إلى بيت زوجته، أحب النساء إلى قلبه؟ إلى بيته هو، هو بيت النبوة، يعني مطلق النور.

يقول الله: ﴿واذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ والْحِكْمَةِ﴾

(الأحزاب:٣٤). أصلاً بيت عائشة فيه النور، فيه القرآن، فيه السنة، بيت عائشة هو بيت محمد ﷺ أصلاً.

الوسادة (المخدة) التي نامت عليها عائشة نام عليها محمد ﷺ، هذا البيت نزل فيه جبريل، هذا البيت الذي خرجت منه النبوة، هو بيت الفتنة؟

يعني: محمد ﷺ يخرج من غرفته، من بيته، ليقف أمام الناس، ويقول لهم: من هاهنا تخرج الفتنة. هل يعقل هذا؟ لماذا لا يستحي الإنسان الذي سيلاقي ربه من ذكر هذا الكلام؟ أستغفر الله، فيا أخي اتق الله، هل يُعقل ذلك؟

الهاشمي: أعوذ بالله من الإساءة لأم المؤمنين. هذا أمر لا يُعقل، ولا يصح، ولا يجوز.

القرني: الحديث في البخاري، وفي مسلم، أن الرسول ﷺ أشار إلى جهة العراق، هذا هو الصحيح، فمن العراق ظهر الغلاة، والخوارج، والجبرية، والقدرية، ومن غلا في أهل البيت، والمختار الثقفي، وقتلة الحسين كلهم من العراق، وغيرهم. حتى في أيامنا انظر لمصائب المسلمين في العراق.

الهاشمي: مع أن العراقيين ناس محترمون ومبجلون.

القرني: العراق التاريخ، وأنا أحيي العراق، العراق فيه: هارون الرشيد، أحمد بن حنبل، الشافعي، المأمون، ولكن قصدي يتجه فقط إلى الذين يثيرون المشاكل.

الهاشمي: لي صديق عراقي شيعي، من القيادات العراقية في البصرة، ومن أعيان العراقيين، موجود في سورية، له كتاب يقول فيه: أنه من خمسة آلاف سنة، والعراق يعاني، من المشاكل والصراعات الدموية.

الموسوي: المسألة الرابعة: شيخنا الكريم العزيز، أنتم تفضلتم بأن عائشة هي من أهل البيت، الخلاف وقع في نساء النبي، وليس في الحسن والحسين، وعلي وفاطمة، فكلنا متفقون أنهم من أهل البيت، فالخلاف وقع في الزوجات، فلا بد أن تأتينا بدليل.

القرني: فيما يخص المسألة الرابعة، سبق وأجبنا عن ذلك، في استعراض الآيات من سورة الحجرات، التي تتحدث عن زوجات رسول الله، أمّهات المؤمنين. والغريب في الموضوع، لماذا هذا الإصرار في إخراج أمّهات المؤمنين من مظلّة أهل البيت؟

آراء ابن تيمية في أئمة أهل البيت

فضل[١]: أود أن أرد بشكل سريع على الأخ علي الموسوي، الله سبحانه يقول: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب:٦)فنحن نعتقد أن عائشة هي أم المؤمنين وهي أمنا، إذا هو لا يريد أن تكون أمه فهذا شأنه. موضوع البرنامج مودة آل البيت عند أهل السنة.

(١) مداخلة للأخ فضل من بريطانية.

أريد أن أُسمعك ما يقوله الشيخ ابن تيمية الذي يتهمه كثير من الناس بأنه ناصبي، وبأنه عدو لأهل البيت، يقول: أهل السنة يحبون الذين لم يقاتلوا علياً، أعظم ممن يحبون من قاتلوا، ويفضلون من لم يقاتله، على من قاتله، كسعد بن أبي وقاص، وأسامة بن زيد، ومحمد بن مسلمة، وعبد الله بن عمر، فهؤلاء أفضل من الذين قاتلوا علياً عند أهل السنة، والحبُّ لعليّ وترك قتاله خير -بإجماع أهل السنة- من بغضه وقتاله، وهم متفقون على وجوب موالاته ومحبته، وهم من أشد الناس ذبّاً عنه، ورداً على من يطعن عليه من الخوارج، وغيرهم من النواصب، لكن لكل مقام مقال.

ويقول أيضاً: وكتب أهل السنة من جميع الطوائف مملوءة بذكر فضائله ومناقبه، وبذم الذين يظلمونه من جميع الفرق.

استمعوا إلى ما يقول شيخ الإسلام: وهم يُنكرون على من سبه، وكارهون لذلك، وما جرى من التساب والتلاعن بين العسكَرَين من جنس ما جرى من القتال، وأهل السنة من أشد الناس بغضاً وكراهة لأن يُتعرض له بقتال أو سب، بل هم كلهم متفقون على أنه أجلّ قدراً وأحق بالإمامة وأفضل عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين، من معاوية وأبيه وأخيه، وعلي أفضل ممن هو أفضل من معاوية، والسابقون الأولون الذين بايعوا تحت الشجرة كلهم أفضل من الذين أسلموا عام الفتح، وفي هؤلاء خلق كثير أفضل من معاوية، وأهل الشجرة أفضل من هؤلاء كلهم.

ويقول ابن تيمية: وعلي أفضل من جمهور الذين بايعوا تحت الشجرة بل هو أفضل منهم كلهم إلا الثلاثة، فليس في أهل السنة من يُقدّم عليه

أحداً غير الثلاثة، بل يفضلون عليّا على جمهور أهل بدر وأهل بيعة الرضوان، وعلى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار[١].

الهاشمي: لقد أوضحت وتحدثت بإضافات واستشهادات من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

والشيخ القرني سبق أن استشهد بأمور أخرى لابن تيمية. لكن هذا النص أظنه من صلب الموضوع. هل لديك تعليق موجز عليه؟

القرني: هذا الذي قاله شيخ الإسلام هو عين الصواب. وعليه أهل السنة جميعاً، ولم يختلف عليه أئمة المذاهب الأربعة، بل قالوا: إنّ علياً في الفضل في المنزلة الرابعة بعد هؤلاء. وكما تعرف الذين اعتزلوا الفتنة أحسن ممن شارك فيها، أو وقف ضد علي، ويترضون عنه، ويرون أن أفضل من شهد بدر بعد الرسول ﷺ الثلاثة فهو الرابع، وأفضل من حضر بيعة الرضوان بعد الرسول ﷺ الثلاثة، وهو الرابع، خذ هذا القياس معك، فلذلك مهما قيل: فنحن نقدّر عليّا رضي الله عنه ونحبّه ونتولاه.

لكننا نقول يا مسلون لماذا هذا العداء لزوجة رسول الله ﷺ؟ الله برأها من فوق سبع سماوات وأثنى عليها، هي أحب النساء عنده ﷺ، وهي زوجته في الجنة. فلماذا تصرّون على هذه النصوص وعلى تحويلها وليّ أعناقها؟ لماذا تخالفون علماء المسلمين، ودعاة المسلمين، وقضاة المسلمين. اتقوا الله هذه زوجة الرسول محمد ﷺ، نفديها بآبائنا وأمهاتنا، هذه أمنا في الدنيا وأمنا في الآخرة. لماذا هذا العقوق؟ استحيوا من الله عز وجل لئلا ينتقم الله منكم.

---

(١) الفتاوى ٤ / ٣٩٥.



أم أحمد[1]: عندي سؤال للذين يسبون السيدة عائشة رضي الله عنها:

ألا يعلمون أنها زوجة أحبّ وأطهر إنسان على وجه الأرض؟

ألا يعلمون أن جسمه عليه الصلاة والسلام اختلط بجسمها، ونام على ذراعها، واختلط ريقه بريقها؟!

موقف السيدة عائشة من الخليفة الثالث

عبد الرحمن الدمشقية[1]:

الأمر الأول: أنا أتوجه بسؤالي إلى علي الموسوي، وأسأله أين يرقد نبينا عليه الصلاة والسلام؟ في المسكن الذي يطلع منه قرن الشيطان؟! ولعلك تعطيه المجال ليجيب.

لو سألنا إنساناً غير مسلم هذا السؤال: أين يرقد نبيكم الآن، أين يرقد؟ أفي بيت الكفر! أمن حيث يطلع قرن الشيطان؟!.

الأمر الثاني: لم يثبت خروج عائشة قتالاً ضد علي. لم تخرج عائشة للفتنة. إنّما للإصلاح.

سُئلت عائشة رضي الله عنها: ما الذي أخرجك يا أماه؟ قالت: والله

---

(١) مداخلة للأخت أم أحمد من السعودية.

(٢) مداخلة للأخ عبد الرحمن الدمشقية من الرياض.

ما أخرجتني إلا هذه الآية ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾(النساء:١١٤)، وهذا ثابت عنها رضي الله عنها. أما خروجها لمقاتلة علي فأنا أتحدى أن يثبت أحد ذلك بالإسناد الصحيح.

ثم لماذا سميت الفتنة، بفتنة موقعة الجمل؟ لأن علياً رضي الله عنه لما رأى الخوارج يرمون هودج عائشة بالنبال، قطع يد الجمل حتى يسقط حفاظاً على حياة عائشة رضي الله عنها.

لم تكن عائشة تعلم ما دُبّر لها حيث تغلغل أناس من هؤلاء السوقة من السبئية ومن قتلة عثمان، اتفقوا بليل على أن يحدثوا الفتنة، ينبث منهم قسم في جيش عائشة، وقسم آخر في جيش علي رضي الله عنه، ثم يعملوا القتل في بعض الجنود، فوجد كل واحد من الفريقين نفسه في وضع دفع الصائل، يعني دفع المهاجم، وظنّوا أنهم بُغتوا من القسم الآخر، ثم وقعت الفتنة.

الأمر الثالث: قول السائل: لماذا لم تدافع عائشة عن عثمان؟ فنقول: ليس فقط عائشة، بل إن عثمان حرَّم على جميع الصحابة ألّا يدافعوا عنه، وهذا هو الزعيم والرئيس النموذجي القدوة منذ ذاك اليوم إلى الآن، لماذا؟

لأنه آثر – وهو صائم – أن يُقتل رضي الله عنه، في حال تجرّأ البغاة على فعل ذلك، على أن يُراق دم من دماء المسلمين.

من يفعل ذلك اليوم؟ اليوم، هناك زعماء يدفعون عن أنفسهم القتل، ولو كلّفهم ذلك قتل ملايين من الناس.

عثمان رضي الله عنه حرّم على كل الصحابة، ألا يدافع عنه أحد، في الوقت الذي بلغ جيش عثمان إلى الصين.

انظر مبلغ حكمته، انظر إلى هذه الكلمة العظيمة من عثمان، لما رموه بالنبال، قال: لماذا ترمونني؟ قالوا: ما رميناك، ولكن الله رماك. فقال عثمان: كذبتم، لو رماني الله لأصابني، وأنتم الآن ترمونني وتخطئونني.

موقف الإمام علي من أهل الشام

الأخ أبو بنان[1]: أقول لبعض الأخوة الذين يقولون: إنهم يتبعون عليّا بن أبي طالب، نحن نحفظ لهم ذلك، لكن نقول: لماذا الاتباع إن لم يرافقه الالتزام؟

في كتاب (نهج البلاغة)، وفي الرسالة رقم ٥٧، وعنوانها (إلى أهل الأنصار) يوضح علي بن أبي طالب بكلمات قاطعة الموقف، يقول: كان بدو أمرنا أنا التقينا والقوم من أهل الشام، والظاهر أن ربنا وربهم واحد، ونبينا ونبيهم واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، لا نستزيدهم في الإيمان

(١) مداخلة للأخ أبو بنان من سويسرا .

بالله، والتصديق برسوله، ولا يستزيدوننا، الأمر واحد، إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان، ونحن منه براء.

وصدق علي بن أبي طالب إذ إنه محق في هذا الأمر. كما قال شيخنا الكريم أيضا في فقه الصادق: يقول مسعدة بن زياد عن جعفر عن أبيه عليهما السلام: إنّ علياً عليه السلام، لم يكن ينسب أحداً من أهل البغي لا إلى الشرك، ولا إلى النفاق، ولكن كان يقول: «إخواننا بغوا علينا[1]».

حدثني زيد بن علي، عن أبيه عن جده، عن علي عليهما السلام، أنه أتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أكَفَر أهل الجمل، وصفين، وأهل النهروان، قال: «لا، هم إخواننا بغوا علينا، فقاتلناهم حتى يفيئوا إلى أمر الله[2]».

وأنت تعلم يا شيخ عائض أن في هذا نزولاً عند قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾(الحجرات:٩).

وأختم بهذه المقالة الصغيرة لعلي بن أبي طالب، عن ابن طريف، عن ابن علوان عن جعفر، عن أبيه، أن علياً عليه السلام، كان يقول لأهل حربه: «إنّا لم نقاتلهم على التكفير لهم، ولم نقاتلهم على التكفير لنا، ولكنا رأينا أنّا على حق، ورأوا أنهم على حق[3]». انظر إلى هذه الكلمات المعبرة.

فنسأل القوم: لماذا لا تتبعون ادعاء الاتباع، بالالتزام العملي بأخلاق علي بن أبي طالب؟

---

(١) السيد محمد الصادق الروحاني ١٣ / ١١٨ .
(٢) مسند زيد، الصفحة ٤١٠ .
(٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ٢٣ / ٣٢٤ .

إبراهيم[٢]: حديث الرسول ﷺ: «لو كنتُ متخذاً خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خلياً»، هذا يدل على عظم أبي بكر، ومن ثمّ مكانة عائشة.

الهاشمي: استشهادات أبي بنان التي نقلها عن الإمام علي مثيرة للانتباه، من جهة قوله أنه كان على حق، وأن خصومه كانوا يطنون على أنهم حق، وعدم إخراجه لهم من الملة بسبب اجتهادهم.

القرني: نهج البلاغة فيه ما هو من أقوال عليّ رضي الله عنه، وفيه ما هو من تأليف الشريف الرضي. عليٌّ رضي الله عنه، كلامه جزل وفصيح.

أمر آخر، أنا أشكر الشيخ عبد الرحمن الدمشقية على تأليفه، وعلى بيانه الدائم، وعلى مشاركته، وعلى تحقيقه في كثير من المسائل، وعلى صدقه فيما ينقل، حتى نثبت لأهل الفضل فضلهم، لأن له جهادا مشكورا في هذا الباب، وعلى حسن فهمه للنصوص.

الهاشمي: أختم بقصيدة بعث بها الأخ كمال الدليمي إلى قناة (المستقلة) قائلاً:

يا قناة الخير والخير ندرْ

منك جاء الخيرُ زخاتِ مطر

نكتفي اليوم بهذا القدر ونواصل الحوار غدا إن شاء الله في سهرتنا السادسة. أستودعكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) مداخلة للأخ إبراهيم.

السهرة السادسة

الهاشمي: بسم الله الرحمن الرحيم. أرحب بالمشاهدين الكرام إلى السهرة السادسة في هذه الجولة الجديدة من برنامج "الحوار الصريح"، والتي نناقش فيها موضوع مودة أهل البيت عند أهل السنة، ونستضيف فيها الكاتب والأديب والداعية السعودي الشيخ الدكتور عائض القرني. برنامج"الحوار الصريح" جامعة علمية مفتوحة يدور الحوار فيها حراً صريحاً، تعرض الأدلة والحجج فيها وتناقش بموضوعية، ويحتفى فيها بالتعددية وحق الإختلاف.

عباد الرحمن في سورة الفرقان

في بداية السهرة أقرأ عليكم آيات كريمة لها صلة بموضوع المناقشة في برنامجنا الفكري الثقافي،برنامج الحوار الصريح .

هذه الآيات هي من سورة الفرقان، وفيها بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وإذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً (٦٣) والَّذِينَ يَبِيتُونَ

لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وقِيَاماً (٦٤) والَّذينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَراً ومُقَاماً (٦٦) والَّذينَ إذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا و لَمْ يَقْتُرُوا وكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً (٦٧) والَّذينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ ولا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بِالْحَقِّ ولا يَزْنُونَ ومَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَة ويَخْلُدْ فيه مُهَاناً (٦٩) إلاَّ مَن تَابَ وآمَنَ وعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَات وكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً (٧٠) ومَن تَابَ وعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً﴾ [الفرقان٦٣-٧١]. صدق الله ورسوله.

أدعوك ياشيخ عائض إلى تقديم تفسير موجز لهذه الآيات الكريمة.

القرني: العجيب في القرآن أنك كلما استمعت إليه، كأنك تستمع إليه لأول مرة، وكما قال شوقي:

آيـــاتـــه كـلـمـا طـــال المـــدى جـــددٌ

يـزيـنـهـن جـــلالُ الـعـتـقِ والـــقـــدمِ.

سمعت هذا المقطع مئات المرات، لكن يوم قرأه الدكتور محمد الهاشمي، أشعر كأنني أول مرة أسمع هذا الكلام. ويسري إلى قلبي، لأنه كلام من خلق السماوات والأرض، جلّ في علاه، لا إله إلا هو.

في آخر سورة الفرقان يمدح الله سبحانه وتعالى عباده ويقول: (وعِبَادُ الرَّحْمَنِ) العبودية هي أشرف مقامات الإنسان عند الله سبحانه وتعالى، ولذلك شرّف محمد ﷺ في ثلاث مقامات، فذكره بأنه عبد فقال:

﴿سُبْحَانَ الَذي أَسْرَى بِعَبْدِه﴾(الإسراء:١) ولما نزّل الفرقان قال: ﴿تَبَارَكَ الَذي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِه﴾(الفرقان:١) ولما قام بالدعوة والتبليغ قال: ﴿وأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ﴾(الجن:١٩).

يقول أحد الأولياء:

ومما زادني شرفاً وفخراً

وكدت بأخمصي أطأ الثرّيا

دخولي تحت قولك: يا عبادي

وأن صيّرتَ أحمدَ نَبيا

و يقول أحد الصوفية:

لا تدعُني إلا بعبدي

فإنها أشرف الأسماء

لأنه كما يقول الفضلاء: إذا لم تكن عبداً لله، فلا بد أن تكون عبداً لسواه، إمّا عبد للشهوة، أو المنصب، أو الشيطان، أو الهوى، أو الدنيا. فاختر العبودية العظيمة التي تُشرّفك، وهي عبودية الواحد الأحد، وكان النبي ﷺ يتشرف بها.

جاء وفد عامر بن صعصعة يمدحون النبي ﷺ، فقال: إنما أنا عبد الله ورسوله، فقولوا: عبد الله ورسوله، فهو ﷺ يشرُف بهذا.

فالله سبحانه شرّف عباده، قائلاً: (وعِبَادُ الرَّحْمَنِ) أتى بالرحمن،

لأن الرحمن اسم مستغرق للرحمات، فقال: إنهم عباده. ولذلك تسعهم رحمته، وهم يطلبون رحمته، وكأنها بشرى لعباده، يقول: أنتم عباد! لكن: للرحمن. الذي يرحمكم بعبوديتكم له، جلّ في علاه، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

الرحمن: لم يتسمَّ به إلا مسيلمة الكذاب مرة، أما الله: فلم يتسمَّ به أحد.

ولذلك لما كتب النبي ﷺ في صلح الحديبية: بسم الله الرحمن الرحيم ، قالوا: ما نعرف إلا رحمان اليمامة، فقال رسول الله ﷺ لعليّ: اكتب، باسمك اللهم.

يقول سبحانه: ﴿وإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا ومَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وزَادَهُمْ نُفُوراً﴾(الفرقان: ٦٠) فالرحمن: هو الله سبحانه، جلّ في علاه، لا إله إلا هو.

هذه أوصافهم في النهار، وستأتي أوصافهم بالليل. يخبرنا سبحانه ماذا يفعلون في النهار، ما هي سلوكياتهم وآدابهم، ليبيّن لنا أن هذا الدين وهذا القرآن أتى لهداية هذا الإنسان، ليكون على أحسن وأرقى مستوى، في الأخلاق والآداب والسير والسلوك، في التعامل مع الناس.

يقول شوقي:

شعوبك في شرق البلاد وغربها

كأصحابِ كهف في عميق سباتِ

بـإيمـانـهـم نــــوراُن، ذكَـــر وسـنـة
فـمـا بـالـهـم في حـالـك الـظـلـمـات

قال عن عباده: (الَذينَ يمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً) فهم متواضعون، مؤدبون، نظاميون في المشي، لا يمشون بخترة ولا مرحاً، ولا كبراً، ولا ازدراءاً بالناس كما يفعل الجهلة والسفهاء، حتى يقول سبحانه وتعالى: ﴿ولا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ ولَن تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً﴾(الإسراء:٣٧) وقال: ﴿واقْصِدْ فِي مَشْيِكَ واغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾(لقمان:١٩)هذا منهج القرآن.

يقول ديل كارنيجي في كتاب (دع القلق): تعرف الرجل العاقل الرزين من مشيته.

أما القرآن فقال: (الذين يمشون على الأرض هونا) فعندهم رزانة، وعندهم ثقة بالنفس، وعندهم تواضع للمسلمين. وتعرف الرجل الأهوج السفيه، من مشيته. فالمؤمنون، هذه مشيتهم، يمشونها بهدوء، حتى في الزحام يأخذون أماكنهم، فلا يصطدمون بالناس ولا يسرعون، ولا يحدثون إرباكاً في السير.

قال: (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) حتى ألفاظهم درر، لا ينطقون إلا بالخير، حتى إذا سُفّه عليهم، وتعدى عليهم رجل بذيء، أو إنسان لا يحترم نفسه، فإنهم يردون سلاماً.

قال أهل العلم أصلها: سلاماً، يعني: سلمونا من أنفسكم ونسلّمكم



منا، أو: لكم السلام منّا، فلن نتعرّض لكم.

وأقول للأخوة: هذه مادة قطع الشر. من أراد أن يقطع الشر عن نفسه، فلا يرد على أي معترض عليه، إذا سمعت قصيدة تهجوك فقل: سلاماً، وإذا كُتبت عنك مقالة آثمة تتعرض لمقامك الشريف فقل: سلاماً، ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَذي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ ولِيٌّ حَمِيم﴾(فصلت:٣٤).

يقول حاتم الطائي: إذا تركك الشر فاتركه. ومنهج القرآن يقول لك: لا تتعرض للسفهاء.

إذا ساء فعل ساء الظروف

وصدق ما يعتاده من توهم

وعاد محبيه بقول وشاة

فأصبح بليل من الشك مظلم

قال: (والَّذينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وقِيَاماً) فهم من الليل يسجدون لله، ويتنفّلون فما تراهم إلا سجّداً وقياماً، يدعون الله ويطلبون منه سبحانه وتعالى من فيض عطائه، ومن رحمته، أن يصرف عنهم العذاب، وأن يُصلح لهم الذرية.

المسلم له في الليل آداب وفي النهار آداب، ومن آدابه: أنّ له وِرد من الأذكار والأدعية في الليل:



عُبّاد ليل إذا جنّ الظلام بهم

هبّوا إلى الموت يستجدون رؤياه

وأسد غاب إذا نادى الجهاد بهم

هبوا إلى الموت يستجدون رؤياهُ

يا رب فابعث لنا من مثلهم نفرا

يشيّدون لنا مجدا أضعناهُ

طلب رستم من أحد العيون أن يتجسس في معركة القادسية، في حربه ضدّ سعد بن أبي وقاص، وقال له: اذهب وانظر ماذا يفعلون؟ فمر بجيش فارس وإذا هم يعاقرون الخمر. ومر بالمسلمين، وإذا هم، هذا يصلي، وهذا يدعو، وهذا يتلو آيات الله، وإذا بجماعة يدرسون حديث رسول الله ﷺ، فرجع إلى رستم، وأخبره بما رأى. فقال: هُزمنا.

قال الله: في الليل: سجّداً وقياماً. وإنما بدأ بالسجود لأنه أشرف هيئة أن تكون ساجدا لله.

يقول ﷺ في الصحيح: ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد))، فأكثروا من الدعاء، ما أعظم المسلم يسجد على الأرض، يضع جبهته على التراب. لرب العالمين.

يا لهذا الجلال، وهذه الصورة الجميلة! كيف أنه انتصر على نفسه الأمارة بالسوء؟ كيف أنه عظّم ربه؟ فكأنه يقول: أنا العبد. أنا المخلوق، أنا الضعيف، أنا المسكين، أنا سجدت الآن على الطين، أنا أرجوك أن

تفيض عليّ الآن من برِّك وكرمك. نزلت برأسي وجمجمتي وشرفي، وما عندي من مؤهلات وشهادات ومناصب ودنيا، إكراماً لك يا ربي؟ وبذلك يكون قريباً من الواحد الأحد.

ولذلك انتصرنا على الضلالة، وعلى جيوش الظلم والاستبداد في العالم، بهذه السجدات وبهذه الركعات، وهذه الحركات والسكنات، التي نفعلها لرب العالمين. حاصر قتيبة بن مسلم الباهلي حصناً، وطال عليه الحصار، فقال: اذهبوا والتمسوا الدعاء من محمد بن واسع الأسدي العابد الزاهد، وهو من الأولياء الكبار. فذهبوا، فإذا هو في طرف الجيش، وإذا هو متكئ بطرف الرمح، وإذا به يشير: يا حي يا قيوم، انصرنا. فعادوا إلى قتيبة الفارس الباهلي البطل، فدمعت عينا قتيبة، فقال: نصرنا ورب الكعبة. والله الذي لا إله إلا هو لدعاء محمد بن واسع أفضل عندي من مائة ألف سيف شهير، ومن مائة ألف شاب قرير.

يقول محمد إقبال:

محمود مثل إياز قام كلاهما

لك بالعبادة لائذا مستغفرا

يقصد محمود بن سبكتكين الذي انتصر بعد قتيبة، وفتح الهند، فأعطوه مائة ألف صنم، أي: اسطوانات، وقالوا: خذ هذه الاسطوانات لمحمود، وارجع من الهند، ولا تفتح الهند. قال: كي أُدعى يوم القيامة: يا مشتري الأصنام! بل أكسرها وأحرقها حتى أُدعى يوم القيامة: يا مُكسّر الأصنام. فأحرقها وكسّرها.

يقول محمد إقبال:

كنا نرى الأصنام من ذهب فنهدمها
ونهدم فوقها الكفّارا
لو كان غير المسلمين لحازها
كنزا وصاغ الحلي والدينارا

قال تعالى: (والَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ) في دعائهم خائفون من ربهم، طلبهم، أن يصرف عنهم عذاب جهنم، حتى إنهم لتواضعهم ما طلبوا الجنة، إنما استعاذوا بالله من عذاب النار. فلا تجد المؤمن إلا خائفاً وجلاً باكياً على ذنوبه وخطاياه، ولا تجد المنافق إلا آمناً من عذاب الله ومن غضبه، حتى تجده مستهترا لا يلوي على شيء، وإذا خوّفته قال: الحمد لله، رحمة الله واسعة، ونحن ما فعلنا شيء أصلاً.

أما المؤمن فتجده دائم الملامة لنفسه. إذا قلت له: خاف الله. قال: صدقت، والله إني أخشى من الله. أسأل الله أن يغفر لنا، أسأل الله ألا يعذبنا. أعوذ بالله من الشيطان. فهذا المؤمن.

قال: (اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً) شديد الغرم، إذا وقع بالإنسان، ملازماً له، لا يكاد يفلته، مثل الغريم إذا لزم غريمه.

يقول مجنون ليلى:

قضى كل ذي دينه فوفّى غريمَه
وعزةُ ممطول فغنّى غريمُها

قال: (إنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً) يلازم الإنسان، نعوذ بالله من عذاب جهنم، فكل عذاب دون عذاب النار هينّ.

ثم وصف الله هذه النار: (إنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَراً ومُقَاماً) فالمستقر: هو مكان القرار، والمقام: للإقامة، فهي سواء في السكنى، وسواء في المعيشة، فهي سيئة والعياذ بالله، أسوأ ما يكون، خاصة أنهم لا يخرجون منها، ولا يُستعتبون فيها، ولا يُخفف عنهم العذاب، فنعوذ بالله من ذلك. ما دام وصفها الواحد الأحد بأنها ساءت مستقراً ومقاماً فيا لها من دار! نعوذ بالله من النار.

قال: (والَّذِينَ إذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ولَمْ يَقْتُرُوا وكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً) فهم لعقلهم ورشدهم ليسوا بالذين ينفقون بلا حد. كما يفعل بعض الناس الذي لا يحسب للأمور حسابها.

ليسوا بالممسكين البخلاء، ينفقون في الأمور الواجبة، في الوقت الواجب، وينفقون النفقة المستحبة، في الوقت المستحب. ﴿ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلَى عُنُقِكَ ولا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ﴾ (الإسراء:٢٩) فهم دائماً مقتصدون، وهم على شريعة من الله سبحانه وتعالى، ليسوا بأهل إسراف يُذهبون أموالهم في المباحات، وليسوا بأهل تقتير وأهل بخل، بل يُقيمون الأمور حق قوامها.

(وكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً) ولذلك تجد العبد الصالح خاصة إذا دخل الدين الحق، الدين الإسلامي، تجده مرتباً في مكتبه، في نفقاته، في تربية أهله، في منزله، وفي نومه، وفي صلاته بالليل، فهو مرتب في الحياة.

بعد أن ذكر الله أوصاف عباد الرحمان انتقل سبحانه إلى أكبر مسألة، وهي التوحيد، بعد أن مهّد لذلك بعبوديات كثيرة من الإنفاق والصلاة.

قال: (والَّذينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إِلَهاً آخَرَ)فهم لا يشركون مع الله إلهاً آخر، وهذه أكبر جريمة في التاريخ، وهي أكبر معصية: الشرك بالله. فهم لا يدعون إلا الله، ولا يستعينون إلا بالله.

يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله».

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام لحصين بن عبيد الخزاعي: كم تعبد؟ قال: سبعة. قال: وأين هم؟ قال: ستة في الأرض، وواحد في السماء. قال: من لرغبك ولرهبك؟ يعني إذا اشتدّت الأمور عليه وضاقت، وتأزمت الأشياء، قال: فأترك التي في الأرض وأعبد الذي في السماء. ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾(النمل:٦٢).

إذا هبّ الموج، وتلاطمت السفينة، أخذوا يصيحون: الله، يا الله، يا الله. ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾(النمل:٦٢) قال الله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾(العنكبوت:٦٥).

فالواجب الشرعي علينا ألا ندعو إلا الله، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(الفاتحة:٥). فلا نعبد إلا الله، ولا نستعين إلا به، سبحانه.(ولا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ) وهذا الذنب الثاني بعد الإشراك بالله، وهو قتل النفس المعصومة (إلاَّ بِالْحَقِّ).



أيها المسلمون اتقوا الله في الدماء المعصومة

القتل في الإسلام في ثلاث:

الأول: المرتد عن دينه: التارك لدينه بعد ما دخل في الإسلام، باختياره وطوعه بعدما عرف هذا الدين. والتارك للجماعة: يعني: خرج عن جماعة المسلمين.

الثاني: الزاني المحصن (أي المتزوج) الذي حصّنه الله بالزواج، وعفّه عن المعصية.

الثالث: قاتل النفس (يُقتصُّ منه ويُقتل).

أما غير ذلك، فمن تسبّب بقتل نفس معصومة، فذنبه كبير عند الله، (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا).

وإني أوجه من (المستقلة) نداءً إلى كل من يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أن يتقي الله في الدماء، ولا يتأول في ذلك بتأويل، سواء تأويل مذهبي، يقول: هذا سني، أو هذا شيعي، أو تأويل سياسي، يقول: هذا تابع للحكومة أو للشعب، اتقوا الله في الدماء المعصومة، اتقوا الله في العُزّل، اتقوا الله في الأطفال والنساء، فإن. خصمكم الله، قبل كل شيء، الدماء لا تذهب بالتأويل الفاسد. وما أهلكنا إلا التأويل، وما عُصي الله سبحانه وتعالى إلا بالتأويل. يا أيها الناس في البلدان العربية وغيرها، اتقوا

الله في الدماء المعصومة، وحاولوا أن تقدموا صورة الإسلام الصحيحة المشرقة .

نحن أُمرنا أن نُدخل الناس الجنة، لا نذبحهم قبل دخول الجنة، إن مسألة الذبح أتى الإسلام لمحاربتها، وهي همجية لا يقرها الدين إلا بحقها، وفي وقتها، مثل إذا وقف الطغيان، أو وقف الاستبداد ضد الحق، أما بهذه التأويلات التي تجدها في الساحة العالمية، فوالله إنها أساءت للإسلام، وشوّهت صورته الجميلة، وإنا دفعنا ثمنها تضحيات من دمائنا، من أبنائنا، من علمنا، من نشاطنا الدعوي، من سمعة بلادنا، من استقرارنا، من أمننا، من اقتصادنا.

(ولا يَزْنُونَ) حرّم الله الزنا. وكل الديانات السماوية حرّمت الزنا. لأنه سبحانه وتعالى جعل الحلال للعبد، وأمر ألا يضع هذه النطفة إلاّ في الحلال، ليحفظ البيت والحسب والنسب، وليبقى الطهر في عمود النسب، وليبقى البيت بيت المسلم في الأمن والطهر، وفي الحفظ والصيانة.

(ومَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً) يلق نتيجة آثامه، ويلق العذاب الذي سببه هذا الإثم عند ربه سبحانه وتعالى.

(يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ)يشدّد الله سبحانه في عذابه، لأن الشرك بالله، وقتل النفس، والزنا، من أعظم الذنوب عنده سبحانه، فيشدد الله سبحانه العذاب على من يفعل ذلك.

(يَخْلُدْ فيهِ مُهَاناً)أما المشرك فخلود أبدي، وأما أهل الذنوب والمعاصي فإنهم إذا تابوا، منّ الله عليهم بالمغفرة، أما المشرك فلن يغفر الله له ﴿إِنَّ اللَّهَ

لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ (النساء:٤٨).

(إلاَّ مَن تَابَ وآمَنَ وعَمِلَ عَمَلاً صَالحاً) يفتح الله سبحانه باب الرحمة، باب الأمل، باب الرجاء، وهو الرحمن الرحيم، الذي سمى نفسه الرحمن، فمن أناب ورجع إلى ربه، قبله الرحمان، جلّ جلاله.

أهدي هذا الحديث، من سيد الخلق ﷺ، ختَم بها الإمام النووي الأربعين. يقول ﷺ: «يقول الله جل في علاه في الحديث القدسي: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك ما كان ولا أبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم جئتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة. يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك».

هل بعد هذا الكرم كرم؟ هل بعد هذا العطاء عطاء؟ يا مذنبون، يا مخطئون، الباب مفتوح، والنوال يغدو ويروح، والجود ممنوح، لكن أين من سأل ربه؟

رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عابداً جاهلاً فأفتاه: أنه لا توبة له. فأكمل به المائة، فقالوا: اذهب إلى العالم الفقيه. قال العالم: ومن يحجبك عن باب التوبة؟ باب التوبة مفتوح. لكن اخرج من قريتك، لأن بها فساداً سيؤثر عليك. فخرج في الطريق، فقبض الله روحه في الطريق، فاختصمت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب. ملائكة الرحمة تقول: خرج إلينا يريد التوبة. وملائكة العذاب تقول: أصلاً ما فعل شيئاً، فأوحى الله إلى هذه الأرض أن تقاربي – تأمل كرم الرحمن الرحيم

- وتلك أن تباعدي، فوجدوه أقرب إلى القرية المرحومة، فغفر الله له، وأدخله الجنة.

ماذا يريد الله بعذابنا إذا استسلمنا، إذا ذرفنا دموعنا، إذا استغفرناه، إذا طلبنا منه الرضوان؟

(إلاَّ مَن تَابَ وآمَنَ) وهذا مع التوبة آمن إيماناً صادقاً، وقام بلوازم الإيمان من الخشية والإنابة.

(وعَملَ عَمَلاً صَالِحاً)،﴿إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾(هود:١١٤).

وسبب نزول الآية: أنّ رجلاً أتى معصية، فجاء إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله هل لي من توبة؟ فسكت ﷺ، وبعد مدّة نزل جبريل بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾(هود:١١٤) فقال الرجل: ألي خاصة؟ قال: بل لك، ولكل من عمل عملك، إلى يوم القيامة.

وفي صحيح مسلم، من حديث أنس قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر، فقام رجل فقال: يا رسول الله أصبت حدّاً فأقمه علي، قال: صليت معنا؟ قال: نعم. قال: اذهب فقد غفر الله لك.

سألتُ مرةً شيخاً لنا في الماجستير فقال:

دعها سماوية تجري على قدر

لا تفسدنها برأي منك منكوسِ



ولذلك في الحج: «من حج، فلم يرفث، و لم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

قال بعض المقنّطين: ما هي من الكبائر، هي من الصغائر! عشان ما يفرحونه. لأن بعض الناس يخلي حديث الرحمة، يقول: لا، المقصود بها شيءآخر، كي لا يترك لك الباب مفتوحاً. لا يخليك تفرح.

يا أخي رسول الله ﷺ عمّم فعمِّم، وأطلَق فأطلِق.

هذه رحمة أرحم الراحمين سبحانه وتعالى، لا إله إلا هو، هو المتفضّل على العباد.

ما هو جزاؤهم؟ قال: (فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ)ما يكفي فقط يمحو السيئات، وإنّما يبدلها حسنات. فمعنى ذلك: أنَّ من كثرت سيئاته، يكون أكثر حسنات! قالوا: لأن كثير السيئات عنده من تأنيب الضمير، ومن البكاء، ومن الندم ومن الوجل، ما يجعل هذه الحسنات تربو على تلك السيئات.

(وكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً) هذا دائماً، الله قبل وبعد، وإلى يوم الدين، غفور رحيم، يغفر الذنب، ويرحم العبد. فغفرانه يستر السيئات وآثارها، فلا يعاقب عبده، ويمنحه العفو، والرضوان، (ومَن تَابَ وعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً) أي إن الذي يقبل توبته هو الله، والذي يصحح مساره إليه هو الله، والذي يكشف الكرب عنه ويزيل السيئات، ويبدله الحسنات، هو الله، فنسأل الله أن يتوب علينا وعليكم وأن يغفر لنا ولكم. ويتولانا وإياكم، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.



لــو لم تــرد لـيـلـى مـا أرجـــو وأطـلـبـه
مـن جـود كـفـيـك مـا علـمـتـني الـطـلـبـا

الهاشمي: آمين، اللهم صل وسلم وبارك على نبيك محمداً وآله وأصحابه وأتباعه بالحق إلى يوم الدين.

شكراً لك شيخ عايض، وبورك فيك، وزادك الله من فضله، ونفع بك.

سيد الاستغفار كما قال النبي ﷺ: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

أبدأ الآن بعرض بعض الرسائل التي وصلت من المشاهدين، ومنها رسالة الأخ حبيب شاكر، من محافظة واسط في العراق، يقول فيها: بسم الله الرحمن الرحيم تحيات من العراق، أنا حبيب شاكر من محافظة واسط في العراق. كنا في عهد النظام السابق منقطعين عن العالم وكنا نحلم يوماً (بالستلايت، الدش) ونسمع بقناة اسمها (المستقلة)، يظهر من على شاشتها حوارات حرة جريئة بين المذاهب والأديان. ثم تدور الأيام، ويصبح في بيت كل عراقي (ستلايت) أو أكثر، ويحل الدكتور الهاشمي وزملائه ضيوفاً أعزاء في بيتي كل ليلة. هل أنا في حلم ولا في علم؟

يقول حبيب شاكر: لدي ملاحظة على أكثر ضيوفك الكرام: ألا

تلاحظ أنهم في نقاشهم يتبنون منطق أرسطو طاليس، وهذا منطق تجاوزه الزمن . ومما قاله في رسالته: إن بشاشة الأستاذ القرني تجعلنا نتابع حواره، لأن كثيراً من العلماء بسبب عبوسهم وتجهم وجوههم يجعلوننا نحس بالخوف، وكأنهم يستلون سيوفهم ليحزوا رؤوسنا في سبيل الله . وشكراً وسلمكم الله لكل خير وصلاح.

يضيف حبيب شاكر من العراق: أنا مسلم شيعي، صدقني والله، وليعلم الأستاذ العزيز القرني، أننا وحسب ما توارثناه، نقدّس زوجات الرسول الأكرم ﷺ جميعاً، ونقول في الخلفاء والصحابة قول الإمام علي حيث بايع، وحرص على الصحبة، ونصح ورشد، وصلى خلف الخلفاء رضي الله عنهم.

يا أخ حبيب: الشيخ عايض لم يؤت فقط موهبة البشاشة في الحديث، ولكنه أوتي موهبة عالية في التفسير، كما ترى من الوقفات واللمحات التي تضمنها تفسيره لبعض الآيات، من كتاب الله عز وجل.

نقاش حول حكم المرتد

الشيخ عايض، هناك أمران مختصران في الوقفات الجميلة التي فتح الله بها عليك في شرح وتفسير الآيات من سورة الفرقان.

الأمر الأوّل: في قوله تعالى: (ولا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إلاَّ

بالحق). هذا يعني أن الأمر موكول للحكومة، للسلطة، أي أن الدولة هي التي تقوم بتطبيق الحد وإقامة العدالة، وليس الأفراد. هل هذا هو مقتضى الآية؟

الأمر الثاني يتعلق بما قلته بشأن المرتد. هناك نقاش محدود زاد واتسع في الأيام الماضية بسبب قصة أحد الأفغان الذين اعتنقوا المسيحية منذ خمسة عشر عاماً واعتُقل في أفغانستان، ثم أُطلق سراحه، ثم طلب اللجوء السياسي في إيطالية.

فقد ردّد عدد من علماء المسلمين المقيمين في الغرب رأياً سبق أن قاله آخرون في الشرق، وهم قلة، لكنهم قالوا: إن الحديث: «من بدّل دينه وفارق الجماعة» مقتضاه أن الحكم يعني أو ينطبق على شخص تخلى عن الإسلام وانتقل لصفوف جيش معاد ومحارب للدولة المسلمة، مثلما حصل في حروب الردة عندما انضم أناس خرجوا من سلطة الدولة الإسلامية، ومن تعاليم الإسلام، إلى جيش يحارب ويسعى لإزالة الدولة الإسلامية.

هذا الرأي صدر في بيانات ونشر في الصحف، وتبنته أشهر منظمة للمسلمين الأمريكيين في أمريكا، وهي دافعت عن هذا الأفغاني، وطالبت بإطلاق سراحه، وقالت: ليس في الإسلام قتل، انطلاقا من مبدأ حرية الاعتقاد، لأن قتل المرتد يتناقض مع فكرة حرية الاعتقاد، ومع مبدأ (لا إكراه في الدين).

ما تقول في هذين الأمرين ؟

القرني: فيما يخص تنفيذ الحكم فإنّ ذلك يعود إلى الدولة، وإلى ولي الأمر، وليس إلى الأفراد، حتى لا تكون الأمور فوضى.

أمّا فيما يخص مسألة المرتد، فعند جمهور الشافعية والحنابلة والأحناف والمالكية أن من يرتد عن دينه يُقتل، واستدلوا بأحاديث، منها: «من بدّل دينه فاقتلوه».

نحن الآن (نُميّع) الإسلام، بحجة إرضاء الأطراف الدولية الأخرى.

اعترضت المملكة العربية السعودية على ميثاق مجلس الأمن بشأن حرية الأديان، واعتراضها مكتوب مدوّن هناك في السجل العالمي، في ميثاق مجلس الأمن، يقول: وللإنسان أن يعتقد ما شاء، وله أن يغيّر دينه إذا شاء.

اعترضت الدولة، لأن الإسلام لا يقبل هذا، لأنه الدين الخاتم، والدين الحق، والدين الصحيح، ومن دخله عن اقتناع، لم يجز له أن يبدله.

أنا أبقى على قول الجمهور، وعندي أدلتي، مع احترامي للعلماء الذين قالوا بغير ذلك. حتى البرلمان الأفغاني اعترض بالإجماع على هذا الأفغاني، وكثير منهم يطالبون بمحاكمته.

الهاشمي: على كل حال، ممن قال بهذا: الدكتور طه جابر العلواني، رئيس المجمع الفقهي الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية. وقبله قال ذلك: الدكتور حسن عبد الله الترابي.

قالوا: إنه لا يوجد في كتاب الله عز وجل دليل على حد الردة،

وأشاروا إلى ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾(المائدة:٥٤).ولاحظوا أنها لا تتضمن عقوبة دنيوية .

القرني: الأمر الأوّل: يا دكتور، ليس كل الشريعة موجودة في القرآن، نحن نؤمن بالقرآن والسنة.

الأمر الثاني: هناك علماء أعلم وأجل من الدكتور طه، أو الترابي، مثل: الشافعي وأحمد، ومالك.

الأمر الثالث: نحن نردّد بأصواتنا قوله سبحانه:﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾(آل عمران:٨٥)، قلتها في أمريكا، وأقولها في أوروبة، ديننا هو الصحيح، وهو الخاتم، وهو الدين الذي طالب الله سبحانه وتعالى الأمم أن تؤمن به، وطالب أهل الكتاب أن يؤمنوا بمحمد ﷺ.

الهاشمي: أنا فقط أردت أن أثبت هنا في سياق المناقشة، أنه قد ظهرت بعض الآراء الأخرى المخالفة لرأي الجمهور، ويمكن للسادة المشاهدين المهتمين بالموضوع أن يعودوا إليها، ويبحثوا عنها في مصادرها العلمية .

أقوال أهل السنّة من المحدّثين في أهل البيت:

الهاشمي: نعود لموضوعنا، هل نقل علماء أهل السنة، فقهاء المذاهب السنية، هل نقلوا عن أهل البيت؟ هل قالوا أقوالاً في شأنهم؟ هل استدلوا بهم لتأييد مذاهب فقهية دعوا إليها الناس؟ ماذا لديك عن هذا الموضوع حفظك الله؟

القرني: أهل السنة، محدثوهم، وفقهاؤهم، وأهل الأصول، وأهل التاريخ، وأهل السير والأخبار، يقدمون أهل البيت.

الإمام أحمد لما ذكر التراجم، قدّم أهل البيت في مسنده.

أما البخاري ومسلم وأصحاب السنن، فإنهم يُدخلون فضائل أهل البيت في كتبهم، ويقدّمون أهل البيت، ومناقب أهل البيت مما يستغني الإنسان عن نقلها لكثرتها. وكتب أهل السنة تزخر بذلك وهي كثيرة.

روى صاحب الكمال، المزّي في (تهذيب الكمال)، في ترجمة علي بن الحسين قال أبو بكر بن أبي شيبة رحمه الله، المحدث الكبير: أصح الأسانيد كلها: الزهري عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي.

هذا قول لأهل السنة: يجعلون السلسلة الذهبية: الزهري، عن علي بن الحسين، يعني زين العابدين، عن أبيه الحسين بن علي، عن علي بن أبي طالب.

قال الحافظ بن كثير وهو من مفسري أهل السنة الكبار، في تفسير

سورة الشورى: ولا ننكر الوصاية بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم، وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وُجد على الأرض فخراً وحسباً ونسباً، ولاسيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصريحة الواضحة الجلية كما كان سلفهم، كالعباس وبنيه، وعلي وأهل بيته وبنيه وذريته، رضوان الله عليهم أجمعين.

هذا كلام ابن كثير، وهو من المفسرين والمؤرخين والمحدثين.

يقول الإمام الآجري[1] في كتاب (الشريعة): واجب على كل مؤمن ومؤمنة، محبة أهل بيت رسول الله ﷺ وبنو هاشم، علي بن أبي طالب وولده وذريته، وفاطمة وولدها وذريتها، والحسن والحسين وأولادهما وذريتهما رضي الله عنهما وأرضاهما، وجعفر الطيار وولده وذريته، وحمزة وولده، والعباس وولده وذريته، رضي الله عنهم، هؤلاء أهل بيت رسول الله ﷺ واجب على المسلمين محبتهم، وإكرامهم واحتمالهم، وحسن مداراتهم، والصبر عليهم والدعاء لهم، فكلام أهل السنة مشهور في مدح وتكريم أهل هذا البيت الشريف.

قال الذهبي مؤرخ الإسلام في (سير أعلام النبلاء)[1] عن العباس بن عبد المطلب: كان من أطول الرجال، وأحسنهم صورة، وأحسنهم صوتًا، مع الحلم الوافر، والسؤدد.

وقال ابن الزبير بن بكار: كان للعباس ثوبٌ لعاري بني هاشم، وجفنة لجائعهم، ومنظرة لجاهلهم، وكان يمنع الجار، ويبذل المال، ويعطي

---

(١) كتاب الشريعة ٥ / ٢٢٧٦

(٢) سير أعلام النبلاء ٢ / ٧٩ - ٨٠.

في النوائب. ومعنى منظرة في (تهذيب تاريخ ابن عساكر): مِقطرة، وهي ما يُربط به من يحصل منه اعتداء وظلم على الآخرين.

أما ابن عبد البر المالكي المغربي الأندلسي فقال في (الاستيعاب)[(١)] عن حمزة رضي الله عنه: حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، عم النبي ﷺ، كان يقال له: أسد الله، وأسد رسوله ﷺ، يُكنى أبا عمارة، وأبا علي، ثم ساق الثلاثة، ثم قال الذهبي[(٢)] في موضع آخر: الإمام البطل الضرغام، أسد الله، وأبو عمارة، أبو علي القرشي الهاشمي المكي ثم المدني البدري الشهيد، عم الرسول ﷺ وأخوه من الرضاعة.

أنا أقول علي بن أبي طالب إمام أهل البيت رضي الله عنه وأرضاه، بعد رسول الله ﷺ، يشهد أهل السنة في كتبهم على حب علي وتوليه، وقد نظموا فيه قصائد وحفلوا بمجلدات فيه حتى جُمع ميراثه فيما يقارب خمس مجلدات (موسوعة علي بن أبي طالب)، ودرسنا في الجامعة أحاديثه، وكنا نُكلّف ببحوث في سيرة علي، وأشربنا حبّه وحبّ أهل بيته من الصغر رضي الله عنهم وأرضاهم.

قال ابن حجر الحافظ صاحب الفتح في (التقريب): علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، الهاشمي، أبو حيدرة، أبو تراب، أبو الحسنين، ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته فاطمة عليها السلام، من السابقين الأولين، ورجّح جمع أنه أول من أسلم، فهو سابق العرب، وهو أحد العشرة، مات في رمضان سنة أربعين، وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض - يوم قُتل - بإجماع أهل السنة، وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

---

(١) الاستيعاب ١ / ٢٧٠ .
(٢) سير أعلام النبلاء ١ / ١٧٢ .

أهل السنة يجعلون علياً يوم قُتل أفضل أهل الأرض جميعاً

أهل السنة يجعلون علياً يوم قُتل أفضل أهل الأرض جميعاً، ويترضون عنه، رضي الله عنه، ويلعنون قاتله.

الخارجي عمران بن حطان يمدح قاتله، خارجي يمدح خارجيا قائلاً:

يا ضربة من تقي ما أراد بها
إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوماً فأحسبه
من خلق خيرِ عباد الله ميزانا

فردّ شاعر السنة على عمران بن حِطّان، قال:

يا ضربةً من شقي ما أراد بها
إلا ليبلغ من ذي العرشِ سخطانا
إني لأذكره يومًا فألعنه
وألعن الكلبَ عمران بن حطانا

فهل بعد هذا الغضب غضب؟ وليتنا فدينا عليا رضي الله عنه بأرواحنا.

وروى مسلم [١] في صحيحه، بإسناد إلى ابن هانئ قال: أتيت عائشة –هذا بعد وفاة الرسول ﷺ، وبعد الخلافة – أسألها: عن المسح على الخفين. فقالت: عليك بابن أبي طالب، فسله، فإنه كان يسافر مع الرسول ﷺ، فسألناه. فقال: جعل رسول الله ﷺ للمسافر ثلاثة أيام بلياليهن وليلة للمقيم.

قال الشُرّاح: وإنما أحالت عائشة رضي الله السائل على عليّ، لثقتها بعلي، ولتقديرها لعلمه وجلالته، ولعلمها بمكانته من رسول الهدى ﷺ. وزهده وتواضعه.

وفي رواية له قالت: ائت عليّاً فإنه أعلم بذلك مني، وهذا من تواضعها رضي الله عنها.

نعود لابن عبد البر المغربي الأندلسي في (الاستيعاب)، إمام أهل السنة، قال أحمد بن حنبل وإسماعيل بن إسحق القاضي: لم يُروَ في فضائل أحد من الصحابة بالأسانيد الحِسان ما رُوي في فضائل علي بن أبي طالب [٢].

وكذلك قال أحمد بن شعيب بن علي النسائي رحمه الله: لم يرو عن أحد من الصحابة ما روي عن فضائل علي.

(١) رواه مسلم رقم ٢٧٦ .
(٢) الاستيعاب ٣ / ٥١ . .

الإمام الكبير النسائي، السني، ألف كتابا في (فضائل علي) وهو مجلّد خاص.

سئل الحسن بن أبي الحسن البصري – هذا إمام أهل السنة في عهد أبي الحسن البصري – عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: كان علي والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوّه، وكان والله رباني هذه الأمة، وذا فضلها، وذا سابقتها، لم يكن بالنئومة عن أمر الله (يعني كثير النوم)، ولا بالملومة في دين الله، ولا بالسروقة لمال الله، أعطى القرآن عزائمه، ففاز منه برياض مونِقة، ذلك علي بن أبي طالب(١).

هذه شهادة للتاريخ نقولها، ووالله لا تجد في كتب أهل السنة إلا المدح الكثير والثناء العطر عليهم رضوان الله عليهم.

قال الأصم عن العباس الدنمي، إمام السنة في الجرح والتعديل: «خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ: أبو بكر، وعمر، ثم عثمان، ثم علي». هذا مذهبنا وقول أئمتنا جميعاً. فهم يُربّعون بعلي رضي الله عنه.

روى أبو أحمد الزبيري. عن الشعبي قال: قال لعلقمة: «تدري ما مثل علي في هذه الأمة؟ قلت: وما مثله؟ قال: مثل عيسى بن مريم، أحبه قوم حتى هلكوا في حبه، وأبغضه قوم حتى هلكوا في بغضه(٢)».

ومراد علقمة: الخوارج الذين غلوا في بغضه، وتوسط أهل السنة فتولّوه وأحبوه، ونادوا في حبه، وألفوا فيه الرسائل والكتب، رضي الله عنه وأرضاه، وقدموه في كتبهم.

---

(١) الإصابة ٣ / ٤٧ .
(٢) الاستيعاب ٣ / ٦٥ .

وقال: وأجمعوا على أنه صلى القبلتين وهاجر، وشهد بدراً والحديبية، وسائر المشاهد، وأنه أبلى في بدر، وفي أحد، وفي الخندق، وفي خيبر، بلاءً عظيماً وأنه أبلى في تلك المشاهد، وممن قام فيها المقام الكريم، وكان لواء رسول الله ﷺ بيده في مواطن كثيرة، وكان يوم بدر في يده على اختلاف بذلك، ولما قُتل مصعب بن عمير في أحد وكان اللواء بيده دفعه ﷺ لعلي بن أبي طالب.

ثناء أهل السنة على الحسن بن علي

وأثنوا على الحسن بن علي رضي الله عنه وأرضاه.

قال ابن عبد البر في الاستيعاب[1]: وتوارت الآثار الصحيحة عن النبي ﷺ أنه قال في الحسن بن علي: «إن ابني هذا سيد، وعسى الله أن يبقيه حتى يصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين»، أو كما قال. والحديث في الصحيح، رواه جماعة من الصحابة.

وفي حديث بكرة في ذلك وأنه والحسين ريحانتي الدنيا، ولذلك كان الحسن هو صاحب السيادة لأنه حقن الدماء، وكان موقفه موقفا مشرفا، فإنه منع القتل بين طائفتين من المسلمين.

فتنازل رضي الله عنه وأرضاه، ومدحه أهل السنة، حتى سماه

---

(١) الاستيعاب ١ / ٣٦٩ .

الرسول ﷺ سيدا لهذا. قال: ولا أكثر سيادة ممن سماه الرسول ﷺ سيداً. وكان رحمه الله حليماً ورعاً فاضلاً. دعاه ورعه وفضله إلى ترك الملك والدنيا، رغبة فيما عند الله، فوقف منه المسلمين موقفا مشرّفاً، فدعوا له في صلواتهم، وخرجوا من القتال.

يقولون: حقن الله دمه كما حقن دماءنا، ودعا له النساء في بيوتهم والأطفال والأيتام. فقل لي بربك: لو ترك السيف يمور في الأمة كما مار في حالات أخرى كثيرة، ماذا كان سيحدث للأمة؟

وقال الحسن: «والله ما أحببت منذ علمت ما ينفعني ويضرني، أن ألي أمر أمة محمد ﷺ على أن يراق في ذلك محجمة الدم».

وكان من المبادرين لنصرة عثمان رضي الله عنه، والذّابين عنه. ومن مدرسة الحسن نقول لمن تعطش للدماء، ومن يريد الوصول للحكم على جماجم الناس! أما لكم في الحسن أسوة؟!

بعض الطوائف تجعل من فعل الحسن هذا فعلا جبانا، وتجعل منه فعل استسلام، وترى أنه كان من الواجب أنه يبادر. وهذا ليس بالصحيح.

يقول ابن تيمية: الحسن والحسين ريحانتا رسول الله ﷺ، وهما سيدا شباب أهل الجنة، لكن رسول الله ﷺ أثنى على فعل الحسن، و لم يثن على فعل الحسين، مع أن ذاك مقتول ظلماً، وهو شهيد رضي الله عنه، لعن الله من قتله، لكن فعل الحسن أقرب للدليل، وأقرب للمصلحة.

وقال الذهبي[1]: الإمام السيد، ريحانة رسول الله ﷺ وسبطه،

---

(١) الذهبي في السير ٣ / ٢٤٥

وسيد شباب أهل الجنة، أبو محمد القرشي الهاشمي المدني الشهيد. هذا كلام أهل السنة.

وقد قال الذهبي: وقد كان هذا - يعني الحسن - هذا الإمام سيداً، وسيماً، جميلاً، عاقلاً، رزيناً، جواداً، مُمدحاً، خيّراً دَيّناً، ورعاً، محتشماً، كبير الشأن، قد وصفه ﷺ بالسيادة.

وقد قال ابن كثير[١] من مؤرخي أهل السنة: وقد كان أبو بكر الصديق يجلُّ الحسن، ويعظمه ويكرمه، ويتفدّاه، وكذلك عمر بن الخطاب.

خرج علي من المسجد مع أبو بكر، فرأوا الحسن، فضمّه أبو بكر، وقال: بأبي شبيه بالنبي، ليس شبيها بأبيه. وأخذ يقبّله، ويضمه، وعلي يضحك.

أبو بكر يُقبّل الحسن، أين كان يعيش عليّ أصلاً؟ هل كان يعيش في مستعمرة أخرى، أو مدينة أخرى؟

كان يعيش في المدينة، ويصلي مع أبي بكر الصديق، ويأكل الطعام مع أبي بكر، وأبو بكر يزوره في البيت، ويجلسون سوياً، ويقرؤون القرآن سوياً، ويحكمون سوياً، ويقضون سوياً، هؤلاء خير أمة أخرجت للناس.

إلى أن قال: وكذلك كان عثمان بن عفان يُكرم الحسن والحسين، ويحبهما، وقد كان الحسن بن علي، يوم الدار، عند عثمان بن عفان، وهو محصور في بيته، كان عنده، ومعه السيف متقلداً به للدفاع عنه،

(١) البداية والنهاية ١١ / ١٩٢ .

فخشي عثمان عليه، فأقسم عليه ليرجعنّ إلى منزله، وكذلك أقسم على الحسين تطييباً لقلب عليّ، وخوفاً عليه، رضوان الله عليهم أجمعين.

وكان علي يأمر الحسن والحسين بتقلد السيف والذّب عن عثمان، وما كان علي يدري أن الأمر يبلغ إلى قتل عثمان، وهذا الصحيح عند أهل السنة فإنه لم يطّلع على الغيب رضي الله عنه.

موقف أهل السنة من الحسين بن علي

أريد أن أقف وقفة بسيطة هنا، في سِبط رسول الله ﷺ، لأن بيت القصيد هنا، الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، أعدل المواقف مواقف أهل السنة فيه، فإنهم أحبوه، وبكوا على قتله، وترحّموا عليه، وأدانوا من قتله، ولعنوا من تسبّب في قتله، وتقرّبوا إلى الله في حبّه، ورووا أحاديثه، ولكنهم لم يدعوا أن الحسين معصوم، ولم يُغالوا في حبه، حتى قدّموه على كثير من الناس، ولم يطوفوا بضريحه، ولم يضربوا أجسامهم، ويعذبوا أنفسهم، ويسيلوا دماءهم، في شيء ما أمر الله به، ولم يأذن به الرسول ﷺ، فهو بشر وعبد، بل الذي أفضل منه جده ﷺ الذي أتى بالرسالة، وأبوه لم يُفعل به ذلك، ولا رسول الله ﷺ، الذي يقول: أنا عبد الله ورسوله.

قال ابن عبد البر في الاستيعاب[١]: وكان الحسين فاضلاً ديّناً، كثير الصوم والصلاة والحج.

قال الذهبي في السير: الإمام الشريف الكامل سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا ومحبوبه، أبو عبد الله، الحسين بن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي رضي الله عنهم أجمعين وعليهم السلام دائماً وأبداً ما بقي الليل والنهار.

وقال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية[٢]: والمقصود أن الحسين عاصر الرسول ﷺ وصحبه، والرسول توفي وهو عنه راض، لكنه كان صغيراً، ثم كان الصدّيق يكرمه ويعظمه، وكذلك عمر وعثمان، وصحب أباه وروى عنه، وكان معه في مغازيه كلها، في الجمل وصفين، وكان معظّماً موقراً.

وثبت عن عمر بن الخطاب أنه كان يُجلس ابن عباس مع كبار الصحابة، ويمدح ابن عباس، وكان إذا أقبل يقول: جاء فتى الكهول، وذو اللسان السؤول، والقلب العقول.

وأما موقف أهل السنة البارز، فإنه في حبّ الحسين، وفي الدعاء على من قتله، وفي البراءة إلى الله تعالى ممن قتله، فليسوا بنواصب. وإنما الخطأ ممن بالغ وغلا في الحسين، يظنون أهل السنة نواصب، فينسبون إليهم أنهم هم الذين قتلوا الحسين أو رضوا بقتله أو ترحّموا على من

(١) الاستيعاب ١ / ٣٧٧
(٢) البداية والنهاية ١١ / ٤٧٦ .

قتله. وهذا ظلم لأهل السنة، فهذه كتب أهل السنة تطفح بالبراءة ممن قتل الحسين، وتتبرأ إلى الله ممن شارك في ذلك، وتلعن من قتله. ولكن هذا الظلم الذي وقع على أهل السنة لا يبرئه إلا العودة إلى كتبهم، وقراءة البراهين التي أوردوها.

الحسين بن علي رضي الله عنه، من سادات الشهداء، ومن الأبطال رحمه الله، وقد ذكرت في كتابي (حدائق ذات بهجة) قصيدة كتبتها ونظمتها منذ عشر سنوات، راجياً أن ألقى بها الله يوم القيامة.

أمّا جعفر بن أبي طالب، فقد قال الحافظ ابن حجر:(١) ما ركب المطايا بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب.

وقال الذهبي في جعفر: السيد الشهيد الكبير الشأن، علم المجاهدين، أبو عبد الله ـ هذا جعفر بن عم الرسول ﷺ، ابن عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم ـ إلى آخر السند. أخو علي وهو أسنّ من علي، هاجر هجرتين، وهاجر من الحبشة إلى المدينة، فوافى المسلمين وهم على خيبر إثر أخذها، فأقام في المدينة أشهراً، ثم أمّره ﷺ على جيش غزوة موئتة بناحية الكرم، فاستُشهد، وقد سرّ رسول الله ﷺ بقدومه، وحزن والله لوفاته.

هنا وقفة، أقول: الخطاب للنواصب الذين كرهوا أهل البيت، نبرأ إلى الله تعالى منهم، لأن الحسين بن علي رضي الله عنه، من سادات الشهداء، ومن الأبطال، وكراهيتهم لأهل البيت، هي كراهية لسيد الخلق ﷺ، فهم بيت رسول الله ﷺ.

(١) شرح الفتح ٧ / ٧٦ . وأخرجه الترمذي والحاكم بسند صحيح .

براءة أهل السنة من النواصب

الهاشمي: يا دكتور عايض أرجوك اسمح لي بوقفة هنا. تتحدث عن النواصب، فأين هم النواصب الآن؟ هل ما زال لهم وجود على وجه الأرض الآن؟ أنت الآن تتكلم عن أناس ظهروا في في النصف الثاني من القرن الهجري الأول واختفوا بعد ذلك بقليل. ربما مع سقوط الدولة الأموية بشكل خاص.وعندما تتكلم الآن كأنهم تيار باق وممتد، سيتساءل المشاهدون: هل يوجد على وجه الأرض اليوم أحد يكره عليا بن أبي طالب، أو واحدا من أولاده؟ هل رأيت أنت شخصيا أحداً من النواصب في عصرنا؟

القرني: لابد أن نقدم نحن الأمور العقائدية المنصوص عليها، نفهّمها للناس، حتى يكون أحدنا على اطّلاع، وحتى لا يأت أحد فيكرههم.

الأمر الثاني: هل هؤلاء النواصب موجودون، ولهم أصل؟ ربما!

الهاشمي: أحسب أنه لا يوجد نواصب في عصرنا. هذه ظاهرة تاريخية انقضت، كالخوارج مثلاً.

القرني: إنّ الغلاة، يتهموننا نحن أهل السنّة، بأننا نبغض أهل البيت، وبأننا نسبّهم، وأننا نواصب، ونحن نبرأ إلى الله من ذلك. نحن نحتجّ على بعض التصرفات في زماننا.

يا علماء الشيعة، يا عقلاء الشيعة! أرجوكم، أنتم من أهل الإسلام، لا تخرجوا بهذه المشاهد (القصد هنا مشاهد اللطم والتطيير)، فيراكم الشرقيون والغربيون من غير المسلمين، فتُشوَّه صورة الإسلام. ما هو مردوده على الحسين بن علي؟ هل ننصر الحسين بن علي بهذه الأفعال؟.

الهاشمي: نستقبل الآن بعض المكالمات من مشاهدينا الكرام .

حوار مع المشاهدين

علي الموسوي[١]:

المسألة الأولى: لماذا يُعاب على محبي أهل البيت البكاء؟ وقد بكاه رسول الله ﷺ وآله، في ولادته.

أما فيما يخص الذين يحزنون ويلطمون. فليعبّر الإنسان عن حبه بما يستطيع، والأصل في الأمور الحلّية، وليست الحرمة.

المسألة الثانية: أسألك بالله، في سورة يوسف، يعقوب عليه السلام كان ابنه غائباً، وهو يعلم أنه سوف يعود إليه، بكى حتى ابيضت عيناه كما ورد في القرآن.

هل نقول: إنّ يعقوب كان مذنباً، ونهاجم يعقوب لغياب ابنه، وهو النبي الذي يجب أن يصبر، ويعلمنا الصبر!

(١) مداخلة للأخ علي الموسوي من كندا .

والله يا أخي الهاشمي أدعوك أن تذهب إلى كربلاء وأدعو الأخ العزيز الدكتور القرني، ويرى هؤلاء، ويجلس معهم، أنت ماذا حصلت من الله بحبك لآل البيت، وتقديمك هذه الشعائر قربة إلى الله؟

والله يا أخي الهاشمي يرون كرامات من الله، بحبهم لله، والذي فرض من قبل رسول الله محمد ﷺ. حب الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

والله يا أخي، أنتم للأسف لا تعرفون ما في هذا العمل، نحن نعذركم، نقول: كلكم معذورون.

القرني: المسألة التي ذكرها الأخ علي، وهي أن يعقوب بكى على يوسف حتى ابيضت عيناه من الحزن؛ هذا فيه وقفة:

يعقوب لم نُؤمر بشريعته، وهو يطبق شريعته، فهذه مصيبة وقعت عليه، ولا يلزم كل إنسان أن يبكي على ولده، أو حبيبه، حتى تبيض عيناه من البكاء، فقد بكى سيد الخلق ﷺ لكن ما ابيضت عيناه على أبنائه، وبكى وسالت دموعه ﷺ وحزن حزناً شديداً.

قال عن ابنه الصغير إبراهيم: «إنّ العين لتدمع، وإنّ القلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يُرضي ربنا. وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون».

وسيد الخلق ﷺ الذي هو أفضل الناس، وأكرم على الله من الحسين عليه السلام وغيره، لم يبكِ عليه الصحابة حتى ابيضت عيونهم، ولا بكى عليه عليّ، ولا الحسن ولا الحسين، حتى ابيضت عيونهم.

الهاشمي: والفارق، أن سيدنا يوسف عليه السلام كان حياً، ورجع فعلاً، وسيدنا يعقوب عليه السلام ظنّ، بل تيقّن أنه لم يمُت، ولم يأكله الذئب.

ماذا يستفيد الحسين من النياحة عليه كل عام؟

القرني: نعم، وأما النياحة فليست بكاء. فقد نُهينا عن النياحة، وعن لطم الخدود، عن شق الجيوب، عن قطع الشعور، نهيننا عن ضرب الأجسام.

وأما ما قاله الأخ علي عن الكرامات التي تحصل للناس الذين يحضرون في كربلاء! يا أخي، الدين ما يُبنى على الأوهام. نحن عندنا شريعة واضحة، شريعة تحترم العقل. نحن عندنا دليل وبرهان.

«من عَمِل عمَلاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

هل قام أحد من الصحابة، أو من التابعين الكرام، أو من الأجلاء، بضرب صدورهم؟

ماذا يستفيد الحسين في قبره؟ وما هي الرسالة التي تُوجّه لذلك؟ وهل نزيد الأمة جراحاً إلى جراح؟ وهل نُظهر ونُشوه صورة الدين بهذه الصور التي لا تخدم رسالتنا؟

أعرف أن عندهم علماء أفتوا بتحريم هذا ونهوا عنه، وأنا أريد أن

يُواصَل الجهد حتى تُزول هذه الأمور، وأريد يا أخي أن نحترم القرابة والصحابة!

يا أهل السنة، ويا أهل الشيعة، تعالوا نتعاهد، ونحترم قرابة رسول الله ﷺ، وصحابة رسول الله ﷺ، تعالوا نعترف أن بيت رسول الله مُطهّر، وأن الصحابة مُزكّون.

أما أن يقول الأخ: إنّ هذا الأمر سار عليه الناس، ما الذي سار عليه الناس؟

أنا ذهبت إلى أفريقية المالكية، ينكرون هذا العمل ينكره علماؤهم وقضاتهم، ذهبت إلى الأحناف في أنحاء الدنيا، حتى زُرنا دول الأحناف في تركيا، وهم لا يرون هذا أبداً، ذهبت إلى إندونيسيا، ٢٣٠ مليون نسمة كلهم شافعية، ينكرون هذا، وفي مصر، الحنابلة عندنا، وفي سورية، وفي دول الخليج، ينكرون هذا الفعل.

أرى أن تُراجع الصواب في هذه المسالة، وعلى العلماء أن يحرروا الأدلة وأن يعتنوا بالسند الصحيح.

الحاج وعد[١]: أنا حضرتُ إلى لندن، لسبب بسيط ؛ لأنني وجدت في هذا البرنامج نفسا طيبا، من قِبل الشيخ عايض، ووجدت أن مودة أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام لعلها تكون بذرة في توحيد المسلمين، سنّة وشيعة.

ومن هذا المنطلق الطيب المبارك، سافرت من دبي إلى لندن علّ الله

---

(١) مداخلة للحاج وعد من لندن .

سبحانه وتعالى يكتب لنا لقاء بسماحة الشيخ عايض القرني أو غيره من العقلاء، وعند ذلك نتمكن من تقريب المسلمين بعضهم من بعض.

وها أنا أتمنى أن نلتقي ونتفق على حوار معين، ونساهم في هذا الحوار في تقريب الصورة، خاصة أن الأجواء طيبة وليس فيها غبش، والمسألة تُطرح بوضوح. وأتشرف أن أكون ضيفاً، وجزاكم الله خيراً.

الهاشمي: بارك الله فيك الحاج وعد. أنا من جهتي لا استطيع البت في أمر دعوتك للبرنامج الآن. كما ذكرت من قبل كنا دعونا السيد الحسيني القزويني، وحصل خلاف على بعض الأمور وسننظر في الأمر.

القرني: الحل في مؤتمر للحوار بين المذاهب،بما فيهم السنة والشيعة، تحت مظلة الكتاب والسنة. لأن أمر التقريب هذا يحتاج إلى المراجع، ويحتاج إلى كافة الشرائح، ويحتاج أن يُنظم، ويحتاج إلى رعاية؛ وخير من يرعاها المملكة العربية السعودية. وتكون في مكة، ويحضر الجميع. أو في المدينة المنورة بلد الرسول ﷺ وبلد القرابة والصحابة.

رسالة الهاشمي للمرجع السيد السيستاني

الهاشمي: ذكرت المراجع الآن يا دكتور عائض، وأهمية مشاركتهم في هذه المناقشة في التقريب. أظنك أعطيتني فرصة مناسبة لأعلم السادة المشاهدين أنني بعثت رسالة للمرجع السيد السيستاني بتاريخ ١٨ ذي الحجة ١٤٢٦ هجرية، الموافق ١٨كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٦ ميلادية، قلت فيما بعد بسم الله الرحمن الرحيم:

سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني دام ظله الشريف، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

لكم مني التحية والتقدير والتبجيل، والدعاء بأن يوفقكم الله دائماً لكل خير ويبارك فيكم وفي علمكم وعطائكم، وينفع بكم الإسلام والمسلمين والإنسانية قاطبة.

تعلمون سماحتكم أن شعوب العالم كلها تسعى في هذا العصر للتقارب والتعايش السلمي، والتعاون على الخير، وأن المسلمين مطالبون بالمساهمة بدور فعال ونشط في نشر قيم التسامح والتعايش والسلام، في كل أنحاء المعمورة.

إن كاتب هذه الرسالة الذي يكن لكم احتراماً عميقاً، يؤمن إيماناً قوياً بهذه المبادئ، يعدّ نفسه مواطناً في القرية العالمية، التي تتعايش فيها

شعوب الأرض قاطبة، على تعدد أديانها ومذاهبها وأعراقها، وهو يسعى دائماً عبر كتاباته وبرامجه ومبادراته للتقريب بين الثقافات والحضارات، ونشر مبادئ التسامح والحرية والسلام، وإبراز الأرضية المشتركة بين اليهود والنصارى والمسلمين، والأرضية المشتركة أيضاً بين أتباع الديانات السماوية، وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى.

ضمن هذه المساعي أحاول التقريب أيضاً بين المسلمين السنة والمسلمين الشيعة، على أساس نبذ ثقافة التعصب والكراهية، الموروثة من العصور السابقة. وتشجيع الجميع على القبول بالتعددية، وحق الاختلاف، والتخلي تماماً عن خطاب التكفير والتخوين.

في هذا السياق أود أن أطرح عليكم الأسئلة الآتية راجياً منكم التكرم بالإجابة عليها بما آتاكم الله من علم فيّاض، وثقافة شرعية عميقة.

السؤال الأول:

ما حكم المسلم الذي قرأ كتب الشيعة، عن ولاية الإمام علي عليه السلام، وعصمة الأئمة الاثني عشر وإمامتهم، أو سمع آراء علماء الشيعة في البرامج التلفزيونية والمحاضرات العامة، لكنه لم يقتنع بوجود أدلة شرعية حاسمة على صحة ولاية أئمة أهل البيت وعصمتهم، ولم يؤمن بالولاية ولا بالعصمة، ولم يبايع الإمام المهدي الغائب، ولا نائباً من نوابه، هل يعدّ مؤمناً بالمعنى الصحيح للكلمة في الإسلام؟ أم هو مسلم فقط، غير مؤمن؟ هل هو ممن يقال عنه: مسلم الدنيا، كافر الآخرة؟ هل تُقبل منه أعماله الشرعية الأخرى في الآخرة، مثل الصلاة والزكاة والصيام والحج

وبر الوالدين والصدقات، إذا لم يكن في دنياه ممن يؤمن بولاية أئمة أهل البيت عليهم السلام وعصمتهم؟ وهل صحيح أن المسلم الذي لا يؤمن بولاية أئمة أهل البيت عليهم السلام، يُعدّ في الآخرة ضالاً كافراً مستحقاً للخلود في النار؟.

السؤال الثاني:

ما حكم المسلم الذي عاش حيناً من الدهر ملتزماً المذهب الجعفري، ومنتسباً للطائفة الإمامية الاثنا عشرية، ليس عن وراثة عائلية لهذا المعتقد، ولكن عن إيمان واقتناع كاملين، وعن دراسة معمقة لأصول المذهب الاثني عشري وأركانه، ثم إن هذا المسلم سافر إلى الغرب واختلط بأصدقاء وعلماء من مذاهب أخرى، وقرأ كتباً شرعية لعلماء من مدارس فقهية مختلفة، قادته في النهاية إلى التخلّي عن المذهب الجعفري، والطائفة الإمامية الاثنا عشرية، والتحول إلى التزام المذهب المالكي فقهاً، وتبنّي الطائفة السنية من جهة الانتماء العام، هل يُعدُّ جاحدا لولاية أئمة أهل البيت عليهم السلام، مستحقاً للخلود في النار في الآخرة؟ هل تبقى فيه صفة الإيمان في الدنيا، أم أنه يُعدّ فقط مسلماً غير مؤمن؟

السؤال الثالث:

ما رأي سماحتكم دام ظلكم الشريف، في الأدعية التي يرددها بعض أتباع المذهب الجعفري والطائفة الإمامية الاثني عشرية، التي تتضمن لعناً صريحاً أو مبطّناً لأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أول الخلفاء الراشدين، ولعمر رضي الله عنه ثاني الخلفاء الراشدين، وما رأيكم في

بعض الأدعية أو التصريحات والكتابات التي تتضمن تعريضاً وذمّاً في حق أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها، وتعريض بأم المؤمنين حفصة رضي الله عنها، هل ثبت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أنهم جوّزوا مثل هذا اللعن أو أوصوا به وحسّنوه؟

هل ثبت عنهم أيضاً عليهم السلام أو عن واحد منهم، أية رواية تؤكد أن إمام الزمان الغائب، الإمام المهدي سيقوم عند ظهوره برد الروح إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ومعاقبتهما وقتل تسعة أعشار العرب -كما وجدت في كتب معتبرة- .

هل ثبت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام - سماحة آية الله السيستاني - أو عن واحد منهم رواية اعتبروا فيها أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، من ضمن أعداء محمد وآل محمد؟ وهل أهل السنة قديماً وحديثاً الذين لا يؤمنون بولاية أئمة أهل البيت عليهم السلام ولا يؤمنون بوجود الإمام المهدي، هل هم من النواصب، ومن أعداء محمد وآل محمد عليهم السلام؟

السؤال الرابع:

ما رأي سماحتكم دام ظلكم الشريف فيمن يقول بأن بناء الحسينيات لا أصل له في الشريعة، وفي أقوال أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأن الأنفع والأفضل للمسلمين أن يلتقوا ويصلوا جماعة واحدة في المساجد والجوامع فقط، رغم اختلاف مذاهبهم؟ وهل وجدتم في القرآن الكريم، وسنة النبي ﷺ، وسنة أئمة أهل البيت عليهم السلام، ما يجوّز أو يُحسّن بناء الحسينيات بدل المساجد أو بجوارها؟



السؤال الخامس:

ما رأي سماحتكم دام ظلكم، في التطبير، الذي يمارسه عدد من المؤمنين على نطاق واسع في ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، والمقصود به ضرب الرؤوس والظهور بالسيوف والسلاسل، حتى تسيل دماء المؤمنين؟ وما رأيكم في الزحف على البطون نحو أضرحة الأئمة؟ وهل يجوز التصدق بالأموال وإلقاؤها عند أضرحة الأئمة عليهم السلام؟

هل يجوز مخاطبتهم مباشرة بالدعاء كقول المؤمن مثلا: يا إمام الزمان أغثني، ووسّع علي في رزقي. أو يا إمامي الكاظم اشف لي صديقاً أو قريباً، أو يا حسين أعني في امتحان التخرج لأنجح بدرجة عالية؟ وهل صحيح أن الأئمة المعصومين يسمعون دعاء المؤمنين المستغيثين بهم، وأنهم يعلمون الغيب بإذن الله، وتُعرض عليهم أعمال العباد كافة، وأنه لا يُتصرف في الكون إلا بإذنهم، وأنهم يُحاسبون الناس يوم القيامة بإذن الله؟ وكل هذه التساؤلات ـ طال عمرك ـ يا سيد السيستاني، وجدت ما يبرر طرحها في عدد من الكتب الشيعية المعتبرة عن مواصفات الأئمة وكراماتهم ومقامهم الرفيع.

السؤال السادس:

ما قول سماحتكم دام ظلكم في المذاهب، المالكية والشافعية والحنفية والحنبلية واليزيدية والإباضية، هل تعدونها كلها مذاهب إسلامية يجوز التعبد بها؟

وما قولكم، في الفرق الصوفية، واحتفالها بالأولياء وتوسلها بهم أو بعضهم، بعض أهلها بهم، وتنظيمهم لحلقات الإنشاد وقولهم: إن الرسول ﷺ يحضرها حضور الناس الأحياء؟ وما قولكم في المدارس السلفية المعاصرة المنسوبة لمدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؟.

لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى – هذه خاتمة – بسؤال أهل الذكر وأنتم بإذن الله منهم ومن زعمائهم، فأرجو أن يصلني جوابكم قريباً، كرماً منكم ولطفاً، باعتباري مسلماً يقدركم ويحترمكم، ويرى فضلكم ومكانتكم العلمية المرموقة. ولأني أيضاً كاتب وإعلامي، يؤلف ويشارك في البرامج التلفزيونية، والندوات العامة، وأُسأل في هذه الموضوعات كثيراً، لذا أردت ألا أجزم فيها برأي إلا بعد سؤال العلماء المعاصرين أهل الاختصاص، وأنتم اليوم – بفضل الله – المرجع الأعلى للمسلمين الشيعة، وأوثق من يجيب على هذه الأسئلة.

كما أني أطلب رأيكم كي تزداد معرفتي بأصول المذهب الشيعي، فالمسلمون الشيعة عندي أخوة، أخوة لي في الإيمان والإسلام والإنسانية. كراماتهم مقررة مصانة من عند الله عز وجل وحقوقهم وحرياتهم، أدافع عن حقوقهم، أستنكر أي ذم نالهم قديماً، أو ينالهم حديثاً، وأرفض التمييز ضدهم، وأترحم على شهدائهم، وأرجو وأتوقع منهم خيراً كثيراً لبلاد الإسلام والإنسانية قاطبة. وأختم بتجديد التحية لسماحتكم معرباً عن فائق مشاعر التقدير والاحترام، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الآن أوجه الحديث إليكم يا دكتور عايض: لو دار حوار مثل الذي ترجوه ودعوت إليه، هل هذه الأمور التي أشرت إليها في رسالتي من صميم الموضوعات التي يجب أن نتحاور فيها، أم هي موضوعات ثانوية ليس ضرورياً أن نتطرق إليها؟

القرني: هذه الأسئلة يؤخذ منها كثير من النقاط لو دار حوار، ولذلك الآن علماء السنة يُطالبون بحوار يكون حوارا عالميا بين كافة المذاهب، وتُعرض هذه الأسئلة وأسئلة أخرى يوجهها الشيعة لنا ونجيب، حتى يكون الأمر سواء، ونحتكم للكتاب والسنة، وأسئلة نوجهها للصوفية، ويوجهونها لنا. فيأتي علماؤنا وعلماؤهم ومراجعنا ومراجعهم، ومراجع الإباضية والصوفية، ونجتمع في مكة أو في طيبة الطيبة بلد القرابة والصحابة، ثم يتدارس هؤلاء الموضوعات، ويخرجون لعامة المسلمين بقضايا محددة يتفقون عليها.

الهاشمي: نستقبل الآن بعض المكالمات الهاتفية.

الحاج وعد: أشكرك دكتور محمد على حسن أدبك، وطرحك لموضوع الاستفتاء (يقصد الرسالة الموجهة للسيد السيستاني)، وأسأل الله العلي العظيم أن يأتيك الرد، وأن يكون الرد إن شاء الله تبارك وتعالى رداً طيباً موحداً لآراء المسلمين سنة وشيعة. وهذا نقوله من القلب إن شاء الله.

أنا أهنئ حقيقة كل محبي أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، وأقول لهم ناموا على وسادة عالية ؛ لأن أهل البيت محبتهم من الايمان، علي بن أبي طالب هو وليٌّ وإمام، فطوبى لعلي، وطوبى لمن تمسك بعلي.

عايض الدوسري[1]: الحمد لله، وجدنا أنّ نظرة بعض الإخوان تغيّرت، وبدأت المناقشات تؤثر فيهم، وتدفعهم برفق ولين إلى محبة إخوانهم المسلمين، ومودتهم والبحث عن الوحدة الإسلامية.

الأستاذ وعد طلب لقاءً حوارياً مع الشيخ عايض القرني، وأنا أتوجه من هذا المنبر الكريم وهذه الجامعة المفتوحة، وأوجه طلباً للحوار مع آية الله العظمى علي السيستاني، حباً وكرامة بالمسلمين وبوحدتهم، وأرجو مما أعلمه عنه: من تواضعه، وحسن أخلاقه، أن يقبل هذه الدعوة.

نقطة أخرى: وجود الأستاذ علي الموسوي أمر طيب جداً، ولعلّه يوجّه خطابات إلى بعض المراجع، وبعض علماء الشيعة، يُقنعهم أنّ قناة (المستقلة) هدفها السعي لوحدة المسلمين وتقاربهم.

بخصوص ما ذكره الأستاذ علي، لما تكلم عن قضية مسيرة الحسين، وذكر قضية التطبير، والله يا إخوان – كلامي إلى السنة والشيعة – جميعاً، وقد حدثت لي هذه القصة أن أحد الغربيين سألني، قال: لماذا تضربون رؤوسكم؟ لماذا تفعلون هذا الشيء؟ أليس من شعائر دينكم المحافظة على النفس؟ أليس من شعائر دينكم حفظ الدماء؟ فوالله إننا لنقع في حرج شديد، لكننا ولله الحمد نعلم أن من الشيعة عقلاء. ولولا هؤلاء العقلاء لحدثت فتنة عظيمة.

الهاشمي: الأخ علي الموسوي، حرّ في قول رأيه، وهذا منبر حر له ولغيره، والخلاف معه لا يفسد للود قضية، استشهد بأدلة، قال: النبي ﷺ بكى الحسين يوم ولادته فهو أعطاك الدليل.

---

(١) مداخلة للأستاذ عايض الدوسري من الرياض.



عايض الدوسري: ذكر الشيخ عايض القرني الله يحفظه، قال: نحن أمة سند، الغربيون يشهدون لنا بأن الأمة الوحيدة التي تميزت بعلم الإسناد هي أمة الإسلام.

الشهيد مرتضى المطهري من كبار علماء الشيعة، نص في كتابه (قوة علي) على أن: مظاهر الدماء والتطبير والضرب، وما إلى ذلك من عادات، دخلت إلى الشيعة في إيران من خلال تقليدهم الأرثوذكس، حينما كانوا يلطمون ويسيلون الدماء ولا زالوا، على مقتل المسيح عليه الصلاة والسلام.

إنما نعبد الله سبحانه وتعالى عند فرحنا وعند حزننا بما شرع الله. والله الذي لا إله غيره، لو أنه ورد في القرآن: أن اضربوا رؤوسكم للحسين، والله لضربناها. لكننا نتبع ولا نبتدع، فهذا عالم شيعي محترم، يقول أن هذه العادات ليست من الإسلام وإنما دخلت إلى هؤلاء الناس بفعل التقليد، برؤية غير المسلمين فقلدوهم.

وأنا أترك هذا الجانب وأقول لإخوتي الشيعة: بارك الله فيكم وسدد الله خطاكم للخير، يا إخوتي الكرام والله إن عندكم نماذج وأمثلة عظيمة، والله نحن بحاجة للاقتداء بها، أسألكم بالله، المسيرات التي تخرج كل سنة تهتف وتقول: يا لثارات الحسين، والمسيرات التي تخرج سنويا وتهتف باسم المهدي للانتقام.

المسيرات المؤلفة التي تهدر وتهتف بلعن الجيل الأول أصحاب النبي ﷺ. هل هذه يا مشايخ الشيعة، يا مراجع الشيعة الكرام تساعد على الوحدة والتقارب؟!

هل هذا هو ما شرعه الله من نبذ التنازع؟ أليست هذه المسيرات يا إخواني الكرام إنما هي مصانع للكراهية، ومطابخ تعد وتشحن النفوس للاحتراب الداخلي بين المسلمين ونحن أحوج ما نكون إلى الوحدة؟

لماذا لا تخرج هذه المسيرات للسلام والمحبة والإخاء وترفع الشعارات؟. يا أخوة الإسلام يا دعاة الإسلام لماذا لا تقومون بمسيرات باسم الحسن رضي الله عنه للمصالحة والمحبة؟ لماذا لا نعد عاماً جديداً اسمه عام الجماعة الذي تأسس على يد الحسن رضي الله عنه وأرضاه؟

نقاش حول شعار: "يا لثارات الحسين"

الهاشمي: الأمر ليس مجرد طقوس وإظهار للمحبة وإنما له بعض الايحاءات الخطيرة والمؤسفة. عندما يهتف عدد من المسلمين؛ «يا لثارات الحسين». فإن بعض المراقبين المطلعين والمحادبين على مصلحة الأمة الإسلامية يقولون: الأمر مقصود به إبقاء ثأر يُتوارث جيلاً بعد جيل.

وللأسف الجهة التي يأخذ منها الثأر هي جهة مستمرة ليست جهة قديمة في التاريخ، هي جهة موجودة الآن. ومن هنا الخوف من أن تؤدي هذه المواكب إلى أن تبقى جذوة الكراهية والثأر مستمرة.

ما تعليقك على هذا شيخ عايض القرني؟

القرني: أقف عند مسألة: «يا لثارات الحسين».



أقول هذا خطأ يورِّث الحقد والكراهية، وروح الانتقام وسوف يوصل الأمة إلى مزيد من العداء والانفصال.

ثارات الحسين ممن؟ من الذي قتل الحسين؟ هل تبنت جهة معروفة قتل الحسين؟

أعلنّا أنّه مكتوب في كتب أهل السنة: لعنة الله وملائكته والناس أجمعين على من قتل الحسين أو رضي بذلك.

من هم الذين قتلوا الحسين؟ هل هم في الرياض، في صنعاء، في بغداد، في عمان في المغرب، في تونس؟ هل هناك جهة معروفة ننتقم منها؟ الفئة التي قتلت الحسين صُفّي حسابها في وقتها.

هذه الثارات تُرفع من ألف وأربع مئة سنة؟ ما الفائدة التي جناها الحسين بن علي من هذا؟ هل شفي غليله؟ هل أُعيد للحسين رضي الله عنه حق؟ هل وصلنا إلى رأس القاتل المجرم؟

والله لو أدركنا قَتَلَته لقاتلناهم، لكن انتهى الأمر. فلا تربوا أجيالنا على الضغينة، نحن عدونا وعدو الشيعة مشترك، نحن أمة الإسلام، الواجب أن نجتمع مع لا إله إلا الله محمد رسول الله، والواجب أن نجتمع على الكتاب والسنة.

يا إخوان من يريد التقارب ومن يريد مسح الجراح لا يفعل هذا وينادي بالثارات! هذه الشعارات من الغلو في الدين.

وبالمناسبة اقترح الشيخ عايض الدوسري مسيرة الحسن، ويقصد أنّ

الحسن يدعو للسلام، لكننا لا نريد مسيرة للحسين ومسيرة للحسن، حتى لا نزيد الشرخ فيما بيننا.

ونكتفي بما قاله ﷺ عن الحسن: «إن ابني هذا سيد، ولعلّ الله يصلح به بين طائفتين من المسلمين».

نحن نحبّ الحسين، ونحبّ أمّ الحسين، فاطمة. هل يُعقل أن نحب فاطمة ونتولاها، ثمّ نبغض أولادها؟ معاذ الله. انظر إلى ما يقول أهل السنة في السيدة البتول.

قال أبو نُعيم في (الحلية)[١] وهو من أئمة السنة والمحدثين عن فاطمة الزهراء عليها السلام: «ومن ناسكات الأصفياء، وصفيات الأتقياء، فاطمة رضي الله عنها، وعليها الصلاة والسلام، وعلى أبيها، السيدة البتول، البضعة الشبيهة بالرسول ﷺ، أقرب الناس إلى قلب الرسول ﷺ لصوقاً، وأولهم بعد وفاته به لحوقاً، كانت عن الدنيا ومتعها عازفة، وبغوامض عيوب الدنيا وآفاتها عارفة».

وقال الذهبي[٢] مؤرخ الإسلام في فاطمة سيدة نساء العالمين: «البضعة النبوية، والجهة المصطفوية، أم أبيها، بنت سيد الخلق رسول الهدى ﷺ، أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وأم الحسنين».

وقال أيضاً: «وقد كان النبي ﷺ يحبها ويكرمها، ويُسر بها، ومناقبها غزيرة وكثيرة، وكانت صابرة ديّنة خيّرة، قانعة شاكرة له.

---

(١) الحلية ٢ / ٣٩ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٢ / ١١٨ .

قال ابن كثير[١] مؤرخ أهل السنة: »وتكنى فاطمة بأم أبيها، وكانت أصغر بنات النبي ﷺ على المشهور، ولم يبق بعده سواها، فلهذا عظُم أجرها، لأنها أصيبت به ﷺ. ثم أثنى عليها ثناءً عطراً«.

وأتى أهل السنة بعائشة، فجمعوا بين الحسنيين، فقال الذهبي[٢]: «ولم يتزوج النبي ﷺ بكراً غير عائشة، ولا أحب امرأة حبها، ولا في نسائه امرأة أعلم منها». رضي الله عن عائشة، وعن فاطمة، وعن القرابة، وعن الصحابة، وجمع الله كلمتنا على الحق على الكتاب والسنة.

نكتفي اليوم بهذا القدر ونواصل الحوار غدا إن شاء الله في سهرتنا السابعة والأخيرة لهذه الجولة من جولات برنامج "الحوار الصريح". أستودعكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) البداية والنهاية ٩ / ٤٨٥ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٢ / ١٤٠ .



السهرة السابعة

الهاشمي: بسم الله الرحمن الرحيم. السلام عليكم أيها المشاهدون الكرام ورحمة الله وبركاته. أهلاً بكم إلى السهرة السابعة والأخيرة ضمن هذه الجولة من جولات برنامج "الحوار الصريح"، والتي نناقش فيها موضوع مودة أهل البيت عند أهل السنة، ونستضيف فيها الكاتب والأديب والداعية السعودي الشيخ الدكتور عائض القرني. يدور الحوار في برنامج"الحوار الصريح" حراً صريحاً، بأمانة وموضوعية، وعلى أساس القناعة بأهمية الحوار وأهمية التعددية وأهمية حق الأختلاف في الساحة الثقافية العربية والإسلامية. وأيضاً على أساس القناعة بأن ثقافة الحوار ضرورية كبديل عن ثقافة الإقصاء والأحادية والرأي الواحد. وهي ضرورية أيضاً لمواجهة خطاب التطرف والتعصب والكراهية.

ضيفنا في هذه الحلقات هو الكاتب والأديب والداعية السعودي الشيخ الدكتور عائض القرني.

الأنساب يوم القيامة

نبدأ بالقرآن الكريم . آيات اليوم لها علاقة بموضوع النسب، ووزنه في المعادلة النهائية يوم الحساب، وفيها أيضاً أمور تتعلق بالايمان والمؤمنين، وهو المقصد النهائي لأهل البيت وللصحابة وللمسلمين عامة.

فما هي الإفادات والإرشادات التي يقدمها القرآن الكريم حول هذه المعاني وغيرها في هذه الآيات؟.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذ ولا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) ومَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وجُوهَهُمُ النَّارُ وهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا ولا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وارْحَمْنَا وأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِياً حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١) قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤)

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١١٨)﴾ [المؤمنون١٠١-١١٨].

القرني: يقول المولى جل في علاه: (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ)الله عز وجل يخبرنا عن يوم النفخ في الصور الذي هو يوم القيامة.

والصور في الصحيح من أقوال أهل العلم: قرن عظيم ينفخ فيه إسرافيل لقيام الساعة. فيقول جل في علاه: في تلك اللحظة لا يمر بالإنسان في تاريخه أعظم ولا أهول ولا أصعب من هذه اللحظة أبداً! إن كان يظن الإنسان أن هناك موقف أصعب من يوم النفخ في الصور فقد أخطأ سواء السبيل.

يقول ابن عمر: أردت أن أطلب الخلافة فتذكرت ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ (النمل:٨٧). وكثير من الصالحين كانوا إذا مروا بهذه الآيات وجلوا وخافوا، لأنهم يتذكرون ذلك الموقف الصعب.

فالواحد الأحد يقول إنه إذا نُفخ في الصور ونفخ إسرافيل في الصور بالقرن العظيم، وقام الناس لرب العالمين وبُعثر ما في القبور وحُصّل ما في الصدور فلا أنساب بينهم. لا القريب ينفع قريبه، ولا الابن ينفع أباه، ولا الأخ ينفع أخاه، حتى الأم تطلب حسنة من ابنها الذي أرضعته وحملته وربته واكتنفته فيقول: نفسي. نفسي.

فكأن المعنى: يا من يعتز بالأنساب في الدنيا، يا من يفتخر بشجرة النسب، يا من يستعلي على الناس بلحمه ودمه وعشيرته وأسرته وقبيلته، هذه المسألة لا تنفع يوم العرض الأكبر! يوم العرض الأكبر أعمال صالحات، وأفعال جميلات، أما الأنساب فليس لها دخل في ذلك.

ولذلك نص على هذا النبي ﷺ فقال: «يا بني هاشم لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم».

وقال «من بطّأ به عمله لم يُسرع به نسبه». إن كانت أعمالكم غير صحيحة، فلن تنفعكم الأنساب.

وصح عنه ﷺ أنه قال: «يا فاطمة بنت محمد، يا عباس عم رسول الله، يا بني عبد المطلب، لا أُغني عنكم من الله شيئاً، قولوا لا إله إلا الله[1]».

وفي هذا المعنى، ابن نوح لما خالف أباه في المعتقد وكذّبه و لم يتبعه في الرسالة، قال الله له: إنه ليس من أهلك، إنه عملٌ غيرُ صالح، وفي بعض القراءات: إنه عَمِلَ غير صالح. فهذا ليس من أهلك أصلاً، لأنه مادام لم يتوصل بهذه القرابة إلى الطاعة والموافقة، فلن يفيده نسبه.

فلا تحسب الأنساب تنجيك من لظى

ولو كنت من قيس وعبد مدانِ

أبو لهب في النار وهو ابن هاشمٍ

وسلمانُ في الفردوس من خرسانِ

(١) ذكر ذلك ابن هشام وابن إسحاق بأسانيد جيدة.

يقول العقلاء والمؤرخون: إن الإنسان ابن أصله وابن جنسه وابن فعله.

جوهر الصقلي الذي دخل القاهرة، وبنى الجامع الأزهر هو ابن جارية من البربر، أرادوا إحراجه فقالوا: هل يُخبرنا الأمير ما نسبه وحسبه؟ فأخرج أربعة أصابع من السيف، وقال: هذا حسبي، ونثر كيس الذهب عنده، وقال: هذا نسبي.

بالله عليكم أي نسب يدخل به بلال بن رباح؟ والله إن بلالا لأشرف من كثير من قبائل العرب من أهل الأنساب والأحساب، وهو مولًى حبشي فقير رضي الله عنه استُعبد في مكة حتى أعتقه الإسلام، فأصبح مؤذن الرسول ﷺ.

يقول أبو ريشة شاعر الشام:

فاستفاقت على أذان جديدٍ

ملء آذانها أذانُ بلالِ

الهاشمي: ما أجمل هذا المعنى. وصلاح الدين؟

القرني: وصلاح الدين الكردي، ومحمد الفاتح التركي، ونور الدين محمود التركماني، ومحمود بن سبكتكين السلجوقي، أعزّهم الإسلام وشرّفهم ورفعهم، أمّا أبو لهب الهاشمي القرشي عم الرسول ﷺ! فقد سحقه التاريخ.

صح في الحديث أن عمرا رضي الله عنه دعا المسلمين قبل القادسية

لاجتماع طارئ، قال: عليّ بأعيان المسلمين. وقال: من بالباب يا أسلم؟ قال: يا أمير المؤمنين: بالباب صُهيب (المولى)، وسلمان الفارسي (الفقير الطريد)، وبلال بن رباح، وعمار بن ياسر، وخباب. وبالباب أبو سفيان بن حرب (قائد قريش في بدر)، وسهيل بن عمرو (الخطيب)، والحارث بن هشام. قال: أدخل سلمان. أدخل بلال، أدخل فلان. قال أبو سفيان: والله الذي لا إله إلا هو ما ظننتُ أنه يمر بي دهر وأُحبس على باب عمر ويدخل هؤلاء قبلي!

فيجيبه الحارث بن هشام - وكان الحارث أعقل منه وهو أخو أبو جهل- قال: يا أبا سهيل لا تغضب، ما علينا من باب عمر ولو حُبسنا عليه، ولكن أخشى والله أن أُدعى يوم القيامة إلى الجنة ويُدعون، فنُحجب ويُفتح لهم. والله إن القوم دُعوا ودعينا، فعرفوا وأنكرنا، وأقبلوا وأدبرنا، ونصروا وتخاذلنا. ولذلك كان عمر ينزل الناس منازلهم.

يقول محمود غنيم شاعر مصر:

يا من يرى عُمراً تكسوه بردته
والزيت أُدمٌ له والكوخ مأواهُ
يهتز كسرى على كرسيه فرقاً
من خوفه وملوك الروم تخشاهُ

يقول سبحانه: (فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ولا يَتَسَاءَلُونَ).

سُئل ابن عباس (ولا يَتَسَاءَلُونَ) مع العلم أنّه سبحانه وتعالى يقول:

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾(المدثر:٤٢) بعضهم يسأل بعض. قال: هذا موقف النفخ في الصور، لا يسأل بعضهم بعضاً لهول الموقف.

لكن في العرصات يصلح أن يكون هناك سؤال، فهي مواقف لا يظن فيها تضاد في القرآن، أو تعارض. إنما عند النفخ في الصور يذهل الإنسان ويحتار، فلا يسأل بعضهم بعضاً وإنما يقفون مذهولين.

الواحد الأحد يوم القيامة يسأل الأنبياء، يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي محمد بن محمد الطوسي في الإحياء بعد ذكر الآية: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ﴾(المدثر:١٠٩) يقول: انذهلوا ودُهشوا فما استطاعوا الجواب ونسوا الخطاب! أرسلهم سبحانه إلى الناس فيجمعهم فيقول: ماذا قال لكم أقوامكم؟ قالوا: يا ربنا ما ندري ماذا قالوا! ﴿لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ ﴾ (المائدة:١٠٩).

(فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) هنا الميزان حقيقة، وقد أثبت أهل العلم والإيمان وأهل السنة والقرآن أن هناك ميزانا للحسنات والسيئات له كفتان، يزن الله سبحانه وتعالى الحسنات في كفة والسيئات في كفة.

﴿ونَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وإن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾(الأنبياء:٤٧)

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾(القارعة:٦-٨)

من أراد أن يُثقل موازينه فليثقلها بعمل صالح، بأخلاق جميلة، ببر، بصدقة، بصلة، فليس هناك بالميزان إلا الأعمال؛ وليس هناك أنساب تقرّب.

قال عمن ثقلت موازينه: (فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) من المفلح؟: من فاز بالمطلوب، وأدرك المرغوب، ونجا من المرهوب. فأولئك هم المفلحون، نسأل الله أن يجعلنا منهم.

جرت الرياح على محل ديارهم

فكأنهم كانوا على ميعاد.

الحياة الدنيا انتهت لكن يبقى الميزان عند الواحد الأحد، قال سبحانه: (ومن خفّت موازينه) من خفّ ميزان حسناته، ما قدم شيئاً! هل وصل فقيراً؟ هل عاد مريضاً؟ هل قام مع مسكين؟ هل رفع مظلمة؟ هل أطعم جائعاً؟ هل قال كلمة طيبة؟ هل ألقى درساً مفيداً؟ هل نفع المسلمين؟

(فَأُوْلَئِكَ الَذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُون) الخسارة المالية انتهت في الدنيا، أمّا خسارة النفس فلا تُعوّض.

وصف الله المشهد في دخولهم النار: (تَلْفَحُ وجُوهَهُمُ النَّارُ) النفح: الهبوب بقوة وحرارة بسموم على تلك الوجوه مع يحموم.

(وهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ)والكلح: عبوس الوجه واكفهراره وتقطيبه من شدة العذاب، والعياذ بالله. وتصور الكالح الذي يُعذب، وتهب على وجهه السموم، فنعوذ بالله من النار.

الآن يخاطبهم الله سبحانه وتعالى، يسأل أولئك الذين كذّبوا وفرّطوا بآياته، يقول سبحانه: (أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ) أما كنتم في الدنيا، وأرسلنا لكم رسلاً، ونزلت عليكم كتب، وتُليت عليكم الآيات، وقامت لكم البينات والبراهين الواضحات، فكنتم بها تكذبون؟ هذا جزاء عملكم لأنكم كذبتم بالآيات البينات، ولذلك المكذب بالقرآن إثمه أعظم من كل إثم، لأنه هو والمشرك والكافر وأهل الكبائر لهم مكان آخر. (فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ) هذا جزاء تكذيبكم في الحياة الدنيا، وإلا فالله سبحانه لا يظلم نفساً، ولا يعذب، حتى تقوم الحجة على الإنسان ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (الإسراء:١٥)ولذلك أنزل الله الكتب وأرسل الرسل ليقيم الحجة، ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾(النساء:١٦٥).

فكان ردّهم: (رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا)الشقاء الذي أصابنا بكفرنا غلب علينا. قال المفسرون: شقوتنا: أي شؤمنا. شقاء المعصية وشؤمها حل بنا.

الصحيح: إنه ضلالهم وكفرهم، وقع بهم فأرداهم، ولذلك اعترفوا وقالوا: (وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ) يقولون: خالفنا الرسل، وضللنا عن الطريق المستقيم، وكذّبنا بالكتاب فضللنا، فاعترفوا على ذنوبهم.

(رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا) بعدما دخلوا قالوا: يا ربنا إنا نسألك هذه المرة أن تعطينا مهلة، وتخرجنا من النار، كي نعمل صالحاً.

(فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ) وسوف ترى أننا إذا عدنا إلى ما كنّا فيه من التكذيب، والبعد، فإنّا نكون ظالمين لأنفسنا إن أعطيتنا فرصة أخرى و لم نستغلّها.

قال: ﴿أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾(فاطر:٣٧) الله سبحانه وتعالى أعذر إلى الخليقة بالرسل وبالكتاب، وأعذر إليهم بالأعمار، وأعذر إليهم بالآيات البينات، فانقطعت الحجة.

قالوا: فإن عدنا إلى ما كنّا، فإنا ظالمون، وكان الرد، ونعوذ بالله أن نكون من هؤلاء: (قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) اخسئوا: ابقوا في حقارة، وفي خزي، وفي عار، ولا تكلموا الواحد الأحد مرة ثانية، ولا تسألوا هذا السؤال. أعوذ بالله من التجبّر في الدنيا.

كل ظالم سوف يُقدم إلى محكمة العدل الإلهية كما يسميها – كشك – وسوف يُقتص منه على رؤوس الأشهاد، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار.

أنا أحذر كل إنسان في مسألة الظلم، كبيراً أو صغيراً، في أسرة أو أمة أو دولة أو جهة، ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ (غافر:١٧)﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾(غافر:١٦) يوم لا يحكم إلا الله ولا يقضي إلا الله.

(إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ)كان لنا أولياء صالحون من العلماء، من العُبّاد، من الزُهّاد، من الأخيار، من الدعاة، من الشرفاء، من أهل الخير، كانوا يدعون الله عز وجل، ويستغفرونه وينيبون إليه، ويطلبون غفرانه، ويقولون: (رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا)ذنوبنا (وَارْحَمْنَا) بإسدال الحسنات والنعيم علينا (وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) فأرحم الراحمين هو الله، لأن رحمته لا تنتهي ورحمته بلا مقابل، رحمته في الدنيا والآخرة، رحمته يطمع فيها الكافر.

فيقول: (فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِياً) وهذه مدرسة الاستهزاء في الدنيا، ﴿وكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾(الفرقان: ٣١)لا تجد إنساناً سوياً، ملتزماً بالحق، سار على الطريقة الفضلى، على العبادة، على الخير، إلا وتجد من يستهزئ به، ويسخر منه.

سِخريا: من الاستهزاء، وسُخريا: من التسخير.

(حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي) استهزائكم حملكم على أنكم تركتم الدين.

يقول شيخنا ابن عثيمين غفر الله له: لا يكون الإنسان سبباً بأفعاله في الاستهزاء بالدين، لأن بعض الناس، يجر الاستهزاء للإسلام، ويتسبب في تشويه صورة الإسلام، إما بحركات حمقاء، أو تصرفات شنعاء.

إذا كان الإنسان غير مبتسم، ويُغلظ للناس، ولا يمنحهم من وقته ولا من جاهه، ولا يساعدهم في نكباتهم، وإنما يرونه محذراً مهدداً لهم بالنار وبالوعيد الشديد والتهديد، فكيف يهتدون؟

الدين هداية، الدين سلام، الدين رحمة، الدين مودة وألفة، الدين أن تُحبب الناس كما كان يفعل النبي ﷺ، حتى قال له ربه ﴿وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(القلم: ٤).

(وكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُون)الضحك من أهل الهداية، أورثهم منازل أهل الغواية والعياذ بالله.

قال سبحانه عن الجزاء: (إنِّي جَزَيْتُهُمُ اليَوْمَ بِمَا صَبرُوا أَنَّهُمْ هُمُ

الفَائِزُونَ) هؤلاء الأولياء الأبرار أهل قيام الليل، الضعفاء، إني جزيتهم اليوم بما صبروا في الدنيا على أذاكم، وعلى أذيتكم واستهزائكم، أنهم هم الفائزون.

والفوز أعلى درجات النجاح. لذلك لا تقل لمن حصل على شهادة عالمية، أو حاز مالاً كثيراً، أو أدرك ملكاً أنت فائز. القرآن حدّد الفوز. قال: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ومَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ﴾(آل عمران: ١٨٥).

محمد بن واسع الأجدري، قُدِّمَ له مُتكأ (مخدة، وسادة) كي يتكئ عليها في المجلس وكان عالماً ربانياً. قال: أنا لا أتكئ. قالوا: لماذا؟ قال: أنا خائف، والخائف لا يتكئ. قالوا: متى تأمن؟ قال: آمن! ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾(آل عمران: ١٨٥) إذا زحزحت عن النار، وجاءني خبر في تلك اللحظة آمَن، أما الآن فلا آمن.

(قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ) يتحدث الآن في الوقت والزمن والأعمار. يُسألون: كم لبثتم أنتم أيها الكفار الفجار في الدنيا، (عَدَدَ سِنِينَ) كم مرت بكم؟ كل هذا العمر الطويل والاستبداد والبقاء في الظلم والشهوات.

(قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ العَادِّينَ) قالوا والله ما ندري! لأنه يوم بُعثوا دُهشوا وذهلوا، قالوا: لبثنا يوما أو بعض يوم، (فَاسْأَلِ العَادِّينَ) اسأل الذين يحسبون، أهل التقويم والتاريخ.

قال سبحانه: (قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) نعم إن الدنيا كلها قليلة.

طـــول الحـــيـــاة إذا مـــضـــى كـــقـــصـــيرهـــا

والـــيـــســـر لـــلإنـــســـان كـــالإعـــســـارِ

يقول أبو تمام :

مـــرت ســـنـــين بـــالـــســـعـــود وبـــالـــهـــنـــا

فـــكـــأنـــهـــا مـــن قـــصـــرهـــا أيـــامُ

ثـــم انـــثـــنـــت أيـــام هـــجـــر بـــعـــدهـــا

فـــكـــأنـــهـــا مـــن طـــولـــهـــا أعـــوامُ

ثـــم انـــقـــضـــت تـــلـــك الـــســـنـــين

وأهـــلـــهـــا فـــكـــأنـــهـــا وكـــأنـــهـــم أحـــلامُ

يقول أحد الوعّاظ، أبو معاذ الرازي: آتوني من الدولة العباسية بدرهم أو كنز. الدولة التي حكمت أكثر من ست مئة سنة، هل تجد من آثارهم شيئاً؟ كأنهم ما مروا على العالم!

الدولة العثمانية التي حكمت أكثر من سبع مئة سنة، كأنهم ما مروا.

﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَد أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾ (مريم:٩٨)(إن لَّبِثْتُمْ إلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) علماً يوصلكم إلى التقوى والرضوان والعمل.

ثم قال سبحانه: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ)

أحسبتم أيها الخليقة أن إيجاد الخليقة، وأن هذا الكون، وإرسال الرسل وإنزال الكتب، كله عبث ولعب! رفع احتمال العبث في الخلق والخليقة، واحتمال أن الناس لا يعودون إليه يوم القيامة.

هل عند الواحد الأحد مقصد في أن يقول: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾(الأنبياء:١٧) لكنه سبحانه لحكمة أنشأ الخلق ليعبدوه، والخليقة ليشكروه جل في علاه، وأقام الكون ليُعبد سبحانه ويُشكر، وأرسل الرسل، ليس هناك عبث، وليس هناك لهو! كل شيء بأجل مسمى، وكل شيء بحكمة منصوص عليها، وكل شيء بقضاء وقدر.

(فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ) تعالى الله عن العبث، وأن الناس لا يعودون إليه، تعالى الله عن كل ما ليس فيه حكمة، و ليس فيه مصلحة، فهو سبحانه الذي أوجد الحكمة والمصلحة.

(الْمَلِكُ الْحَقُّ) ملك الملوك جل في علاه، الحق المبين الذي لا حق إلا حقه سبحانه وتعالى. فهو حق في نفسه، حق بما أرسل، حق بما علم سبحانه.

(لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ)هذه كلمة التوحيد، يقول موسى[1]: يا رب: علمني كلمة أدعوك بها وأناجيك، قال: يا موسى، قل: لا إله إلا الله. قال: يا رب، كل الناس يقول: لا إله إلا الله! قال: يا موسى لو أن السموات السبع والأرضين في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله.

---

(١) انظر ابن حبان .

عن عبد الله بن عمر بن العاص[١]، قال: لما حضرت روح الوفاة، جمع أبناءه، قال: عليكم بكلمتين بـ (لا إله إلا الله) و (سبحان الله وبحمده)، فإن لا إله إلا الله وعزة الله وجلال الله وعظمة الله وارتفاع الله على خلقه، لو كانت في صخرة مبهمة لفصمتها لا إله إلا الله. ولو كانت في حلقة من حديد مبهمة لفصمتها لا إله إلا الله. وأما سبحان الله وبحمده فهي صلاة كل شيء، وبها يُرزق كل شيء.

(لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ)يجوز أن يكون الوصف لله أنه كريم رب العرش، أو يكون للعرش أنه كريم، وهو الذي خلا من العيوب. فالله سبحانه استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله، لا إله إلا هو، جلّ في علاه ولا رب سواه.

يقول ابن تيمية في (الوابل الصيب): قال الله للملائكة: احملي العرش؛ قالوا: ما نستطيع يا ربنا. قال: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله. فقالوها، فحملوه.

(ومَن يَدْعُ مَعَ اللهِّ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ) يشرك بالله عز وجل، وينادي إلها آخر، ويعبد غير الله سبحانه وتعالى، من دون أن يأتي ببرهان.

(فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ)وهذا نهاية التهديد والوعيد. يقول: دعه الله يحاسبه، ولله المثل الأعلى، كما يقول أحد الملوك: حساب فلان علي، أو يقول أحد الجبابرة والأمراء: دعه فسوف نحاسبه. فالله سريع الحساب.

---

(١) مسند الإمام أحمد، بسند صحيح .

(إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ)وكيف يفلح من كفر بالله، فلن يسعد لن ينال مطلوباً، ولن ينجو من مرهوب، ولن يدرك مرغوباً.

وختم الله سبحانه بما علم به من عباده المؤمنين، ويا لهذه الخاتمة، وأذكر بعض المفكرين والمعاصرين الأدباء يقول: يا لهذا القرآن! لكل سورة شخصية مستقلة وبناء خاص، وأسلوب خاص، وكأنها شيء خاص، وكأن الله أنزلها بخصوصية.

(وقُل رَّبِّ اغْفِرْ وارْحَمْ وأَنتَ خَيرُ الرَّاحِمِينَ)فنسأل الله أن يغفر لنا ويرحمنا، فيا رب اغفر الذنوب والخطايا، وارحم بإسدال الحسنات والعطاء الجزيل منك. وأنت خير من يرحم، فلا نريد إلا رحمتك يا أرحم الراحمين، وإذا رحم الله كفى. ﴿فَاللَّهُ خَيرٌ حَافِظاً وهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(يوسف:٦٤).

﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾(يوسف:٨٦) وقال ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضرُّ وأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(الأنبياء:٨٣) فنسأل الله أن يرحمنا وإياكم برحمته الواسعة، وأن يغفر لنا ولكم، وأن يجعل هذا القرآن حجة لنا لا علينا.

الهاشمي: إن شاء الله، ربنا كرماً منه ومنّة، يجعلنا من الذين تثقل موازينهم يوم القيامة، وممن يُزحزحون عن النار ويدخلون الجنة برحمته . آمين.

أقوال فقهاء السنة في أهل البيت

الهاشمي: لنتحدث عن منزلة أهل البيت، عند فقهاء المسلمين من أهل السنة، وأدباء المسلمين من أهل السنة.

القرني: سبق أن تحدثنا عن منزلة أهل البيت، قرابة الرسول ﷺ عند المحدثين وأهل الأخبار والسير.

والآن لنستمع ماذا يقول أئمة فقهاء السنة، كأبي حنيفة ومالك وابن تيمية وابن قدامة، وغيرهم من الأئمة الأعلام، عن أهل البيت.

يقول أبو حنيفة رحمه الله [(١)]: «ما رأت عيني، أفقه من جعفر بن محمد». رضي الله عنه وعن أبيه وعن جده وعن أهل بيته.

وقال الإمام مالك رحمه الله[(٢)]: «ما رأت عين، ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر مثل جعفر بن محمد، وما رأيته يُحدِّث إلا على طهارة».

قال الموفق ابن قدامة المقدسي في شرح (لمعة الاعتقاد)، وقد شرحها الشيخ ابن عثيمين غفر الله لهم جميعاً، وهذه التي تُدرس في المدارس في المملكة العربية السعودية: «ومن السُّنَّة الترضّي عن أزواج رسول الله ﷺ

(١) سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٥٨.
(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ٢ / ٨٨ .

أمهات المؤمنين المطهرات المبرءات من كل سوء، أفضلهم خديجة بنت خويلد، وعائشة الصِّدِّيقة بنت الصِّديق، التي برأها الله في كتابه، زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة».

وقال ابن تيمية شيخ الإسلام رحمه الله في (الوصية الكبرى)[١]: «وكذلك آل بيت رسول الله ﷺ لهم من الحقوق ما يجب رعايتها، فإن الله سبحانه وتعالى جعل لهم حقاً في الخُمس، والفيء، وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله ﷺ، فقال لنا قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. وعلينا محبتهم وموالاتهم، ورعاية حقهم.

ويقول في (المنهاج)[٢] غفر الله له: «ولا ريب أن لآل محمد صلى الله عليه وعلى آله وعلى أصحابه حقاً على الأمة، لا يشاركهم فيه غيرهم، ويستحقون من زيادة المحبة والموالاة على سائر الأمة». وهذا هو المنصوص عن سائر الأئمة كأحمد وغيره.

ثم قال ابن تيمية[٣]: والحسين رضي الله عنه أكرمه الله تعالى بالشهادة في هذا اليوم – يوم عاشوراء – وأهان بذلك من قتله، أو أعان على قتله، أو رضي بقتله.

وقال في موضع آخر: فلعنة الله وملائكته والناس أجمعين على من قتل الحسين، أو أشار بذلك، أو رضي بذلك، وله أسوة حسنة بمن سبقه

(١) وفي مجموعة فتاوى ٣/ ٤٠٧.
(٢) المنهاج ٤ / ٥٩٩.
(٣) الفتاوى ٤ / ٥١١.

من الشهداء، فإنه هو وأخوه سيدا شباب أهل الجنة، وكانا قد تربيا في عز الإسلام، فلم ينالا من الهجرة والجهاد والصبر على الأذى في الله ما ناله أهل بيته، فأكرمهم الله سبحانه وتعالى بالشهادة تكميلاً لكرامتهما ورفعاً لدرجتهما، وقتله مصيبة عظيمة. والله سبحانه وتعالى قد شرع الاسترجاع عند المصيبة فقال:﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾(البقر:١٥٥-١٥٧).

وذكر ابن القيّم[١]في مدح عائشة رضي الله عنها: إنّها كانت أحبّ الناس إلى الرسول الله ﷺ، وإنّه لم يتزوج بكراً غيرها، وإنّ الوحي قد نزل عليه ﷺ وهو في لحافها، وإنّه لما نزلت عليه آية التخيير بدأ بها فخيرها، فاختارت الله ورسوله ﷺ، واستنّ بها بقية أزواجه، وإنّ الله برّأها مما رماها به أهل الإفك، وأنزل في عذرها وبراءتها وحياً يُتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة، وشهد لها بأنها من الطيبات، ووعدها بالمغفرة والرزق الكريم، ومع هذه المنزلة العلية تتواضع وتقول: ولشأني في نفسي أهون من أن يُنزل عليّ قرآن يُتلى من السماء.

العلامة الصّديق حسن خان[٢] قال عن أهل البيت: إن محبتهم واجبة، وإنّ احترامهم عند أهل السنة من الأمور المفروغ منها.

الشيخ ابن سعدي[٣] قال: محبة أهل بيت النبي ﷺ من وجوه منها:

---

(١) جلاء الأفهام ٣٥١ .
(٢) الدين الخالص ٣ / ٣٥١ .
(٣) التبيهات اللطيفة ٩٤ .

إسلامهم وفضلهم وسابقتهم، ومنها: لِما يتميّزون به من قرب بالرسول ﷺ واتصال بنسبه، ومنها: لما حث الله عليه ورغّب في ذلك الرسول ﷺ.

ونختم بما قال الشيخ ابن عثيمين[1]: ومن أصول أهل السنة والجماعة، أنهم يحبون آل بيت رسول الله عليه الصلاة والسلام يحبونهم للإيمان، وللقرابة من رسول الله ﷺ، ويكرمونهم أبداً ويترحمون عليهم، ويتولونهم.

أقوال أهل السنة من الأدباء والشعراء في أهل البيت

نبحر في الأدب قليلاً، أحسن القصائد التي قيلت في أهل البيت، هي عند أهل السنة والجماعة.

أدباء أهل السنة وشعراؤهم يتشرفون ويفخرون بأن يمدحوا بيت الرسول، وآل الرسول ﷺ.

أما مديحه ﷺ ففيه دواوين، ولعلّ أجمل قصيدة للبوصيري يقول فيها:

أمن تذكر جيرانٍ بذي سلم
مزجت دمعاً جرى من مقلةٍ بدمِ

(١) شرح العقيدة الواسطية ٢ / ٢٧٣

أم هبتَّ الريح من تلقاءِ كاظمةٍ
وأومض البرق فالظلماء من أضمِ
فما لعينيكِ إن قلت اكففا همتا
وما لقلبك إن قلت استفق يهمِ
محمدُ سيدُ الكونين والثقلين
والفريقين من عربِ ومن عجمِ

كان لي شيخ جليل اسمه عبيد الله الأفغاني، درستُ على يديه القرآن، وهو من العلماء الفضلاء، ويدرِّس في مسجد الرسول ﷺ، ومن أهل السنة، كان يرفع صوته بـ (أمن تذكر جيران) فما تملك دموعك.

الهاشمي: أنا أذكر عندما كنا نصلي في تونس، حتى في القرية التي نشأت فيها في الحوامد، وفي ليالي رمضان المباركة، أذكر أنه بعد صلاة التراويح يجلس الناس في مجلس ذكر أحياناً، فتقرأ فيه موعظة، وأحياناً تُقرأ البردة كلها.

القرني: ولكن تحفظ علماء أهل السنة على مسألة الغلو في بعض أبياتها.

ومن الشعراء السنة الكبار أحمد شوقي، القائل:

ريم على القاع بين البان والعلمِ
أحل سفك دمي في الأشهر الحرمِ

رمـى الـقـضـاء بـعـيـنـي جـؤذر أسـدا
يـا سـاكـن الـقـاع أدركِ سـاكـن الأُجـمِ
لمـا رنـا حـدثـتـنـي الـنـفـس قـائـلـةً
يـا ويـح جـنـبـك بـالـسـهـم المـصـيـب رمـيِ
جـحـدتـهـا وكـتـمـت الـسـهـم في كـبـدي
جـرحُ الأحـبـةِ عـنـدي غـيـر ذي ألمِ

إلى أن يقول:

أسـرى بـك الله لـيـلاً إذ مـلائـكـهُ
والـرسـلُ في المسجد الأقصى على قدمِ
حـتـى بـلـغـت مـكـانـا لا يُـطـار لـه
عـلـى جـنـاحٍ ولا يُـسـعـى عـلـى قـدمِ
وقـيـلَ كـلُّ نـبـيٍ عـنـدَ رتـبـتـهِ
ويـا محـمـدٌ هـذا الـعـرشُ فـاسـتـلـمِ

أنا لي قصيدة اسمها (التاج) مؤلفة من ثلاثة وستين بيتاً، حسب عمره ﷺ. عارضت فيها البردة ونُشرت في كُتيب ونُشرت في وسائل الإعلام في السعودية، قلت فيها:

أنصت لميمية جاءتك من أمم
مدادها من معاني نومِ والقلمِ
سالت قريحةُ صب في محبتكم
فيضا تدفق مثل الهاطل العممِ
عقود نصرك في بدر وفي أحد
وعدلنا فيك لا في هيئة الأمم
قحطان وعدنان شادوا منك عزتهم
بك التشرف للتاريخ لا بهم
إن كان أحببت بعد الله مثلك في
بدو وحضر وفي عرب وفي عجم
فلا اشتفى ناظري من منظر حسن
ولا تفوه بالقول السديد فمي

الشاعر اليمني عبد الله البردوني له قصيدة في محمد ﷺ. يوم استقلال اليمن أهداها لسيد الخلق ﷺ، يقول فيها أن سيّد التحرير، وقائد الأحرار في العالم، محمد ﷺ.

بشرى من الغيب ألقت في فم الغار
وحياً وأفضت إلى الدنيا بأسرارِ

بشرى النبوةِ طافت كالشذى سحراً
وأعلنت في الدنا ميلاد أنوارِ
وشقت الصمت والأنسام تحملها
تحت السكينةِ من دارٍ إلى دارِ
وهدهدتْ مكةَ الوسنى أناملها
وشقّت الكونَ إيذانًا بأسفارِ
فأقبل النورُ من خلفِ التلالِ وفي
عينيهِ أسرارُ عشاقٍ وسمّارِ
وشبَّ طفلُ الهدى المحبوبِ متشحاً
بالخير متزرا بالنور والنارِ
في كفه شعلة تهدي وفي دمه
عقيدة تتحدى كلَّ جبارِ

إلى أن يقول فيها:

يا فاضحَ الظلم ثارت ههنا وهنا
فضائحُ أين منها جندُك الواري
يا صاحبَ الخلق العلي وهل حملت
روحَ الرسالات إلا روحُ مختارِ



أعلى المناصبِ ما حاكت لصاحِبها

من العلا والمعالي نصبَ تذكار

القصيدة حوالي ثمانين بيت، لكنها من أجمل ما كُتب في مدحه ﷺ.

بعد مدح رسول الله عليه الصلاة والسلام نأتي إلى مدح الأئمة بعده باختصار.

في كتابي (ديوان العرب) [١]قصيدة للفرزدق يمدح فيها علي بن الحسين زين العابدين، لما دخل الحرم:

هذا الذي تعرف البطحاءُ وطأتهَ

والبيتُ يعرفه والحلُ والحرمُ

هذا ابن خير عبادِ الله كلهم

هذا التقيّ النقيّ الطاهرُ العلمُ

هذا ابن فاطمة إن كنتَ جاهلَه

بجده أنبياء الله قد خُتموا

وليس قولك مَن هذا بضائرهِ

العربُ تعرفُ من أنكرتَ والعجمُ

---

(١) يحوي الديوان أجمل قصائد العرب.

ويقول فيه:

يغضي حياءً ويُغضى من مهابتهِ
فلا يُكلَّم إلا حينَ يبتسمُ

يكادُ يمسُكه عرفانُ راحتهِ
ركنُ الحطيمِ إذا ما جاء يستلمُ

كلتا يديه غياثٌ عمَّ نفعهمَا
يستوكفان ولا يعروهُما عدمُ

سهل الخليقة لا تخشىَ بوادره
يُزينه اثنان حُسن الخلقِ والشيمُ

حمال أثقال أقوام إذا افتدحوا
حلو الشمائل تحلو عنده نعمِ

ما قال لا قط إلا في تشهده
لولا التشهد كانت لاؤه نعم

عمّ البريةَ بالإحسانِ فانقشعتْ
عنها الغياهبُ والإملاقِ والعدمُ

إذا رأته قريش قال قائلهُا
إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ

الله شـــرّفـــه قِـــدمـــا وعـــظـــمـــه

جـــرى بـــذلـــك لـــه في لـــوحـــه الـــقـــلـــمُ

أي الخـــلائـــق لـــيـــســـت في رقـــابِـــهـــم

لأولـــــويـــــةِ هـــــذا أو لـــــه نِـــعـــمُ

مـــن يـــشـــكـــر الله يـــشـــكـــر أولـــويـــةَ ذا

فـــالـــديـــنُ مـــن بـــيـــت هـــذا نـــالَـــه الأمُمُ

مـــن جـــــدِّه دان فـــضـــل الأنـــبـــيـــاء لـــه

وفـــضـــل أمـــتِـــه دانـــت لـــه الأمُمُ

مـــشـــتـــقـــةُ مـــن رســـــول الله نـــبـــعـــتـــهُ

طـــابـــت مـــغـــارســـهُ والخـــيـــمُ والـــشـــيـــمُ

يـــنـــشـــق صـــــوبَ الـــدجـــى عـــن نـــورِ غـــرتـــهِ

كالشمس تـــنـــجـــاب عـــن إشـــراقـــهـــا الظُلم

مـــن مـــعـــشـــر حـــبـــهـــمُ ديـــــن وبـــغـــضـــهـــمُ

كـــفـــر وقـــربـــهـــم مـــنـــجـــى ومـــعـــتـــصـــمُ

مـــقـــدمٌ بـــعـــد ذكـــــر الله ذكـــــرهـــــمُ

في كـــل بـــــدء ومخـــتـــوم بـــه الـــكـــلـــمُ

إن عُـدّ أهـل التقى كانوا أئمتهمَ
أو قيل من خير أهل الأرض قيل همُ

لا يستطيع جواد بعد جودهم
ولا يدانيهم قوم وإن كَرموا

هم الغيوث إذا ما أزمة أزمتْ
والأسد أسدُ الشرُى والبأس محتدمُ

لا ينقص العسر بسطا من أكفهم
سيانَ ذلك إن أثروا وإن عدموا

يُستدفع الشرُ والبلوىُ بحبهّم
ويُستربّ به الإحسانُ والنِعم

أقف وقفة تشريف مع أبي نواس: لّما ولي المأمون، ولّى علي بن موسى الرضى، ودخل أبو نواس، فمدح الوزراء والأمراء، ونسي ولي العهد الذي هو من بيت النبوة عليه الصلاة والسلام، فقالوا له: أما تستحي، مدحت آل فلان، وآل فلان، وتركت علي بن موسى، من بيت رسول الله ﷺ، قال: ماذا أفعل؟ قالوا: اذهب واعتذر له بأي عذر. فذهب وجلس أمامه قال: اسمع مني. قال: قل. قال أبو نواس يبتدأ الحوار:

قيل لي أنت واحد الناس في
كل معنى من الكلام بديهِ

لــــك في جـــوهـــر الـــكـــلام بـديـع

يُـــثـــمـــر الـــــدر في يــــد مجـتـبـيـهِ

فـعـلاما تـركـت مـدح بـن موسى

بـاالخـصـال الـتـي تجـمـعـنْ فـيـهِ

قـلـت كـيـف أهـتـدي لمـدح إمـام

كـــان جـــبريـــلُ صـــاحـــبـــاً لأبـيـهَ

قال: املئوا فمه دراً.

لما قُتل الحسين بن علي، كبّر أحد القتلة الأشقياء الذين قتلوا الحسين، والحمد لله القتلة كلهم صفوا حسابهم، قتلهم المختار كلهم، فيقول أحد شعراء السنة:

ويـــكـــبرون بـــأن قُـتـلـت وإنمـــا

قـتـلـوا بـك الـتـكـبـيرَ والـتـهـلـيـلا

يقول القحطاني في نونيته،(ينبّه إلى مَن غلا فيه):

واحـفـظ لأهـل الـبـيـت واجـب حقهـمُ

واعـــرف عـلـيّـا أيمــا عـرفـانِ

لا تـنـقـصـنـه ولا تـزد في قـدره

فـعـلـيـه تـصـلـى الـنـار طـائـفـتـانِ

إحـــداهـــمـــا لا تـرتـضـيـه خـلـيـفـةً
وتـنـصّـه الأخـــرى إلـــهـا ثـانـي

وقال الإمام الشافعي، والشافعي من بيت الرسول ﷺ:

يـا آل بـيـت رسـول الله حـبـكـم
فـرض مـن الله في الـقـرآن أنـزلـه
يـكـفـيـكـم مـن عـظـيـم الـفـخـر أنـكـم
مـن لم يُـصـلّ عـلـيـكـم لا صـلاة لـه

وقال أبو الأسود الدؤلي:

بـنـو عـم الـنـبـي وأقـربـوه
أحـب الـنـاس كـلـهـم إلـيّـا

ونشهد الله في هذا اليوم أنه من أحب الناس، ونرى أن الصحابة يحبون القرابة، والقرابة يحبون الصحابة.

الهاشمي:

أم هـبـت الـريـح مـن تـلـقـاء كـاظـمـة
وأومـض الـبرق في الـظـلـمـاء مـن إضـم
فـمـا لـعـيـنـيـك إن قـلـت اكـفـفـا
همتا ومـا لقلبك إن قلـت اسـتفق يهمِ

ثم يقول البوصيري :

وخالف النفس والشيطان واعصهما
وإن هما محضاك النصح فاتهمِ
ولا تطع منهما خصما ولا حكما
فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

قد يقتتل المسلمون ولكنهم يبقون من المؤمنين

أرسل أحد المشاهدين رسالة يقول فيها: لا يمكن أن يقتتل اثنان، إلا وواحد منهم كافر ومخلد في النار؟ وأجبته: بأنّ الله سماهم مؤمنين بقوله: (وإن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا).

القرني: وهذا استدلال البخاري على ذلك، أنه لا تُكفّر طائفة من المسلمين إذا قاتلت طائفة أخرى، وهذا معتقد أهل السنة الذي نصوا عليه، ونكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، ونرى أن ما فعلوه من أخطاء إنما هو نزر قليل في بحار حسناتهم، ونعلم أن مجتهدهم مصيب له أجران، ومن اجتهد منهم فأخطأ له أجر واحد.

ذكر الحافظ ابن كثير: أنه لما قُتل طلحة في موقعة الجمل، نزل علي ومسح التراب وقبّله وبكى عليه، وقال: يعز عليّ أبا محمد أن أراك مجندلاً بالتراب، وأسأل الله أن يجعلني وإياك ممن قال فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي

صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾(الحجر:٤٧).

اجتمع طلحة، والزبير، وعليّ، وعائشة، في جنات النعيم، ونحن الآن نتشاجر ونأثم بعد هذه القرون بسبب اتهامنا لنواياهم. الصحابة والقرابة في جنات النعيم بإذن الله، والواجب علينا أن نترضى عنهم ﴿والَّذينَ جَاءُوا منْ بَعْدهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفرْ لَنَا ولإخْوَاننَا الَذينَ سَبَقُونَا بِالإيمَانِ ولا تَجْعَلْ في قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذينَ آمَنُوا رَبَّنَا إنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(الحشر:١٠)، فمن لم يتبعهم بإحسان، ولم يصدق في اتباعهم، فقد خالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. لماذا الغل، على أصحاب رسول الله ﷺ أو على قرابته؟!

الحمد لله أنّ اختلاف الصحابة لم يؤثر في الرسالة بشيء، وتمّ الدين، وكمُلت الرسالة، واستمر الأمر على ذلك.

الدول جميعها في توحيدها وفي قيامها تتعرض لنكسات؛ حتى يسود العدل ويسود الحق. حتّى الغربيين، هل توحدت أمريكا بالورود والزهور؟ هل نسينا الثورة الفرنسية؟ هل نسينا بسمارك في ألمانيا. لا بد للحق من قوة، ولا بد من اجتهادات.

الهاشمي: وأحيانا أهل الحق يختلفون، حتى أهل الثورة الفرنسية اختلفوا بين بعضهم، فأكلتهم الثورة الكثير منهم!

أريد أن أتأكد من مسألة، قلت سابقاً: إنّ معتقد أهل السنة، أن الحق كان مع سيدنا علي. فهل هذا صحيح؟

القرني: نُشهد الله على ذلك أن عليا كان هو المحق في موقعة الجمل، وفي صفين، وهو مجتهد له أجران فيما قال، وفيما فعل. والذين خرجوا عليه بغاة، ومعاوية كان باغياً عليه، ونحن نترحم على معاوية، ونرى أنه اجتهد وأخطأ، ونعتقد أن الأولى بالخلافة عليّ رضي الله عنه، وأنّ الحق مع عليّ، فهل نُكفّر معاوية، نلعنه ونُخرجه من الإسلام؟.

نحن وقفنا موقف العدل، موقف الحق، موقف الدليل، لم نفعل مثلما فعل النواصب الذين خطّؤوا عليا، وصوّبوا معاوية، قلنا خطّئوا. و لم نفعل ما فعله الغلاة، الذين لعنوا معاوية، وصوّبوا علي. بل وقفنا، وترضينا عن علي الإمام المعتبر، أحد العشرة المبشّرين، واعتقدنا أنّه مصيب فيما فعل، وأنّ معاوية أخطأ، وأنّ فئته باغية على علي، لأنه صح عن النبيّ ﷺ أنه قال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية». وقتله معاوية ومن معه، جيش معاوية، ونترضى عن معاوية ونستغفر له ما حصل منه من أخطاء، ونعتقد أنّه من كُتّاب الوحي، ونَكِل الأمر إلى الله سبحانه وتعالى، هذا معتقدنا، معتقد أهل السنة جميعاً، على مدى ألف وأربع مئة سنة، في القارات الست، من كتبهم ومعتقدهم، لم يخالف من أهل السنة أحد في ذلك أبداً.

هل هناك أدلة مقنعة على عصمة الإمام علي؟

الهاشمي: السؤال الذي يفرض نفسه، هل تصل هذه الأحقية إلى درجة أن ننسب لسيدنا عليّ رضي الله عنه العصمة؟ هل كان ولياً

منصوصاً عليه من الله عز وجل؟ هل يوجد في الإسلام مقام للولي الوصي على الدين، والذي يختاره هو الله سبحانه، ويُكلَّف النبي عليه الصلاة والسلام بأن يُعلنه للناس، وهذا الوصي معصوم عن الأخطاء تماماً، يعلمُ الغيب، يعلم ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، إلى يوم القيامة، وهو من صلب الحسين فقط، لا من صلب الحسن، اثنا عشر إماماً، فيهم الإمام علي، ولهم جميعاً هذه الخصائص من العصمة، من الولاية التكوينية، - أي إنّ مواهبهم ومزاياهم ومكانتهم من الله عز وجل، وليس من عند أحد - وأنهم هم القيّمون على الدين، وأن واحداً منهم اختفى في سرداب في منطقة في سامراء في العراق منذ سنة ٢٥٧ للهجرة تقريباً، وهو الآن حيّ، يسمعني ويسمعك، عمره قرابة ١٢٥٠ سنة، وله هذه العصمة التي كانت للإمام علي، وله هذه الولاية التكوينية، يعلم ما كان ويكون وما هو كائن، إلى يوم القيامة، وتُعرض عليه أعمال العباد كافة.

هل وجدت في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ، أدلة على هذه الأقوال؟

القرني: أهل السنة جميعاً يرون أنه لا عصمة إلا لمحمد ﷺ، (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) وليست العصمة لأحد من قرابته، لا لعلي، ولا لغيره، وهذا قول الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة من المحدثين، والمتكلمين، والفقهاء، وأهل الأصول، وأهل الأخبار، على مدى القرون، وهو إجماع لديهم، ولم يخالف في ذلك أحد منهم أبداً، واستدلوا على ذلك بثلاثة عشر دليلاً، أرجو أن نسمع الأدلة التي استدل بها أهل السنة:



الدليل الأول:

لم يأت نص صريح، ولا قاطع، لا في الكتاب ولا في السنة، يدل على أنّ علياً، أو أحد أبنائه، رضي الله عنهم أجمعين معصوم، ولو وُجد ذلك لسلم به أهل السنة.

الدليل الثاني:

لم يدّع أحد من أعلام أهل البيت، المنسوب إليهم العصمة، لم يدّع لا علناً ولا سراً، و لم يقل قولاً واضحاً: إنه معصوم، ودعا الناس إلى ذلك بسند صحيح. والأقوال التي ينسبونها إليهم لا تثبت، وإنما هي من الموضوعات والواهيات، وقد تكلم المحدثون، كابن كثير وابن حجر والذهبي، وغيرهم عنها.

الدليل الثالث:

لم ينص أحد من أئمة المسلمين على هذا، فلم يُنقل عن الأعلام، والمجددين في الإسلام، أن أحداً من أئمة أهل البيت معصوم أبداً، و لم يُنقل عنه. حتى إنهم اختلفوا فيما بينهم، وحصل من أهل السنة بعض المخالفات، وحصل منهم أقوال تُخالف أحياناً الإجماع، ولكنهم في هذه المسألة لم يختلفوا أبداً، حكمة من الله ليبقى المعصوم محمد ﷺ.

الدليل الرابع:

يرى أهل السنة أن العصمة تقتضي النبوة، لأن الله تعالى زكّى رسوله، وحفظ قلبه، وزكّى سمعه وبصره، ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾(النجم:١٧)

﴿واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(المائدة:٦٧) وغير ذلك من أدلة، و لم يقل الله ذلك، لا في عليّ، ولا في أهل بيته، رضوان الله عليهم أجمعين.

الدليل الخامس:

لو كانوا معصومين، فعليهم ألّا يقبلوا من أحد أن يخالفهم فيما اجتهدوا فيه من مسائل، فلو كان عليّ معصوماً، وكان مع أبي بكر وعمر وعثمان، واختلفوا في مسألة لقال: كيف تخالفونني، وأنا معصوم؟!

لكن علياً كان يخالفهم ويخالفونه، ويحترمهم ويحترمونه، ويحبهم ويحبونه، فلو كان علي معصوماً أو أحد أبنائه لتوقّف الأصحاب عند رأيه.

الدليل السادس:

قال أهل السنة: التطهير في الآية، لا يعني العصمة، بل التطهير من الذنوب معناه: النقاء والصفاء والاستقامة، فليس كل بار معصوم. وإلا كان كل من مدحهم الله بأنهم أبرار وأنهم أتقياء وأنهم مطهرون، معصومين، وهذا ليس بصحيح.

يقول رسول الله ﷺ في الحديث:« واجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين». والله يحب التوابين ويحب المتطهرين، يحب المتطهر التواب، وهو البار الراشد. ولا يعني ذلك أنهم معصومون.

الدليل السابع:

لو أن مسلماً أخذ علمه من الكتاب والسنة بغير واسطة أهل البيت



لما كفر عند أهل السنة بالإجماع.

يعني أنت يا دكتور، اهتديت وقرأت علم الكتاب والسنة، وأخذت دينك من بلال أو من أبي هريرة، أو أخذت علمك من ابن مسعود عن الرسول ﷺ أو أبي بن كعب، ولم ترو في حياتك حديثاً من أهل البيت، كنت مسلماً منيباً من أهل الجنة عند أهل السنة بالإجماع.

فإن الله ورسوله ﷺ لم يرهنوا تلقي العلم أو مصدرية العلم من أهل البيت، وهذا بالإجماع عند أهل السنة، فكيف يكونون معصومين، ولو كانوا معصومين لزم الأمة أن تأخذ العلم منهم.

الدليل الثامن:

أبو بكر وعمر، هما أفضل الخلق عند أهل السنة، وكان النبي ﷺ يقدمهما في حياة علي بن أبي طالب، وقدم أبا بكر في الصلاة في حياة علي بن أبي طالب في نصوص صحيحة عند أهل السنة، وكان يصلي بالناس، ولم يقل أحد من أهل السنة أنه معصوم، فكيف بغيره!

الدليل التاسع:

صح عن علي رضي الله عنه أنه غبط من اعتزل الفتنة وتحسّر مما وقع في الجمل وصفين، ولو كان معصوماً ما حصل منه ذلك.

ولذلك صح عن عليّ أنه قال على المنبر في الكوفة: إلى الله أشكو عُجري وبُجري. (العجر: دخائل النفس وشجونها وهمومها). ثم قال: لله منزل نزله محمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد، وسعد بن أبي وقاص،

إن كان شر، إنه لقليل، وإن كان خير، إنه لكثير، (أي: لله درّهم، اعتزلوا الفتنة). وهو بار راشد، فلو كان معصوماً لا يقول هذا، لأن المعصوم لا يقع في مثل هذا ثم يتحسر.

الدليل العاشر:

أهل البيت تصدر منهم الذنوب ويتوبون منها كبقية المسلمين كما صح عن عليّ في حديث التوبة، عن مسند أحمد، بسند صحيح أنه قال: كان الرجل من أصحاب الرسول ﷺ إذا حدثني عن رسول الله ﷺ استحلفته، يقول: احلف لي. ثم يقول رضي الله عنه: وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر، أي إنّ علياً ما استحلف أبو بكر لأنه يستحي منه أن يقول له: احلف لي؟ فهو صاحب الغار. قال عليّ: وصدق أبو بكر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يُذنب ذنباً فيتوضأ ويصلي ركعتين ويستغفر الله إلا غفر الله له ذلك الذنب».

وفرح علي بهذا الحديث فدل على أن علياً رضي الله عنه قد تقع منه الذنوب، ومن أهل بيته، وإنهم من أبر الناس، إن لم يكونوا أبر الناس، وأتقى الناس، ولكنهم ليسوا معصومين كالأنبياء.

الدليل الحادي عشر:

إن المعصومين من أهل البيت قضية غير منضبطة، فإن قيل: كل أهل البيت رجالاً ونساءً، فقد صدر من بعضهم ما ينافي العصمة من سفك الدماء عبر التاريخ، وغيره.

وإن قيل: اثنا عشر فحسب. فأين الدليل؟ وهذا تحكّم، ومن الذي نصّ على أئمتهم؟

وأما ما ذُكر عن أبي الحسن الذي في السرداب، فقد قال ابن تيمية: إنه دخل وعمره سبع سنوات، فكيف يكون هو نصير الأمة، وكيف تنتظر الأمة خروجه؟ ثم إذا خرج فإنه يؤمر أولاً بعلم الوضوء، لأن الحديث: «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر». وكيفية الصلاة، وتعلم أمور الإسلام.

الدليل الثاني عشر:

لو أن علياً كان معصوماً لقال المسلمون ذلك، ولما اختلف معهم، ولكنه كان يجتهد ويوافق ويخالف، ولم يُنكر مخالفة الرأي له، فقد قام بعض الصحابة في مجلسه وخالفوه، ولم يستدل في موقف من المواقف بالعصمة أبداً، ولم يُنقل عنه رضي الله عنه ذلك.

الدليل الثالث عشر:

اجتهد أمير المؤمنين علي في مسائل ظهر فيها الخطأ، كإحراق السبئية بالنار.

قال ابن عباس ابن عم علي، (وعليّ أفضل منه وأعلم): لو أنني عنده لأخبرته، وأنكرت عليه إحراقهم بالنار، لأن رسول الله ﷺ قال: «لا يعذب بالنار إلا رب النار».

وقد حرّقهم علي لما رآهم ألهوه من دون الله عز وجل قال:



لما رأيت الأمر أمراً منكراً أجّجتُ ناري ودعوتُ قنبرا

وقنبر هذا: هو مولاه . فلو كان معصوماً ما حصل منه ذلك.

هذه الأدلة جمعتها من كتب المعتقد لأهل السنة لمن قال: بعصمة أهل البيت، والله ما نكتم دليلاً، لو علمنا دليلا كنا سقناه بأسانيده وقلناه وقبلنا الحق ورغمت أنوفنا للحق، لكننا نرى أن القول بعصمتهم من أبعد الأقوال، وقول لا يستند إلى دليل.

الهاشمي: في كتاب "نهج البلاغة" ورد أنّ الإمام علي، خطب في أهل العراق الذين كانوا معه في الكوفة، يشتكي من شيعته، من جماعته، وأتباعه، يقول لهم: إذا دعوتكم في الحر قلتم حتى ينتهي الحر، إذا دعوتكم في القر قلتم حتى ينتهي القر! فأنتم والله من الحر والقر أفر، يا أشباه الرجال ولا رجال.

لو كانوا يعتقدون بعصمته آنذاك وهم معه لما جاز لهم أن يقولوا: أمهلنا مثلاً إلى الحر، أو أمهلنا إلى القر، ولكان موضوع العصمة حاضرا على الأقل في المناقشات التي كانت تدور أيام الفتنة الكبرى.

القرني: يقولون: إن أبا بكر وعمر ليسا معصومَين، ومع ذلك فقد بلغت الفتوح أيامهم، واجتماع الشمل أيام خلافتهم، أكثر من عهد علي رضي الله عنه، واعترف الغرب والشرق بسيرة عمر وعدله.

هل علم أهل السقيفة بأمر العصمة؟

الهاشمي: سيدنا الحسن رضي الله عنه بعد مبايعة الناس له، لم يحتجّ بالعصمة، وعندما اجتمع المهاجرون والأنصار في سقيفة بني ساعدة، ما سمعنا أحداً منهم قال: يا جماعة توقفوا! عندنا معصوم، موصى عليه، ألا تذكرون أنه جاءنا فيه خبر في حادثة الغدير، وفي غيرها. لم يحتجّ أحد في تلك الفترة.

هل يمكن أن يتواطئوا جميعاً في الاجتماع، ثم في البيعة الموالية، فلا يشهد أحد منهم بأمر العصمة هذا؟.

القرني: أليس أهل بدر، الله اطلع عليهم فقال: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، أهل بيعة الرضوان: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (الفتح:١٨).

يوم التحكيم، لم يقل أحد من أهل بدر: يا علي أنت معصوم، وأنت أحق بالخلافة من معاوية.

و لم يقل أحد في سقيفة بني ساعدة ذلك، كيف يخونوا الله ورسوله؟ في بدر وفي بيعة الرضوان، الله يزكيهم ويترضى عنهم سبحانه وتعالى ويخبر أنهم عدول ثم يتواطئون على الخيانة.

الهاشمي: يقول لي أحد المعلقين: إذا ذكرتم عمر بن الخطاب فأرجوكم تواضعوا تكريما له، هذا الرجل زرع محبة الإسلام وحب

العربية في قلوب المصريين أهل الحضارة وقادة الدنيا!

القرني: الفتوحات أغلبها في عهد عمر. جنّد الأجناد، دوّن الدواوين، وضع النظام الاستشاري في الإسلام، حاسب العمال والأمراء في كل سنة، خوّف الأمراء من الرعية.

الهاشمي: أما المشهد الذي لم يتكرر في التاريخ، فمشهد والي مصر، فاتح مصر القائد العسكري عمرو بن العاص، يقدم مع ابنه إلى المدينة. وهناك يقتص الخليفة عمر بن الخطاب من ابن والي مصر، انصافا لمواطن قبطي. عمر بن الخطاب أقام العدل وقال للقبطي الذي اشتكى له أن ابن الوالي ضربه دون وجه حق: اضرب ابن الأكرمين.

القرني: ويقول كلمته المشهورة التي هي شعار في قناتكم: «متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».

ويقول:« لو عثرت بغلة على ضفاف دجلة لخشيت أن يسألني الله عنها يوم القيامة».

يقول له رجل على المنبر: اتق الله يا أمير المؤمنين. فقال: لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فيّ إن لم أسمعها.

قال: ما رأيكم لو قلت (حدتُ) عن الطريق هكذا. فقام أعرابي بدوي في آخر المسجد وقال: لو قلت عن الطريق هكذا لقلنا بالسيوف هكذا.

قال الحمد لله الذي جعل في رعية عمر من لو قال عن الطريق هكذا، قالوا بالسيوف هكذا.

قال: أيها الناس اسمعوا وعوا، فقال سلمان: والله لا نسمع ولا نعي، قال: و لم يا سلمان؟ قال: تلبس ثوبين، وتُلبسنا ثوب. قال: قم يا عبد الله، أجب سلمان: قال: أبي رجل طويل، وقد أعطيته ثوبي. قال: الآن، قُل نسمع، وأمُرْ نُطع.

هذا الذي يحكم الدولة الإسلامية، كان يخطب الناس، بقميص مرقّع.

قرقر بطنه عام الرمادة، فقال: قرقري أو لا تقرقري، والله لن تشبعي حتى يشبع أطفال المسلمين.

هذه أدلة أهل السنة في الباب وهي أدلة توافق الكتاب والسنة، وتوافق العقل.

الهاشمي: إنّ أئمة أهل البيت، الإمام علي وأئمة أهل البيت عامة، دعوا إلى أركان الدين التي يعرفها أهل السنة، التي جاء بها الوحي إلى محمد ﷺ. فقالوا: إنّ الصلاة فرض، وإن الصوم فرض، وإن الحج فرض، وإن الزكاة فرض، طبعاً بعد الشهادتين، وإن بر الوالدين من أعظم ما يتقرب به المرء إلى الله عز وجل، والأمور المحرمة في القرآن الكريم محرمة إلى يوم القيامة، وإن من الإسلام الشهادة بالعدل، وقول الحق وقول الصدق، أليس هذا ما دعا إليه سيد أهل البيت وأئمة أهل البيت من بعده؟ هل دعوا إلى شيء آخر لا يؤمن أهل السنة؟

القرني: أبداً. الذي دعا إليه علي بن أبي طالب، دعا إليه بلال، ودعا إليه عبد الله بن مسعود، وصهيب، وعمار، أي صحابي دعا إلى ما دعا إليه علي والحسن والحسين رضي الله عنهم.

حوار مع المشاهدين

الهاشمي: نفتح الآن الباب لبعض المداخلات الهاتفية .

عبد العزيز[(١)] : أريد أن أناقش الخطوط العريضة لسلوك المسلمين سواء عند الشيعة أو عند السنة.

من خلال الطرح عند الشيخ الكريم أو عند بعض إخواننا وعلماءنا الأجلاء من أهل السنة، نجد أن اعتقادهم، أنّ من لا يؤمن بعصمة أهل البيت، هو فقط الذي يسير على المنهج الوسطي والمنهج الصحيح.

يقول الشيخ الكريم: إنّ أهل السنة لا يسبون، ولا يكرهون، ولا يبغضون أهل البيت، وهذه حقيقة، فالمسلم لا يفعل ذلك.

لكن هذا لا يجيز نعت الشيعة، بأوصاف لا نقبلها على أنفسنا، مثل كلمة: روافض، أو مبتدعة، أو غلاة.

أمّا كلمة روافض فنحن نفتخر بأننا رفضنا انتخاب خليفة المسلمين لأننا نؤمن أن انتخاب خليفة المسلمين ورد في نص من الله سبحانه وتعالى.

أمّا كلمة غلاة، فهل من حقنا أن نطلق كلمة غلاة على إخواننا أهل

(١) مداخلة للأخ عبد العزيز من الدنمارك .

السنة في حبهم للصحابة؟ بسبب أنّ ذكرهم لأقوال عن الصحابة رضوان الله عليهم أكثر بملايين المرات من ذكرهم للأحاديث عن أهل البيت.

فيما يخص الطواف بالأضرحة، نحن لا نطوف بالأضرحة معتبرين هذه الأضرحة كمكة، لزام علينا الطواف فيها، وإنما قد يكون الإنسان يُجل ويحترم هذا الإمام، أو هذا الولي الذي نطوف عنده.

أريد أن أُذكِّر الشيخ عايض، وهو شيخ جليل ومحترم، أنه في الأيام العشرة الأواخر في رمضان. قال الشيخ بالحرف الواحد على قناة (اقرأ) الفضائية: أَحبُّ الناس إلى الله بعد النبي ثلاثة، وبإيماءاته المعتادة أشار بيده فقط: هم أبو بكر، وعمر، وعثمان، رضي الله عنهم، و لم يأتي على ذكر الإمام علي.

مرويات علي في كتب أهل السنة

القرني: شكراً يا أخ عبد العزيز على كلامك المهذب، وما يصحبه من الأدب.

أبدأ من الأخير، أما قولي على قناة (اقرأ)، إن كنت قلت ذلك، يا أخي أنا أُشهد الله سبحانه وتعالى، أنني أعتقد أن من أحب الناس إلى الله بعد الرسول ﷺ هم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وهذا كلام لاشك فيه.

فإن قلت: أحب الناس فهو من أحب الناس إليهم، ومعنى ذلك أنني عددت الثلاثة وتركت عليّ، فنحن نُربّع بعلي في الحب وفي الخلافة، وهذا الذي تعلمناه، وأنا يا أخي كتبت قبل عشر سنوات مقالة في عليّ مستقلة، ومقامة حسينية.

وأنا أنظم الأشعار في علي بن أبي طالب، وأشرطتي ومقالاتي تطفح بذلك.

مرويات عليّ عند أهل السنة أكثر من مرويات الخلفاء البقية. المجموع الكلي في الكتب التسعة لأبي بكر ٢١٠، لعمر ٩٧٧، لعثمان ٣١٣، لعلي ١٥٨٣ حديث. هذه عند البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وأبو داود وابن ماجه وأحمد والدارمي.

الهاشمي: إذن أعود لخلاصة هذا الكلام، تقول: في كتب الحديث التسعة الأكثر اعتماداً عند أهل السنة، مرويات الإمام علي في هذه الكتب تفوق مجموع ما روي عن بقية الخلفاء الراشدين الثلاثة.

القرني: مرويات أهل البيت عندنا أكثر منهم بثلاثة أضعاف، نروي عن أهل البيت أكثر مما يروون هم عن أهل البيت؟

الهاشمي: فيما يخص الأضرحة قال لك: نحن لا نطوف بالأضرحة باعتبارها مثل مكة.

القرني: نهى النبي ﷺ عن تعظيم القبور، والبناء المشرف عليها.

قال أبو هياج الأسدي قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه

رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى، قال: لا تدع قبراً مُشرفاً إلا سوّيته، ولا صورة إلا طمستها. (أو كما قال).

فهذا علي بن أبي طالب ينهى عن ذلك. فالطواف بالقبور ودعوة الأموات،وقولهم: يا حسين اشف ابني وعافني، فهذا نُهينا عنه.

التوحيد يا أخي ألا تدعو إلا الله، ولا تدع مع الله أحدا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة:٥)، ولا يجوز أن يُدعى غير الله عز وجل، أو يستعان بغير الله، أو يُذبح لغير الله، سبحانه وتعالى، أو يُغلى في الولي، فيظن أن الولي يشفي مريضاً أو يعافي مبتلى أو يصلح شأناً. هذا الذي ننهى عنه، هذا غلو ﴿لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ (النساء:١٧١).

الهاشمي: كأنك تقول مصداق الآية: ﴿ولا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ ولا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ (يونس:١٠٦).

الآية: ﴿وإن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وإن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ (يونس:١٠٧).

القرني: حتى سيد الخلق ﷺ لا يجوز للمسلم أن يأتي إلى قبره ويقول: اشفني أو عافني، وقد أنكر أهل السنة على من يفعل ذلك، لأنه لا يُدعى إلاّ الله سبحانه وتعالى. أما رسول الله ﷺ فيُصلّى عليه، ويُسلم. فهو ﷺ صاحب الرسالة.

تعليق على حديث "الأئمة أثنا عشر"

الأخ عباس[(١)]: جاء في (صحيح مسلم ٦/ ٣) حديث للرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ألا إن من بعدي اثنا عشر، تسعة من صلب الحسين، والتاسع قائمهم، وهم أهل بيتي، وعترتي، من لحمي ودمي.

القرني: هذا ليس بصحيح، وأنت نسبت لمسلم ما ليس فيه.

في صحيح مسلم: الأئمة اثنا عشر. فقط هكذا الحديث، ولم يسمّهم ﷺ، وأنت زدت في اللفظ من عندك، فاتق الله يا أخي.

عباس: الموضوع الثاني: المعصوم: هو الممتنع بالله عن جميع محارمه، ﴿وجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (السجدة:٢٤)أمّا ما استدل به على وجوب توفّر العصمة بالإمام فهو الحوار الإلهي مع إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ ومِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة٢/١٢٤].

القرني: الآية في سورة البقرة في بني إبراهيم، وفي سورة السجدة في بني إسرائيل: ﴿وجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة٣٢/٢٤].

---

(١) مداخلة للأخ عباس من فنلندا .

﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾(البقرة:١٢٤)نحن نقول ذلك، فما دليل العصمة بها؟

عباس: أستدل بها على أن الإيمان عهد إلهي يختص به من تنزّه عن الظلم والمعصية.

وقال تعالى:﴿واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ (آل عمران:١٠٣) لأن حبل الله هو دينه. إذن فجميع المؤمنين من الملائكة والنبيين والأئمة معصومون، لأنهم متمسكين بطاعة الله.

القرني: اعتصموا: جمع، من الاعتصام، أي: اتحدوا وتآخوا وتآلفوا، وليست من العصمة.

الهاشمي: جعلت المؤمنين مع أهل البيت معصومين. هل كل المسلمين عندك معصومين يا أخ عباس ؟.

القرني: يا أخي اعتصموا: تآلفوا وتحابوا وتقاربوا واتحدوا، ولذلك ألف علماء السنة مثل الشاطبي كتاب (الاعتصام) يعني الاتفاق والائتلاف، وليس من العصمة.

عباس: جاء في(الفوائد المحرقة لابن حجر)١٤٩، وفي (المناقب الخوارجي١٩٨): إن حبل الله هم أهل البيت.

القرني: هذا قول من الأقوال، ولا يعني هذا أنهم معصومون. يا أخي نريد أدلة صحيحة.

عباس: أعطيك الدليل الشرعي على أن علي هو الخليفة الشرعي بعد

رسول الله عليه الصلاة والسلام بعدما نزلت الآية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾(المائدة:٦٧) سنة عشرة للهجرة، في طريق العودة من حجة الوداع، قال الرسول ﷺ: «مَن كنتُ مولاه فعلي مولاه».

القرني: ولكن الحديث «مَن كنتُ مولاه فعلي مولاه» نحن نقول به، حتى من كان بلال مولاه، وهذا لجميع المسلمين.

يا أخي الولاية، هي ولاية الإيمان، وولاية الإسلام، وولاية الدين، ونحن نقول بذلك، ولا يعني يا أخي إنها ولاية الخلافة.

ماذا يمنع الرسول عليه الصلاة والسلام أن يقول بياناً عاماً شافياً واضحاً، لا لبس فيه.

الرسول يا أخي بيّن لنا الوضوء، وبيّن لنا السواك، ماذا يمنع الرسول ﷺ على المنبر أن يقول: أيها الناس، الخليفة من بعدي علي بن أبي طالب.

كيف يترك الرسول ﷺ أمر الإمامة، وبالمقابل يعلمنا آداب الخلاء وآداب الوضوء؟ كيف يترك رسول الهدى ﷺ الأمة في ظلمة من هذا الأمر، أمر الخلافة.

بل في مرض موته ﷺ قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس. لماذا لم يقل: مروا عليا بن أبي طالب يصلي بالناس؟ يا أخي هل بيننا وبين علي شيئاً؟ نحن أهل السنة هل نعادي علياً!؟ لا، بل نحبّه، ونقدّم نحورنا دون نحره، لكن نريد الحق يا أخي، نريد الدليل.



حقوق أهل البيت عند أهل السنة

الشيخ عمر[١]: أشكرك يا دكتور محمد، دائماً تُبهجون الأمة الإسلامية بمثل هذه المواضيع، لتُنيروا طريقها، ولتجمعوا كلمتها بإذن الله جل وعلا، ثم تستضيفون نجوماً كأمثال الشيخ عايض القرني، فنسأل الله جل وعلا أن يزيده من فضله وأن يختم لنا بخير.

أيها الأحبة: الأمر مُعتقد، نريد أن نبينه، ولا بأس بإعادته خلافاً لكلام الأخ أبو بنان عندما قال: ينبغي ألا نعيد. بل نعيد ونزيد في أمر معتقدنا، لنثبت المعتقد الحق الصحيح. لأن بعض الشيعة يظنون أن أهل السنة والجماعة يبغضون آل بيت رسول الله ﷺ، وحاشا لهم أن يفعلوا ذلك، وقد أوصى الحبيب ﷺ بقرابته.

لآل بيت النبي ﷺ عند أهل السنة والجماعة حقوق وواجبات كثيرة منها:

حق الموالاة والمحبة:

فتجب محبتهم لإيمانهم، وتجب محبتهم لقرابتهم من الرسول ﷺ، حيث قال ﷺ: «أذكركم الله في أهل بيتي».

---

(١) مداخلة للشيخ عمر سعدون من الرياض .وهو من عائلة كريمة تنتسب إلى بيت النبوة .

وقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي».

وقال جل من قائل:﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾(الشورى:٢٣).

حق الدفاع والذب عنهم وتبرئة ساحتهم مما يُنسب إليهم كذباً وزوراً:

الدفاع عنهم لا يعني الرد على من يسبّهم، بل يشمل الرد على من غلا فيهم، وأنزلهم فوق منزلتهم البشرية، وألبسهم لبوساً ليست هي من العبودية الحقة لله جل وعلا. لأن ذلك مخالف لهدي المصطفى ﷺ.

ومما يؤكد أن الغلو فيهم يؤذيهم، ما جاء في (رجال الكشي) عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين أنه قال عن اليهود: أحبوا عُزيراً، حتى قالوا فيه ما قالوا، فلا عزير منهم ولا هم من عزير؛ وإن النصارى أحبوا عيسى حتى قالوا فيه ما قالوا، فلا عيسى منهم ولا هم من عيسى. وإنا على سنة من ذلك. إن قوماً من شيعتنا سيحبونا حتى يقولوا فينا ما قالت اليهود في عزير، وما قالت النصارى في عيسى ابن مريم فلا هم منا ولا نحن منهم.

مشروعية الصلاة عليهم:

وذلك عقب الأذان، وفي التشهد آخر الصلاة، وعند الصلاة على النبي ﷺ، والأدلة على ذلك كثيرة، ومنها اليقين الجازم بأن نَسَب الرسول

ﷺ وذريته من أشرف أنساب العرب قاطبة.

تحريم الزكاة والصدقة عليهم:

وذلك لكرامتهم وتنزيههم عن الأوساخ.

ولكن هناك شروط لمن يستحق هذه الحقوق من آل بيت رسول الله ﷺ،

لا بد من توفر شرطين، وهما:

الإسلام: فلا يستحق الكافر تلك الحقوق، ولو ثبت نسبه للنبي ﷺ، بل لابد من حسن العمل والإسلام، ولذلك كان رسول الله ﷺ يحذّر من الاعتماد على النسب فقال ﷺ: «يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً.

ثبوت النسب: فلا يجوز الانتساب لآل البيت إلا بحق، وقد جاء الوعيد الشديد فيمن انتسب إلى غير أبيه أو ادعى قوماً ليس فيهم نسب.

جاء في الصحيح عن أبي ذر قال: «سمعت النبي ﷺ يقول: ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر بالله، ومن ادعى قوماً ليس له فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار».

فلا يكفي في الانتساب إلى آل البيت لبس العمامة السوداء أو العمامة الخضراء وغيرها من المظاهر. بل لابد من ثبوت النسب حقيقة، ثم التزام

السنة، فإن الواجب على من ينتسب إلى آل البيت المطهر واللائق به، أن يكون من أولى الناس حظاً بتقوى الله وخشيته، واتباع هديه، وسنة نبيه ﷺ.

الهاشمي: التقوى أعز وأهم ما أوصى به النبي ﷺ المسلمين في عصره وفي كل عصر، وتجدها دائماً في كل الخطب، كل واعظ أو خطيب يحب أن يلخص نصحه للناس يقول: أوصيكم بتقوى الله عز وجل.

القرني: أشكر فضيلة الشيخ الداعية المعروف الشيخ عمر السعدون، وهاهو الشيخ عمر من أهل البيت يقول هذه الكلمة المنصفة التي وافقه عليها علماء أهل السنة جميعاً من متكلميهم وأهل الحديث وأهل الفقه وأهل الأصول، فماذا بقي؟

هو يطالب بعدم الغلو، ويقول: إنهم ليسوا معصومين، ويطالب بالحقوق التي قالها أهل السنة والجماعة.

محمد[1]: يقول الرسول ﷺ لسيدنا علي رضي الله عنه: «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النعم». وفي رواية: «خير مما طلعت عليه الشمس».

حقيقة يا دكتور الهاشمي أقول لك جزاك الله ألف خير.

حين بدأت الدعوة في الثمانينيات، كان المشايخ في المساجد يأتون إلى المدارس فسمعنا منهم أحاديث ما كنا نسمعها، مثل قول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «ارم سعد فداك أبي وأمي».

(١) مداخلة للأخ محمد العنزي من لندن.

سمعنا عن عبد الرحمن بن عوف الذي يأتي المدينة بدينارين ويتبرع بكل ما يملك.

القرني: هذه شهادة من عاش وعرف الأدلة من كلا الجانبين فأشكره شكراً جزيلاً.

نحن لا نقبل أن نجفو أهل البيت، ولا نقبل الغلو فيهم. ﴿لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾(النساء: ١٧١)، وإنما نقبل الحق والوسط والعدل، الذي أمر الله به ورسوله ﷺ.

جعفر[١]: حياك الله شيخنا عايض القرني، وحياك الله دكتور محمد الهاشمي.

الشيخ وخاصة في رمضان على قناة (اقرأ) نادراً ما يذكر أهل البيت.

نحن علاقتنا بأهل البيت ليست غلواً، فالبكاء على الحسين له دليله.

الهاشمي: يا أخ جعفر، الشيخ عايض شرح الآيات من سورة المؤمنون﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾(المؤمنون: ١) لا تجد فيها إشارة لموضوع المأتم، ولا النياحة، ولا التطبير، إنّما صلاة، صيام، زكاة، محافظة على الأخلاق الحميدة، أداء للأمانة، محافظة على العهد.

القرني: كل ما في الكتاب والسنة، وما نقل عن رسول الله ﷺ، ليس فيه البكاء على الحسين، ولو عاش مسلم عمره كله، و لم يبك على الحسين، و لم يضرب صدره لكان مؤمناً صادقاً من أهل السابقة في الإيمان.

(١) مداخلة للأخ جعفر من كربلاء.



البكاء على الحسين أو اللطم . . هل يسيء للإسلام ؟

جعفر: ألم يذكر الشيخ عرعور: أن رسول الله عليه الصلاة والسلام حزن حزناً شديداً على جعفر عليه السلام عم الرسول عندما استشهد.

الهاشمي: جعفر بن أبي طالب صحابي كريم ونبيل، قال النبي ﷺ يوم عودته من الحبشة: «ما أدري بأيهما أسر، بفتح خيبر أم بعودة جعفر». حزن النبي ﷺ على جعفر بعد أن استشهد في مؤته، لكنه ما أقام مأتماً في السنة التي بعدها، ولا أربعينية، على الرغم من استشهاده بعد عدة أشهر.

جعفر: أنا عندما أبكي الحسين، فقد بكاه قبلي رسول الله ﷺ حين كان الحسين طفلاً، طبعاً هذا البكاء على الحسين أو اللطم، هل يسيء للإسلام؟ ما الضرر أن أبكي على الحسين؟؟

القرني:

- يا أخي الضرر في القول بعصمة الحسين.
- الضرر في لعن مَن اغتصب حق علي(كما تقولون)، أو أئمة أهل البيت (تقصدون الصحابة).
- الضرر في التبرؤ من الصحابة.
- الضرر في الطواف بالأضرحة والاستشفاع بها.

❁ الضرر في الغلو في حب أهل البيت.

❁ في ضرب الأجسام ولطم الخدود وإقامة المآتم وشق الجيوب، التي نهى عنها الرسول ﷺ.

❁ الضرر أنّ هذه الأفعال من أفعال الجاهلية، وليست من أفعال الإسلام، ونهى عنها سيد الخلق ﷺ.

ما مصلحتنا أن ننهى عن شيء سنّه رسول الله ﷺ؟

جعفر: أستاذ عايض، أنت بطريقتك تحب أهل البيت وتعتقد بهم، وأنا بطريقتي أحبهم وأعتقد بهم.

الهاشمي: يا أخ جعفر، قرأنا في سورة الفرقان من قوله تعالى: (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا) والآيات التي بعدها، فما وجدنا فيها أمر التطبير وما يشبهه بتاتا. إنما وجدنا فيها الحث على الطيبات، المودة، المحبة، الدعاء، وجدنا فيها وفي آيات أخرى مشابهة الحث على الصلاة والصيام والزكاة والحج وبر الوالدين وتجنب المحرمات المنصوص عليها في القرآن الكريم.

القرني: مات رسول الله عليه الصلاة والسلام، وقُتل عليّ وهو أفضل من ابنه الحسين وأكرم، بل حمزة أفضل من الحسين قتل، وجعفر أفضل من الحسين قُتل، يا أخي لا تغلو في دينكم، نحن نريد لكم الخير، إن شاء الله ننصحكم على الحق، بيننا وبينكم الكتاب والسنة.

المعنى الصحيح لحياة الشهداء

جعفر: أقول للشيخ الكريم: الحسين ليس بميت، الحسين حي يرزق، الشهداء عند ربهم يرزقون، صحيح يا دكتور. الشهداء، هم الذين يقتلون في سبيل الله، أليس الحسين قُتل في سبيل الله؟

الهاشمي: الشهداء عند ربهم يرزقون. لكن نحن الأحياء نحاسب على ما نحن مسؤولون عنه. الشهداء عند ربهم، فالمفهوم من ذلك إذن أن الحسين رضي الله عنه ينال ما يناله غيره من الشهداء من الكرامة والفضل، كشهداء بدر وأحد.

يا أخي، اقرأ آيات سورة الإسراء، وتأمل في ما تدعو إليه وما تحث عليه عموم المسلمين:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿وقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ وبِالْوَالِدَيْنِ إحْسَاناً﴾(الإسراء:٢٣).

﴿واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾(الإسراء:٢٤).

﴿وآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ والْمِسْكِينَ وابْنَ السَّبِيلِ ولا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾(الإسراء:٢٦).

﴿ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلَى عُنُقِكَ ولا تَبْسُطْهَا كُلَّ

البَسْطِ﴾(الإسراء:٢٨).

﴿ولا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إمْلاقٍ﴾(الإسراء:٣١).

﴿ولا تَقْرَبُوا الزِّنَى ﴾(الإسراء:٣٢).

﴿ولا تَقْتُلُوا النَّفْسَ﴾(الإسراء:٣٣).

﴿ولا تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ ﴾(الإسراء:٣٣).

﴿وأَوْفُوا الكَيْلَ إذَا كِلْتُمْ ﴾(الإسراء:٣٥).

﴿ولا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾(الإسراء:٣٦).

﴿ولا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً ﴾(الإسراء:٣٧).

﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكْمَةِ ﴾(الإسراء:٣٩).

والله يا أخي جعفر: إنك عندما تقرأ المصحف كله، وعندما تترجمه لشخص صيني أو إنجليزي، لن تجد فيه آية واحدة تتصل بموضوع النياحة والبكاء والتطبير نهائياً.

كتّاب التاريخ قالوا: إنّ هذه العادة ظهرت من ثلاث مئة سنة فقط، اخترعها الصفويون لّما غيروا مذهب إيران بالقوة، وهي لم تكن موجودة عند أئمة أهل البيت.

الدين أخي جعفر هو محبة الله ورسوله وطاعة الله ورسوله، النبي ﷺ لما كان يدعو الناس إلى الإسلام كان يطلب منهم أن يشهدوا أنه لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله و لم يحدثهم عن المآتم والتطبير.

ما تعليقك على هذا؟

جعفر: أحب أن أقول للشيخ: إذا أردت تصير جلسة بين كل العلماء وبينهم علماء الشيعة، ونتآخى فيما فيه رضا لله.

لكن المشكلة أنّ إخواننا أهل السنة ما يقبلون بمصادرنا نحن. ونحن ما نقبل بمصادرهم، فسيصبح التوافق كله بعيدا.

أخي العزيز دكتور الهاشمي: أنا أطّبر وألطم وأضرب وأجش رأسي، وأشارك بالمآتم الحسينية وألبس السواد على أبي عبد الله الحسين شهرين متكاملين. كل سنة وعاهدت الله على الوفاء.

الهاشمي: لو قلت لك يا أخي جعفر: إنّ النبي ﷺ لم يفعل هذا أبداً، لم يفعل أي أمر من أمور التطبير لا عند استشهاد سيدنا حمزة أو بعد ذلك في ذكرى استشهاده، ولا عند استشهاد سيدنا جعفر، ولا عند استشهاد كل الشهداء الآخرين الكرام.

القرني: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

هذا يا أخي ليس من السنة، وهو أمر مذموم، وقد أخبرتك بإجماع أهل العلم وأهل السنة. إني لك ناصح.

الهاشمي: عدد كبير من علماء الشيعة، عدد معتبر منهم قالوا: ما يجوز.

إذا كان النبي ﷺ هو صاحب الرسالة، هو صاحب الشرع، ما عمل هذا لسيدنا حمزة سيد الشهداء، وما عمل هذا سيدنا علي بن أبي طالب،

وما أقيمت الآتم لبقية الشهداء الكرام الذين ضحوا بأنفسهم من أجل الإيمان والحرية!!

يا أخي انظر إلى ما قاله الدكتور عبد الصبور شاهين: أتستكثر على الحسين الشهادة؟ يجب أن تحتفل لاستشهاده، لا أن تحزن.

نعود للمداخلات والرسائل، ونختم بها:

الهاشمي: عبد العزيز الجْميّل بعث رسالة من السعودية يطلب مني ألا أسمح بالتشويش على الموضوع، وصرفه عن مبحثه الأساسي.

الأخ أحمد عبد الله يشكرني لأني استضفتك، ويصفك قائلاً: صاحب الوجه المنير والابتسامة التي تملأ الصدور بالإيمان، والله لم أر قناة (المستقلة) بهذا النور والإشراق، إلا عندما طلّ عليها وجه شيخنا الجليل.

القرني: أنوار بركات الذين يحبون أهل البيت.

الهاشمي: يتابع الأخ ويقول: أنا مواطن يمني أقيم في بريطانية منذ زمن، وكنت رجلاً للأسف فاسقاً فاجراً، أشرب الخمر وأفعل المنكرات، ولم أسجد لله سجدة واحدة، وعندما شاهدت التلفزيون وبالذات قناة (اقرأ) المباركة، وشاهدت الداعية العظيم

سحرني بأسلوبه السهل، ووجهه البشوش، فأحببته في الله، وكان السبب بعد الله في هدايتي، فتوقفت عن شرب الخمر- ولله الحمد - وفعل المنكرات، وحافظت على صلواتي في أوقاتها.

اليوم أنا في غاية السعادة أنا وأهل بيتي جميعاً. أسأل الله تعالى أن يرزق شيخنا الجليل العلم الواسع والصحة وطول العمر.

القرني: ثبته الله.

الهاشمي: يقول لك الأخ مصطفى: أنا رئيس المؤسسة الإسلامية في كلية لندن للاقتصاد - هذه واحدة من أرقى الكليات هنا في بريطانيا- بعث بالإنجليزي يقول: أنا حسيني سني لقد استمتعت فعلاً بما ورد في مناقشاتكم، هل من الممكن أن تبعثوا لي بها، باللغة العربية أو الإنجليزية؟.

أبو عمر الفاروق الحسن الهاشمي يقول: أنتَ قرأت رسالة موجهة للسيد السيستاني ويتمنّى عليه أن يُجب.

الهاشمي: آمل من الشيخ السيستاني أن يجاوبني كرماً منه ولطفاً، باعتباري مسلما من المسلمين يستفتيه في أمر الدين. السيد القزويني كلمني وقلت له: في عهد النبي ﷺ المرأة التي جاءته وطلبت أن تستفتيه في أمر، سمع منها وأجابها.

وقلت له: مفتي السعودية لو اتصلت به مباشرة يجيبك. فالمفتي والفقيه عندكم هو الذي يفتي الناس الذين يطلبون الفتوى. وإن شاء الله السيد السيساتي يجيبنا وربنا يوفقه لكل خير وينفعنا به إن شاء الله.

الأخ محمد عبد الرزاق كتبي، متأثر بما سمع من الكلام، ويقول: أنا من آل البيت، حسني أسكن بالمدينة المنورة، ولكن أستغرب ممن يأتون



بأمور وحاجات عجيبة، وإنني بريء مما يدعون إليه.

ويقول: أحملك المسئولية لإيضاح هذه الحقائق أنت وضيوفك، وفي الختام لا أملك إلا الدعاء لكم بالتوفيق من عند الله.

الأخ بشير سعيد من ليبية، يقول: أتمنى توجيه دعوة للعلماء الشيعة ليتدبروا هذا التراث الإسلامي العظيم من سنة صحيحة متواترة، وتفاسير العلماء.

يقول: يا مسلمون، إذا كان أبو بكر الصديق صاحب الرسول ﷺ، الذي صلى خلفه كافراً، فمن المؤمن، بالله عليكم؟

إذا كان عمر الفاروق الذي قال عنه الرسول ﷺ: «ما سلك عمر وادياً إلا سلك الشيطان وادياً آخر». فمَن المؤمن بالله عليكم؟

ويتابع وهو متأثر جداً: يا حسرةً على العباد، لا تغمضوا أعينكم عن الحقائق يا أخوتي الشيعة، وزنوها بميزان الحق والعدل.

الأخت نور الهدى تشكرك وتقول لك: بارك الله بك، وتدعو لك. أنا أتابع البرنامج (مكانة أهل البيت عند أهل السنة)، وهذا شيء ممتاز، وأتمنى أن يكون هناك ندوات أخرى تحت عنوان: (مكانة الصحابة عند الشيعة).

عمر محمد علي، يقول لك: لماذا لم يقم يزيد بن معاوية الحد على عبد الله بن زياد أو عمرو بن سعد، لما قاموا بقتل حفيد الرسول ﷺ؟

ويقول لك: أهل السنة يزورون مقام الشيخ (عبد القادر الجيلاني)،

والإمام أبي حنيفة، فلماذا لا تتركونا نحن نزور أضرحة أئمة أهل البيت؟

القرني: يوجد من أهل السنة من يفعل ذلك، وهي بدعة مذمومة، ونهى عنها علماء السنة.

الهاشمي: الأخ عامر عيسى من الزبداني، أرسل رسالة يشكر فيها الشيخ جلال الدين محمد صالح، والشيخ عدنان عرعور.

الأخ محمد الخالدي أبو مصطفى من العراق يقول: إنه غاضب من قرائتي للكلام الذي قاله سيدنا علي في تأبين الخليفة أبي بكر الصديق.

هو غاضب لأنه لم يفرح بالكلام الطيب الجميل الذي قاله الإمام علي في خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق؟!

القرني: أسأل الله أن يرضينا ويشرح صدورنا.

الهاشمي: هذه رسالة أخرى تقول صاحبتها: تحية خاصة من امرأة سنية عراقية، لمقدم البرنامج، وتحية معطرة بأريج الإسلام لشيخي، للشيخ الداعية عايض القرني جزاه الله عن الإسلام والمسلمين، في كل الأرض، وخاصة في العراق خيراً. نحن هنا نتعلم من حديثك الكثير، ادع لنا في صلاتك عسى الله أن يفرج عنا الكرب.

القرني: نسأل الله أن يفرج عنهم الكرب، ويجمع شملهم على الحق.

الهاشمي: يقول أحدهم: أما أنت يا أخي الهاشمي، فأدعُ الله أن

يريك "المستقلة" غرفاً عظيمة في جنان الخلد، لما فيها من الخير الكثير العظيم. وأما أنت أيها الشيخ الحبيب عايض القرني فلا أجد أجمل من قولك: عرف الحقيقة فاستنار بنورها.

القرني:

قـف في الحـيـاةِ تـرى الجـمـالَ تبسماً

والـطـلُ مـن ثـغـر الحـديـقـةِ قـد هَـمـا

والمـسـلـم اطـلـع الـوجـود مـسـلّـمـا

أهـلاً بمـن حـاز الجـمـال وسـلّـمـا

الهاشمي: الأخ محمد شهابي يقول: الشيخ القرني يضع السيدة فاطمة الزهراء، –على الرغم من عشرات الأحاديث الشريفة في حقها–، يضعها مع السيدة عائشة في مقام واحد.

الأخ القرني يظن أن عائشة أفضل نساء الرسول، و لم يقدم أي دليل، ولا يمكن لأي إنسان أن يقارن عائشة، التي لا فضل لها –إلا أنها بنت الخليفة الأول– بالسيدة خديجة التي ضحّت بكل ما تملك.



فاطمة أفضل من عائشة

القرني: أجبنا عن هذا، فاطمة أفضل من عائشة، وعائشة خير نساء الرسول ﷺ وأفضلهن عند الرسول ﷺ.

الهاشمي: أبو اليسر من مكة المكرمة أرسل يؤيد كلامك في أهل البيت.

الأخ الدكتور عبد الله الطريقي من المدينة المنورة، أرسل يقول: فيما يخص موضوع الحلقة، لا بد أن يكون النقاش أوسع، ويأتي بمجموعة من علماء الشيعة والمهم أن يكون النقاش صريحا، ولا تكون فيه مراوغة.

وهذا يقول: نريد نسخة من كتاب "محمد ﷺ للقرية العالمية" باللغة الألمانية والإنجليزية، وحاولت الاتصال كثيراً خاصة عندما يكون الداعية السعودي الدكتور عايض القرني موجودا، لأني أحبه في الله كثيراً، وأتمنى أن أحصل على تليفونه إذا سمح لي بذلك، ولا أطيل عليكم. ولساني يعجز عن التعبير عما أكنه من احترام ومحبة.

كمال الدليمى كتب قصيدة شعرية حلوة في (المستقلة) بارك الله فيه.

هناك جماعة من الأهواز أرسلوا لك رسالة محبة كبيرة قالوا: إنك ما تتخيل أثر هذه البرامج.

ولآن يا شيخ عايض: هل تحب أن تقول كلمة فيما يتعلق بالسيدة فاطمة، والسيدة خديجة، والسيدة عائشة. يعز علي أن ينتهي البرنامج دون أن أذكرهن جميعاً.

القرني: السيدة فاطمة بنت محمد عليها الصلاة السلام هي أفضلهن جميعاً، وهي سيدة نساء العالمين، لأن أباها سيد الخلق محمد ﷺ، وهي بضعة منه، وبيّنتُ فضلها، وأخبرت صراحة أنها أفضل من خديجة ومن عائشة، فيما يخص السيدة خديجة والسيدة عائشة، فمنهم من فضل هذه، ومنهم من فضل هذه.

فخديجة لسابقيتها بالإسلام، ومواقفها من رسول الهدى ﷺ، ولصبرها واحتسابها.

وعائشة لكثرة علمها، ووقوفها مع رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولفقهها في الدين.

إذن أفضلهنّ فاطمة بلا شك، عليها السلام، وعلى أبيها الصلاة والسلام، وفضل عائشة على نساء الرسول ﷺ، وعلى سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، كما قال ﷺ، فلا يفهمني السائل خطأً.

الهاشمي: الأخوة في مركز التوحيد في أمستردام في هولندة، يشكرونك شيخ عايض، ويدعونك للزيارة،ويقولون: إن القلوب مشتاقة لزيارتكم، وتشريفكم لنا. ونحن بأمس الحاجة لملاقاة إخواننا ومشايخنا الكرام.



القرني: إن شاء الله يكون هذا، لهم منّا السلام والتحية.

الهاشمي: سعيد محمد العدواني الزهراني من الدمام، يبعث تحية من القلب، طبعاً يقول كلاماً طيباً عنّي، بارك الله فيك، ثم يقول: وزاد الأمر إشراقاً بوجود شيخنا وحبيبنا في الله ـ هذه ضريبة الحب ـ الشيخ عايض القرني. يقول: كان لوجودك أثر كبير في شرح موضوع محبة أهل البيت، ويدعو لك بالتوفيق وبالسداد.

هذا أحد الأخوان، أبو مهدي، يقول: نداؤكم لبعض الإخوان حتى يكفوا عن التطبير لن يثمر شيئاً، لأن بعض الناس يعتقدون فيه بقوة.

أظن أن هذا كلام غير صحيح، هناك من تأثّر تأثراً كبيراً جداً وكثير منهم تغيرت آراءهم تماماً بهذا الموضوع.

الأخ عبد القادر عمر سبيعي عمره ٦٠ سنة، بعث برسالة حزينة عن الوضع في العراق، وأرسل قصيدة، لكن أعتذر عن قراءتها الآن.

أبو ناصر العراقي يقول: ابدأ بشرح آيات التوحيد، لحاجة الناس إليها، ولأنها دعوة الأنبياء.

هل أوصى الرسول ﷺ بالخلافة أم لا؟

أحد الأخوة الشيعة يسألك: هل أوصى الرسول ﷺ بالخلافة أم لا؟

القرني: لم يوص الرسول ﷺ بالخلافة، لا لعليّ، ولا لأبي بكر، وإنما أشار لأبي بكر بالصلاة، وفهم بعض الصحابة من ذلك إشارة، وقالوا: «رضيه عليه الصلاة والسلام لأمر ديننا، أفلا نرضاه لأمر دنيانا». فولوا أبا بكر، ورضي بذلك علي وغيره، رضوان الله عليهم جميعاً.

الهاشمي: يقول أحد الإخوان: فيما يخص القصة التي أوردتها عن بنت أبي جهل، أن سيدنا عليّ كان يريد أن يتزوج بها، هل عندك دليل على هذا؟

القرني: هذا الحديث في صحيح البخاري.

الهاشمي: هذا أخ من فلسطين يبعث برسائل الحب.

القرني: جزاه الله خيراً، وجزى أهل فلسطين خيراً، وكشف عنهم الغمة، وعن جميع المسلمين، وجمع شملهم على الكتاب والسنة.

الهاشمي: أحد الأخوة من المغرب العربي بعث برسالة، هو يعرف رسالته لأنه ما كتب اسمه، ولكن أنا بلّغتها للشيخ عايض.

قال: إن الشيخ عايض هو الداعية الأول المحبوب عندهم وقال هو سعيد جدا بأن رآه في "المستقلة" ويطلب أن يدعو له وللشباب المتدين وأنت وصلتك الرسالة أليس كذلك.

القرني: نعم وصلتني وجزاك الله خيراً وإياه، وأسأل الله أن يؤلف قلوبنا وقلوبهم على الحق، وأن يكرمهم بطاعته واتباع سنته ﷺ.

الهاشمي: هذه رسالة من الأهواز تقول: أخي الكريم المحترم محمد الهاشمي، نخصكم بالسلام من أرض الأهواز الطيبة العربية. أرجو أن تقرأ هذه الرسالة العطرة، وتهديها لأخينا الشيخ عايض القرني، بحق القرآن عليك وحق من أنزله.

يقول: أبشرك بأن شباب الأهواز المثقف أدركوا الحقيقة وقلوبهم تنزف دماً مما يسمعون ويشاهدون من سب للخلفاء، وطعن بزوجات الرسول الأكرم ﷺ.

ويقول لك: أرجو المساعدة في إنقاذنا من هذا التوجه، وأقول للأخ القرني خذ هذه الرسالة، وقدمها للعلماء في المملكة العربية السعودية حتى تعرف أثر عملكم.

وأقول لك: إن ثلث الناس غيّروا فكرهم بفضل هذه البرامج. وهو يطلب التعاطف والدعاء.

القرني: الله يوفقهم ويؤلف بين قلوبهم، ويجمع كلمتهم على الحق.

الهاشمي: نعتذر من كل السادة الذين بعثوا رسائلهم بالفاكس، وما قدرت أن أقرأها، وأعتذر للمتّصلين، لكن إن شاء الله نستضيف الشيخ عايض القرني مرة ثانية.

علاء[١]: حقيقة أنا أحييكم لهذا الدور الريادي في الاجتماع على كلمة الله سبحانه وتعالى، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، وهذه الأصوات الإصلاحية العادلة الصادقة التي نحترمها منك، ومن فضيلة الدكتور الشيخ عائض القرني.

أنتم قدمتم صورة إيجابية للحوار وللتواصل مع الناس، وحقيقة كنتم كالشامة وجمعتم الناس عليكم، وعلى الاحترام والتقدير لأهل البيت والتمحيص في المرويات.

أقدم لكم شكر كثير ممن يتابعكم، ويقدر هذا العمل الريادي الذي تقومون به في فكر التقارب، وفكر التصالح، وفكر إيجاد القواسم المشتركة، وإزالة الغبش والتراكمات الماضية، تحياتي لك دكتورنا الكريم الكبير، وتحياتي لدكتورنا فضيلة الشيخ الدكتور عائض القرني، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الهاشمي: الشيخ السيد الحسيني القزويني من قم كلمني اليوم، ويبدو أنه لم يحصل على خط الهاتف أثناء البرنامج. لقد وجهت له الدعوة ليتكلم في ثلاث حلقات عن وجهة نظره في الموضوع.

لكنه قال: الشيخ عايض من أحسن من سمعت من الناس، ومن أكثر الوهابيين اعتدالاً – أنتَ رددت كلمة الوهابية هذه – وهو متأثر، وقال كلاماً طيباً على الهاتف عن مداخلاتك في البرنامج.

---

(١) مداخلة للأخ علاء الدين آل رشي المدير الإعلامي في مركز الراية للتنمية الفكرية وعضو اللجنة العربية لحقوق الإنسان وعضو رابطة أدباء الشام .

وقلت له: إن شاء الله هذا الكلام يفتح أرضية طيبة للاجتهاد والتجديد والتقارب، وهو ما نسعى إليه.

أما الآن شيخ عايض القرني، فقد يسّر الله لنا، كرماً منه وفضلاً ومنةً، أن نتحاور لسبع ليال في أمر "مودة أهل بيت نبيه الكريم ﷺ"، وأن نحدّث الناس بما في كتاب الله، وبما في سنة رسول الله ﷺ، وبما في أقوال العلماء المبجلين المحترمين، من أدلة ونصوص تحثّ على محبة أهل بيت رسول الله ﷺ، وتبجيلهم وتوقيرهم، وتبين للمؤمن أنه ينبغي أن يتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة، ومنها محبة أهل البيت.

في نهاية الجلسة السابعة من جلسات الحوار أدعوك أن توجه لجميع السادة المشاهدين كلمة ختامية، على أمل أن نتيح لهم إن شاء الله فرصة أخرى للّقاء بك عبر قناة "المستقلة" في مواعيد أخرى.

كلمة أخيرة للشيخ عائض

القرني: أولاً أشكر الله سبحانه وتعالى الذي هيأ لي هذه الفرصة أن أتكلم مع إخواني المسلمين في كل بلاد العالم عبر القناة الرائدة (المستقلة).

وأشكر الرائد عليها، وصاحب القرار الدكتور محمد الهاشمي، والحقيقة إني أقول شهادة حق: فأنا صحبت الدكتور محمد الهاشمي ضيفاً

عنده، وصديقاً وزميلاً فما رأيت منه إلا حبا لقضايا الإسلام، والتفاني في خدمة هذا الدين، وسلامة النية لأصحاب النبي ﷺ، وقرابته، وحب محمد ﷺ، وأنتم ترونه وهو يحمل المصحف ويتلو كتاب الله عز وجل، وينشد، ويحدث المسلمين، فجزاه الله خيراً.

"المستقلة" أوصلت كلمة الحق لأصقاع العالم

ثم إني أقول عن قناة "المستقلة" إنها صارت نافذة خير، وفتحت الرأي السديد، وأوصلت كلمة الحق لأصقاع العالم، فرجائي أن تُدعم، لأنها القناة الوحيدة التي بدأت بكتاب الله عز وجل، القناة التي عرّفت الناس حبّ الناس لقرابة وأصحاب النبي ﷺ.

وبالمناسبة فالذي أتيت به من المملكة العربية السعودية، والله ما كتمت كلمة حق، ولا قلت كلمة زور، وإني ما زيّفت شيئاً من الحقائق، ولو زيّفت شيئاً لكان ورائي الملايين من العلماء من أهل السنة والدعاة والقضاة، ولأوقفوني عند حدي.

وإن هذا الذي قلته رأي الساسة عندنا، ورأي العلماء، ورأي القضاة، ورأي العامة، وهو رأي المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وقد زرت أكثر من ٣٥ دولة إسلامية فوجدت أن الرأي الذي قلته موجود في كتبهم، وهو الذي يعتقدونه.

وبهذه المناسبة، أنا أدعو الجميع إلى حب قرابة الرسول ﷺ، وعدم الغلو في ذلك، وعدم الجفاء، أدعو السنة والشيعة إلى الالتقاء تحت مظلة الكتاب والسنة، ولفظ البدع والخرافات، التي زادت على ديننا المعصوم الذي عصمه الله من الزيادة والتحريف، أدعو الناس في الأمة الإسلامية إلى عدم التنابز بالألقاب، نحن في فترة نحتاج إلى وحدة الكلمة، ووحدة الصف، ليس عندنا وقت للتشاجر، ليس عندنا وقت لشق الصف، وليس عندنا وقت لإثارة الضغائن والثارات والأحقاد، نحن مستهدفون من غيرنا فاجمعوا صفنا على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

وأقول كما قال النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

أسأل الله تعالى أن يجعل ما قدمنا في ميزان الحسنات، وأن يغفر به الزلات والخطايا، وأسأل الله أن يجمع الأمة الإسلامية على ما يحب ويرضى، حكاماً ومحكومين، على شريعته وسنة نبيه ﷺ، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الكرام الأبرار المتقين، وعلى من سار على منهجهم إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه، ومن سار على منهجه إلى يوم الدين.

الهاشمي: بارك الله فيك أيها الأديب الشاعر المتألق الشيخ عايض

القرني، والداعية المتحدث بالدليل من كتاب الله، ومن صحيح حديث رسول الله ﷺ.

أرحّب بك مرة أخرى، وأثني على قدومك إلى لندن وتلبيتك لدعوة قناة (المستقلة)، وسعة صدرك في الحديث مع جمهورها، والمتصلين معها، وإن شاء الله، وبعون الله وتوفيقه، نكون دائما عند حُسن ظنك بنا.

أنا ممتن لهذه المعاني الكريمة التي ذكرتها والمشاعر الجميلة التي وصفتها.

وأعد السادة المشاهدين أنني سأحتفي بالسيد القزويني عندما يأتينا من قم و يزورنا في لندن إن شاء الله للحديث عن مودة أهل البيت في فقه علماء الشيعة المحترمين وتراثهم. سأحتفي به وأعطيه الفرصة للحديث، .بما يتطابق مع شعار "المستقلة": «الحوار من أجل الحقيقة».

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾(الأحزاب:٥٦).

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

والحمد لله رب العالمين.

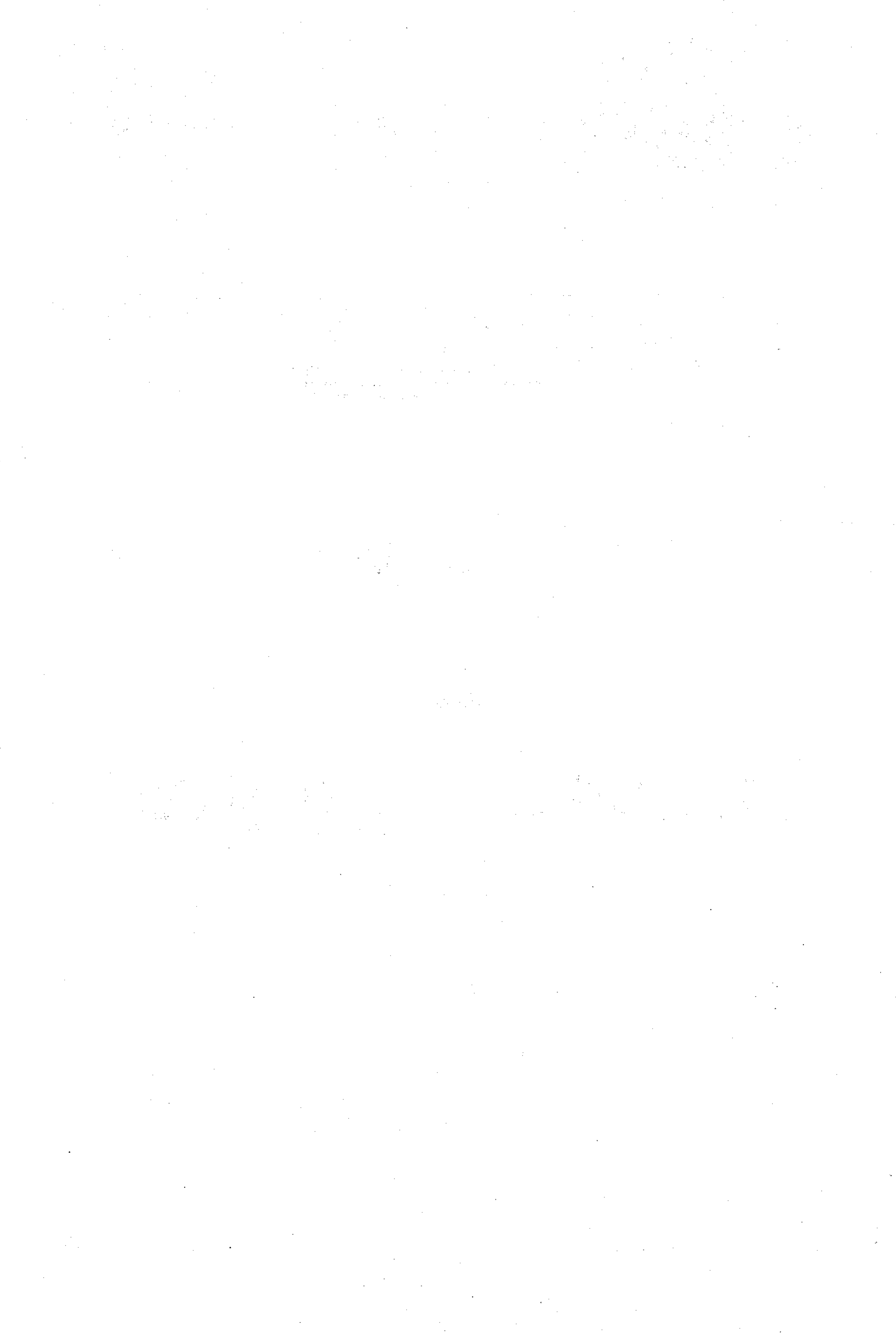


الدكتور محمد الهاشمي الحامدي

أهل البيت

في

القرآن الكريم والسنة النبوية



الفصل الأول

أعظم الأنساب في الإسلام



أعظم الأنساب في الإسلام

جاء الإسلام مكملا ومتمما لرسالات الأنبياء الكرام السابقين، إبراهيم وموسى وعيسى وسائر أخوانهم من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين. في بدايات القرن الميلادي السابع، اصطفى الله عز وجل محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ليكون خاتم النبيين، والرحمة المهداة للعالمين. أنزل عليه القرآن الكريم، وأمره بتبليغ رسالة التوحيد والعدل والحرية للناس أجمعين، وبيان معالم الصراط المستقيم الذي يقود إلى سعادة الدنيا والآخرة، ويقرر بدون شك ولا غموض كرامة بني آدم قاطبة، والمساواة الكاملة بينهم أمام خالقهم، ويعلمهم أنه لا فرق بين عربي ولا أعجمي، ولا بين أسود ولا أبيض، إلا بالتقوى والعمل الصالح فقط.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾. (الأنبياء: ١٠٧)

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾. (الإسراء: ٧٠)

وقال أصدق القائلين أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ

وأُنثَى وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾. (الحجرات: ١٣)

تحرير البشرية من ظلمات الشرك

لم تكن المهمة التي كلف بها محمد بن عبد الله ﷺ يسيرة هينة. كانت مهمته أن يحرر الناس كافة، وليس أهل مكة والجزيرة العربية فقط، بعقيدة التوحيد، وبتذكيرهم بأنهم جميعا كرام بعبادة الله وحده لا شريك له. كرامة قررها لهم خالقهم العزيز الكريم، ومن العبث والسفه أن يتخلوا عن هذه الكرامة بالتورط في دروب الشرك، وعبادة غير الله، وتعظيم بعض البشر أو تقديس الأصنام بدعوى أنها ند لله عز وجل أو أنها تملك مفاتيح الوصول إليه.

هذا أول وأهم وأعظم ما جاء به نبي الإسلام وخاتم النبيين: ألا يعبد في الأرض إلا الله وحده لا شريك له، وأن يتحرر الإنسان بعقيدة التوحيد من سطوة الأصنام والأوثان والأوهام والخرافات وسطوة المضللين من البشر. لذلك كان الشرك أعظم أنواع الظلم في الإسلام وأكبر الكبائر. يغفر الله تعالى كل أمر سواه ولا يغفر أن يشرك به.

وقد بسط النبي ﷺ حجته أمام الناس كما أوحى إليه ربه في القرآن الكريم:

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨) وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩) وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾. (الأنعام: ٩٥–١٠٣)

وحول عقيدة التوحيد، ومبدأ تحرير الإنسان تحريرا كاملا من خلال دعوته إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان بمحمد ﷺ رسولا من عند الله وخاتما للنبيين ومحبته والإقتداء به، جاءت وتكاملت بقية التشريعات الإسلامية الأخرى: الصلاة والزكاة والصيام والحج، والصدق والأمانة، والعدل وبر الوالدين وصلة الرحم، وإكرام الجار والضيف، وعمارة

الأرض وترقية الحضارة، وبسط الحريات والدفاع عن المظلومين، وترك المفاسد التي تُذهب كرامة الإنسان وتضيع مصالحه الظاهرة كالخمر والميسر والمخدرات، وتجنب الأعمال القبيحة المنكرة من كل عاقل مثل قتل النفس والرق والزنا والربا وأكل أموال الناس بالباطل.

وفي كل هذه المعاني العظيمة جاء الخطاب واحدا للبشر كافة. لا تمييز بينهم بسبب اللون أو العرق أو الجنس. فالرجال والنساء خلقوا من نفس واحدة. والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض كما يوضح القرآن الكريم من دون لبس أو غموض.

محمد رسول الله والذين معه

كل من درس سيرة خاتم النبيين يدرك من الوهلة الأولى أنه جاهد جهادا كبيرا من أجل نشر مبادئ الحرية والعدالة وكرامة البشر كافة. لقد ظلم واضطهد في مكة المكرمة مسقط رأسه. وعذب أصحابه وقتلوا وشردوا. واضطر هو نفسه أخيرا للهجرة إلى المدينة المنورة. وهناك أيضا طاردته جيوش قريش وحلفائها من المستفيدين من الأوضاع البالية، الأوضاع التي يصبح فيها الإنسان عبدا للأصنام، أو لبشر مثله. ثم يتوسع الإنحراف العقدي ليؤسس لعبودية أخرى تجعل الإنسان خاضعا لسلطة الساسة وشيوخ القبائل والأثرياء الكبار. مع ذلك، صمد النبي ﷺ في وجه الظلم ثلاثة عشر عاما في مكة، وتصدى للجيوش الغازية التي

هاجمته في المدينة المنورة طيلة الأعوام الستة الأولى من هجرته، وانتصر على معسكر الشرك والظلم في نهاية المطاف.

في كل هذه المراحل، كان السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، ومن دخل في صفهم تدريجيا من المؤمنين، سند النبي الأكبر بعد خالقه عز وجل. في مكة المكرمة كان أبو بكر الصديق، وخديجة بنت خويلد أم المؤمنين، وحمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب، وبلال الحبشي، وعمار بن ياسر، ومصعب بن عمير، وسعد بن أبي وقاص، وأمثالهم من الذين نالوا شرف السبق في اعتناق عقيدة التوحيد وتبني شريعة العدل والرحمة والحرية.

وفي المدينة المنورة تضاعف عدد المسلمين مرات كثيرة، ولمعت أسماء أخرى حول النبي ﷺ. علي بن أبي طالب الذي اعتنق الإسلام صبيا ثم أصبح شابا يافعا شجاعا يتصدى لعتاة المشركين المعتدين. سعد بن معاذ من زعماء المدينة المنورة وكبار الأنصار غدا مستشارا مقربا لرسول الله. وسلمان الفارسي يشتهر بحبه للنبي حتى يدخل بحبه هذا في عداد أهل البيت. وخالد بن الوليد يلتحق بالصفوف قبل الفتح فيجب له الإسلام ما بدر منه أيام شركه. وعثمان بن عفان مضرب الأمثال في السخاء والكرم.

أسماء لامعة. وشخصيات عظيمة سامقة، ذكرنا عددا قليلا جدا منها، لضرب المثل ليس إلا. هؤلاء هم صحابة النبي ﷺ. رضي الله عنهم جميعا. وقد مدحهم القرآن الكريم وذكر فضلهم في مواضع كثيرة، منها

يوم أحدق بهم الخطر والمكر المحتمل من مشركي قريش وطغاتها، في الحديبية قريبا من مكة المكرمة، فجددوا بيعة العهد والوفاء للنبي ﷺ. نزل الوحي بعدئذ في سورة الفتح يمدح موقفهم ويبشرهم: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة، فعلم ما في قلوبهم، فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريباً﴾. (الفتح: ١٨). ونزل أيضا قوله تعالى في ختام هذه السورة:

﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾. (الفتح: ٢٩)

النسب الأعظم مكانة في الإسلام

أعظم الأنساب على وجه الأرض نسب الإيمان والعقيدة. هذا هو الأمر البين الواضح الجلي في الإسلام. لذا جاءت الآية السابقة من سورة الفتح بمثل لأصحاب رسول الله في التوراة وفي الإنجيل. إنه الوصل القرآني الكريم بين جيل المؤمنين برسالة خاتم النبيين محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وأجيال المؤمنين السابقة. أولئك الكرام الذين أيدوا موسى عليه

السلام، وأولئك الكرام الذين أيدوا عيسى عليه السلام. وهو ذاته الوصل القرآني الكريم بين ما جاء في التوراة، وما جاء في الإنجيل، وما جاء في القرآن الكريم. كله من عند الله الواحد الأحد، الذي كرم بني آدم، وأراد لهم سعادة الدنيا والآخرة، وأنعم عليهم بالأنبياء الهداة المهديين، كل منهم يتمم رسالة الآخر، ويحيي معالم الحق وينفض عنها غبار الخرافات والأوهام، إلى أن من الله على خلقه بإتمام رسالاته إليهم، عندما بعث إليهم خاتم النبيين وأوحى إليه بالقرآن الكريم: ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾. (الإسراء: ٩)

زكى الله تعالى هذا النسب الكريم الشريف، نسب العقيدة الصافية الصحيحة، في كتابه الكريم في مواضع كثيرة. فهو مدح المهاجرين والأنصار في سورة الحشر على أساس الرابطة الإيمانية التي تجمعهم:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. (الحشر: ٨-١٠)

هنا سؤال يفرض نفسه: هل تدل هذه الآيات والتوجيهات على أن نسب الفكرة، نسب الإيمان، أعلى شأنا من نسب الدم؟ سؤال منطقي،

وجوابه وارد بعبارات شفافة قاطعة في القرآن الكريم، تذكر كل عبد من عباد الله، أنه لم يختر أمه ولا أباه ولا الموطن الذي ولد فيه. لكن بوسعه، وبإرادته الحرة التي شرفه الله بها، أن يختار عبادة الله وحده، أو الكفر به أو عبادة الشركاء معه. وبإرادته الحرة، يستطيع أن يتبنى دستور مكارم الأخلاق، كما بينه القرآن الكريم والنبي محمد ﷺ، وبوسعه أيضا أن يختار دستور أخلاقه من الشيطان. هنا السر الأكبر الذي يجعل للإنسان مقاما رفيعا بين سائر المخلوقات. قدرته على الإختيار بين الحق والباطل. وبين الخير والشر.

السؤل الذي يفرض نفسه في هذا السياق إذن هو: هل تدل هذه الآيات والتوجيهات على أن نسب الفكرة، نسب الايمان، أعلى شأنا من نسب الدم؟ وهذا هو الجواب من القرآن الكريم:

﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ ورَسُولَهُ ولَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ويُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (المجادلة: ٢٢)

ضمن هذه التوجيهات القرآنية الكريمة الواضحة، يفهم الباحث في التاريخ عملية المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، كما أمر بها النبي محمد ﷺ بعد هجرته من مكة إلى المدينة المنورة. ها هنا نرى تجاوزا صريحا للأنساب الطبيعية، نسب الدم والعائلة والعشيرة، وتقديما لنسب الفكرة

والعقيدة. وها هنا انحياز قاطع وواضح من النبي ﷺ لحرية الإنسان في الإختيار وتقرير مصيره. الإنسان ليس عبدا لمكان ولد فيه وبيئة نشأ فيها، وبوسعه إن أراد أن يختار طريقه واتجاهه. هذه الحرية منحها له خالقه، ومن الحمق أو الجبن أن يتخلى عنها لأي سبب من الأسباب.

في القرآن الكريم أيضا أدلة أخرى قوية ومبهرة على أولوية نسب الإيمان والعقيدة على أي نسب آخر. هذا مثال في سيرة النبي بنوح عليه السلام. لقد قضى ما يزيد عن تسعة قرون يدعو قومه إلى توحيد الله وعبادته وحده من دون شريك وهم يعاندون ويرفضون. فجاءه الأمر ببناء الفلك له ومن معه من المؤمنين، قبل أن يأتي الطوفان. ثم يأتي هذا الموقف الحساس الأليم لنوح بصفته أبا رحيما محبا لابنه العزيز الغالي على نفسه:

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾. (هود: ٤٠-٤٣)

هكذا تفرقت السبل بين الأب العطوف الكريم وابنه الحبيب إلى نفسه. الأب قاد سفينة المؤمنين، وابنه اختار البقاء مع الكافرين. لكن

النبي الإنسان لم ييأس بعد، وفلذة كبده ما زال في خاطره كما تبين بقية القصة:

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. (هود: ٤٤-٤٨)

كل عاقل، من المسلمين وغيرهم، يتأمل في هذه القصة يدرك مغزاها الكبير في أمر النسب: حتى لو كان الإنسان ابنا لنبي مكرم مجتبى من عند الله عز وجل، فإن ذلك لا يغني عنه شيئا عند الله عز وجل من دون الإيمان.

العبرة من هذه القصة واضحة جدا: النسب الأعلى والأرفع والأعظم شأنا هو نسب الإيمان.

وفي سيرة أبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام قصة مماثلة. فقد كان أبوه من عبدة الأصنام، استبد به غروره فأعرض عن دعوة التوحيد والحرية. وفي سورة مريم تصوير لحنان الابن وعطفه وحرصه الكبير على والده:

﴿واذْكُرْ في الكتَابِ إبْرَاهيمَ إنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبياً (٤١) إذْ قَالَ لأَبيه يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ ولا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً (٤٢) يَا أَبَتِ إني قَدْ جَاءَني منَ العلْم مَا لَمْ يَأْتكَ فَاتَّبعْني أَهْدكَ صِرَاطاً سَوياً (٤٣) يَا أَبَت لا تَعْبُد الشَّيْطَانَ إنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ للرَّحْمَن عَصياً (٤٤) يَا أَبَتِ إني أَخَافُ أَن يمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ للشَّيْطَان ولياً (٤٥) قَالَ أَرَاغبٌ أَنتَ عَنْ آلهَتي يَا إبْرَاهيمُ لَئن لَّمْ تَنتَه لأَرْجُمَنَّكَ واهْجُرْني مَلياً (٤٦) قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفرُ لَكَ رَبِّي إنَّهُ كَانَ بي حَفياً (٤٧) وأَعْتَزِلُكُمْ ومَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِياً﴾. (مريم: ٤١-٤٨)

إن الشقة بعيدة بين الابن المؤمن الحنون، والوالد المتعصب المغرور. مع ذلك، رد إبراهيم على تهديد أبيه بالمقاطعة والرجم بوعد نبيل بطلب المغفرة من الله. وبعد المراجعة، وبعد أن تبينت وتيقنت عداوة الوالد الكبيرة لرسالة ابنه النبي المجتبى، كف إبراهيم عن الاستغفار، وانقطع أثر النسب العائلي تماما بسبب الخلاف حول النسب الفكري والعقائدي:

﴿ومَا كَانَ اسْتغْفَارُ إبْرَاهيمَ لأَبيه إلاَّ عَن مَّوْعدَة وعَدَهَا إيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للَّه تَبَرَّأَ منْهُ إنَّ إبْرَاهيمَ لأَوَّاهٌ حَليمٌ﴾. (التوبة: ١١٤)

هذه قصص دالة ومعبرة عن نظرة الإسلام للأنساب. وهناك آيات أخرى تحسم الأمر بشكل لا يحتمل التأويل بأي وجه من الوجوه، منها قوله تعالى في سياق الحديث عن النتيجة النهائية لأعمال الإنسان ورحلته في الحياة الدنيا:



﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾. (المؤمنون: ١٠١-١٠٣)

لن ينفع الإنسان أبدا يوم القيامة نسبه. وإنما ينفعه عمله الصالح. لذلك فإن الذين يولون أهمية كبيرة للأنساب في الدنيا مخطئون. النسب الكريم مع العمل الصالح خير على خير. لكنه لن يرفع صاحبه درجة واحدة من دون العمل الصالح. ومن صلح عمله لا ينقص من شأنه أبدا أن ليس من عائلة كبيرة معروفة ومحترمة.

ومن لم يقتنع بعد فليقرأ أيضا قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦٤) فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٦٥) هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٦٦) الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ (٦٧) يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. (الزخرف: ٦٤-٧٢)

انتبه أيها المؤمن الموحد الكريم في كل زمان ومكان إلى هذا التوضيح الحاسم الوارد في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: الأخلاء يوم القيامة بعضهم لبعض عدو، باستثناء المتقين. التقوى هي السر الأكبر.

بها تعلو درجات أناس ويهبط آخرون. يذكرنا هذا بالنص الذي سبق الإستشهاد به من سورة الحجرات: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم". والذين يرثون الجنة بفضل الله وكرمه، لم ينالوا هذا الفوز العظيم الكريم بأنسابهم، وإنما بما كانوا يعملون.

هل بقي في الأمر شبهة أو غموض بعد الآن؟



الفصل الثاني

أهل بيت رسول الله ﷺ في القرآن الكريم





أهل بيت رسول الله ﷺ في القرآن الكريم

المؤمنون كافة إخوة في الله، أرفعهم قدرا عند الله أتقاهم. هذا هو ما بينه رسول الإسلام محمد ﷺ للناس كافة بأقواله وأفعاله.

ورسول الإسلام بشر مثل سائر البشر، فضله بتلقي الوحي وباختياره ليكون خاتم النبيين، لم ينزع عنه صفته البشرية كما بين القرآن الكريم وكما بين الرسول نفسه، عليه الصلاة والسلام، في مواضع كثيرة.

وكان للرسول الإنسان عائلة وأقارب، مثلما هو حالة عامة الناس. أهله المقربون هؤلاء شرفوا بقرابته. ولكن القرابة وحدها من دون إيمان وعمل صالح لا تنفعهم شيئا. فالذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات زاد قدرهم وتضاعفت مكانتهم، بالإيمان والتقوى أولا، ثم بشرف القرابة من خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام ثانيا. أما من أعرض من هؤلاء عن هدي الإسلام وشرعه فإن قرابته من رسول الله ﷺ لن تغني عنه من الله شيئا.

أهل البيت النبوي الشريف، أو آل محمد ﷺ، هم أزواجه، وبناته، وأحفاده من السيدة فاطمة الزهراء عليه السلام، وأعمامه، وبنو أعمامه، وذرياتهم.

زوجات النبي ﷺ من أهل بيته. وبناته من أهل بيته. وحمزة سيد

الشهداء وعم النبي ﷺ من أهل البيت. والعباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ من أهل البيت. وجعفر الطيار، جعفر بن أبي طالب سفير الإسلام الموفق المشهور إلى الحبشة وابن عم رسول الله ﷺ من أهل البيت. وعلي بن أبي طالب من أهل البيت. وعقيل بن أبي طالب من أهل البيت. وذرية هؤلاء جميعا موصولون بالنسب النبوي الشريف.

في الحديث النبوي الشريف تعريفات ترد لاحقا تؤكد هذا التعريف. أما في القرآن الكريم فإن أوضح إشارة إلى أهل بيت النبي ﷺ وردت في سورة الأحزاب. بعض من ينسب نفسه للتيار المحب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب المشايع له قديما وحديثا، يرى في هذه الآيات من سورة الأحزاب دليل عصمة لنفر من أهل البيت، عصمة من ارتكاب الذنوب والأخطاء، ويخرج زوجات النبي ﷺ من دائرة البيت. وهذا تأويل يصطدم مع المعنى الواضح للآيات، ومع أسباب نزولها.

قال سبحانه وتعالى في سياق جملة من الآيات يتوجه الخطاب القرآني الكريم فيها لنساء النبي ﷺ:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى

اللَّهِ يَسِيراً (٣٠) وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً ﴾. (الأحزاب: ٣٠-٣٤)

في هذه الآيات، يبين الله تعالى لنساء النبي خاصة، أن المقصد والغاية من إلزامهن بهذه الأحكام وحثهن على التقيد بهذه الآداب، ومن دعوتهن إلى طاعة الله ورسوله في سائر أمورهن، هو لإبعاد الخبث والسوء والأذى عنهن وقد نلن شرف الإنتساب لبيت النبوة، وليكن مثال الطهر والعفة والأخلاق الكريمة. وهذا كرم فياض من الخالق عز وجل، بين القرآن الكريم لنساء النبي شروط استحقاقه، في الأوامر والتوجيهات والنواهي الواضحة الجلية التي تضمنتها الآيات التي خاطبت نساء النبي مباشرة. وفي الآيات أيضا تحذير واضح من مغبة الإعراض عن هذه الوصايا والتوجيهات، وعرض إمكانية التطليق لأي زوجة من زوجات النبي تفضل الحياة الدنيا وزينتها على طاعة الله ورسوله، وبيان للعقوبة المغلظة في حال ارتكاب فاحشة مبينة.

ليس في هذه الآيات ما يبين منح عصمة مطلقة من ارتكاب الأخطاء

والذنوب لأهل بيت النبوة، على الرغم من الشرف الكبير العظيم الذي نالته كل زوجة من زوجات الرسول ﷺ. هذه الآيات تبين أن الإلتزام بالتوجيهات والوصايا المتضمنة فيها يقود إلى المراتب العلى وذهاب الرجس والتطهير. وتبين في نفس الوقت أن الإعراض عن هذه الوصايا والتوجيهات يقود إلى الخسارة والعقوبة. والشرط واضح جدا في قوله تعالى لنساء النبي: "لستن كأحد من النساء إن اتقيتن". فأنتن الأفضل والأعلى مقاما بين النساء بشرط التقوى. وهنا تذكير جديد بميزان التفاضل الحقيقي بين عباد الله كافة: ميزان التقوى.

كل من يقرأ العربية ويفهمها ويكتب بها، يدرك أن الخطاب القرآني الكريم يخاطب نساء النبي بهذه الآيات ويعدهن من أهل صميم أهل البيت. وليس ثمة ما يدعو للشك مطلقا في ذلك، فالخطاب واضح وصريح ومباشر، وهو يستمر في مخاطبة نساء النبي عليه الصلاة والسلام بعد بيان القصد من حثهن على التقيد بجملة من الأوامر والنواهي، وهو ذهاب الرجس عنهم وتطهيرهن من دنس المعاصي، ويأمرهن بذكر ما يتلى في بيوتهن من آيات الله.

إن كان ثمة سؤال يتبادر إلى الذهن حول هذا الفضل الذي خص الله تعالى به أهل بيت الرسول ﷺ، فإنه قد يصدر من عموم النساء المسلمات، وعموم المسلمين، عن مكانتهم جميعا عند الله عز وجل بعد بيان الفضل الخاص لأهل البيت. وهنا تأتي الآية الخامسة والثلاثون من سورة الأحزاب، تذكر المؤمنين في عصر النبي ﷺ وفي كل العصور بالأصل

الثابت في الإسلام، الذي تعرف به أقدار الرجال والنساء في كل زمان ومكان:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾. (الأحزاب: ٣٥).

معنى النداء القرآني هنا هو الآتي:

أيها التركستانية المؤمنة. أيها الصيني المؤمن. أيتها السينغالية المؤمنة. أيها الأندونيسي المؤمن. أيتها المصرية المؤمنة. أيها اليمني المؤمن. أيتها الأمريكية المؤمنة. أيها الماليزي المؤمن. أيتها الروسية المؤمنة. أيها الإيراني المؤمن. أيها العربية المؤمنة. أيها الأفريقي المؤمن. أيتها البيضاء المؤمنة. أيها الأسود المؤمن. أيها المؤمنات والمؤمنون، من كل لون وعرق وجنسية، في كل زمان ومكان: ليس ضروريا أن تكونوا من خاصة أهل بيت رسول الله ﷺ لتنالوا المغفرة من ربكم والأجر العظيم. إنما الميزان واضح أمامكم وضوح الشمس في رابعة النهار. أعيدوا قراءة الآية الخامسة والثلاثين من سورة الأحزاب لتعرفوا أن الله تعالى أعد بعدله وفضله وكرمه مغفرة وأجرا عظيما لكل مؤمن أو مؤمنة على وجه الأرض، وفي أي زمان،

يؤمن به ويطيعه ويتصدق ويصوم ويحفظ فرجه ويذكر الله كثيرا.

هنيئا لكل المؤمنين والمؤمنات بهذا الإعلان الإلهي الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الأمر واضح جدا ومؤثر ومقنع. لكن ولأسباب سياسية وتاريخية، يقول بعض الناس، وهم قلة في التعداد العام للمسلمين قديما وحديثا، نسبتهم تقرب أو تزيد قليلا عن العشرة بالمائة، أن عبارة أهل البيت هنا يجب ألا تشمل زوجات النبي ﷺ لأن ضمير المخاطب في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ جاء بصيغة "عنكم" وليس "عنكن".

جواب هذا الإلتباس أن العبارة القرآنية، أو الفضل الإلهي الكريم يشمل سيد البيت وأهله. أي أنه يشمل النبي ﷺ وأهل بيته. والقاعدة المشهورة والمعتمدة في اللغة العربية أن مخاطبة جمع من المذكر والمؤنث يكون بضمير المذكر.

ثم إن القرآن الكريم لم يذكر عبارة "أهل البيت" في هذا الموضع وحده، وإنما استخدمها في مواضع أخرى، بما يدل دلالة قاطعة لا شبهة فيها على أنها تعني بالضرورة عائلة الرجل وأزواجه. وهذه أمثلة تؤكد صواب هذا الرأي وقوة حجته، أولها خطاب مباشر من الملائكة لزوجة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام:

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ

منْهُمْ خيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إنَّا أُرْسِلْنَا إلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ومن وراء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا ويْلَتَى أَأَلِدُ وأَنَا عَجُوزٌ وهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ (هود: ٦٩-٧٣)

وهناك أمثلة أخرى كثيرة من القرآن الكريم تدل دلالة لا لبس فيها على أن النساء من صميم أهل بيت الرجل، علما بأن العبارة تتسع أيضا لأفراد عائلة الشخص، رجلا كان أو امرأة:

﴿واذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وكَانَ رَسُولاً نَّبِياً (٥٤) وكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ والزَّكَاةِ وكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِياً﴾. (مريم: ٥٤-٥٥)

﴿وهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩) إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾. (طه: ٩-١٠)

﴿وأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ واصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ والْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾. (طه: ١٣٢)

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً﴾. (القصص: ٣٩)

وفي بعض المواضع الأخرى من القرآن الكريم نسبة الأهل للمرأة

أيضا، فللرجل أهله، وللمرأة أهلها، كما في قوله تعالى:

﴿وشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ (٢٦) وَإن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وهُوَ مِنَ الصَّادِقِين﴾. (يوسف: ٢٦-٢٧)

وكما في سورة النساء أيضا:

﴿وإنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إن يُرِيدَا إصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً ﴾. (النساء: ٣٥)

وفي موضع آخر في القرآن الكريم بيان للمعنى العام لأهل الشخص، بمعنى أنهم قرابته جميعا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وأَهْلِيكُمْ نَاراً وقُودُهَا النَّاسُ والْحِجَارَةُ﴾. (التحريم: ٦)

هناك أمثلة أخرى كثيرة في القرآن الكريم تؤكد كلها المعنى اللغوي الشائع المتداول للأهل ولأهل البيت.

لماذا إذن، وبأي وجه حق، تكون زوجة النبي موسى عليه السلام داخلة في معنى أهله الذين خاطبهم وقال لهم ﴿امْكُثُوا إنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَس﴾، وتخرج نساء النبي محمد ﷺ جميعا من قوله تعالى" ﴿إنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾؟

ولماذا، وبأي وجه حق، تكون زوجة النبي ابراهيم الخليل عليه السلام معنية ومخاطبة بقوله تعالى: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾، وتخرج نساء النبي محمد ﷺ جميعا من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾؟

ولماذا، وبأي وجه حق، تكون زوجة النبي إسماعيل بن إبراهيم عليها السلام معنية ومشمولة بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾، وتخرج نساء النبي محمد ﷺ جميعا من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾؟

لا يقول بهذا الرأي الشاذ إلا من يستشعر عداوة مع زوجات النبي عليه الصلاة والسلام. ولكن، كيف تطيب نفس مؤمن بحمل العداوة والبغضاء في قلبه لنساء النبي ﷺ؟

يحمل هذه البغضاء قلة من المسلمين، ويتوارثونها، لموقف سياسي اتخذوه حول مسألة من يتولى السلطة السياسية في الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول ﷺ. فالذين غضبوا لأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يتول الحكم مباشرة بعد وفاة النبي ﷺ، وجدوا في أنفسهم موجدة عظيمة على الخلفاء الراشدين الثلاثة الذين تولوا الخلافة قبله. ومن جراء هذا الغضب نشأ غضب آخر على السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن أبيها خليفة رسول الله ﷺ، وعلى



السيدة حفصة بنت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

وكان من نتائج هذا الغضب أن تعمد هؤلاء المسلمون وقادتهم من أهل العلم والسياسة إخراج زوجات النبي ﷺ من سياق المخاطبين بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. فعلوا ذلك ولو قيل لواحد منهم إن زوجته ليست من أهل بيته لربما تورط في جريمة قتل من باب التنفيس عن غضبه ورغبته في تأديب من يتعرض لأهل بيته بسوء!!

الأهواء السياسية متقلبة، وكثيرا ما يجانبها الحق والمنطق. والناس يثورون ويضحون لمبادئ سياسية كثيرة ومتضاربة. حدث هذا في كل مراحل التاريخ البشري. وأولى بالنص القرآني ألا يفسر في ضوء آثار الصراعات السياسية على الحكم، لأن السياسة تفرق بين المرء وأخيه، وبين الوالد وولده. ومن الظلم لدين عظيم جاء رحمة للعالمين، أن يؤتى ويظلم من باب الخلاف حول الحكم والسلطة في عصر من العصور.

الدليل من أسباب نزول آيات سورة الأحزاب:

من بقي عنده شك في المعاني الواضحة لهذه الآيات من سورة الأحزاب وأنها تخاطب نساء النبي ﷺ وتكفل لهن المقام الرفيع المقدم بين النساء إن التزمن بشرط التقوى، فليس عليه إلا أن يراجع أسباب نزول هذه الآيات.

كانت حياة النبي ﷺ في بيته حياة الفقراء. لم يجعل من فضل النبوة عليه ومقام الزعامة الذي تولاه في مدينته المنورة سببا للتكبر على الناس والإنفاق على نفسه وأهله ببذخ. كان خياره أن يعيش حياة الفقراء والمساكين، وألا يغتر أبدا بمغريات السلطة والجاه، فقدم بذلك القدوة الأحسن والأفضل للناس كافة إلى يوم القيامة.

وكان نساء النبي ﷺ في مقام رفيع بين نساء العرب، شرفا وأخلاقا كريمة. لكنهن كن بشرا من البشر. وقد رأين كيف تحسنت الأوضاع الإقتصادية في دولة المدينة المنورة، فطلبن من رسول الله ﷺ مراجعة سياسته في النفقة داخل بيت النبوة، وزيادة الإنفاق عليهن، بإلحاح لم يرض النبي ﷺ، فغضب منهن، وأسف لمواقفهن حتى أنه احتجب عن أصحابه أياما. ثم نزل الوحي على النبي ﷺ بتلك الآيات البينة الواضحة، يخير نساءه بين الحياة الدنيا وزينتها من جهة، وبين الله ورسوله والدار الآخرة من جهة أخرى.

وقد روى البخاري في صحيحه أن عائشة رضي الله عنها زوجة النبي ﷺ أخبرت أبا سلمة بن عبد الرحمن أن رسول الله ﷺ "جاءها حين أمر الله أن يخير أزواجه. فبدأ بي رسول الله ﷺ فقال: إني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن تستعجلي حتى تستأمري أبويك، وقد علم أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه. ثم قال: إن الله قد قال يا أيها النبي قل لأزواجك إلى تمام الآيتين. فقلت : ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، ﴿وإن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ ورَسُولَهُ والدَّارَ الآخِرَةَ فَإنَّ اللَّهَ

أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾. وقال قتادة: ﴿واذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ والْحِكْمَةِ﴾: القرآن والسنة". وأضافت السيدة عائشة رضي الله عنها: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت". (١)

هذه القصة الإنسانية الجميلة من بيت النبوة تتجه كلها بروحها وبتفاصيلها عكس اتجاه العصمة الذي نحا إليه قلة من المسلمين من دون دليل، وعكس اتجاه استثناء زوجات النبي ﷺ من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ والآيات كلها نزلت إليهن بالخطاب وبالتخيير.

هي معاكسة لاتجاه العصمة لأنها تظهر أن النبي ﷺ وزوجاته الفاضلات الطاهرات لم يكونوا من جنس الملائكة وإنما من البشر. القرآن الكريم يذكر المسلمين والناس أجمعين أن خاتم النبيين بشر رسول. وعندما توهم الكافرون أن نبوة محمد ﷺ تقتضي منه التصرف كملك قادر على تفجير الينابيع من الأرض وإسقاط السماء أو الإتيان بالله سبحانه وتعالى علوا كبيرا والملائكة قبيلا، سخر منهم القرآن الكريم، وبين لهم أن الله تعالى كان سيرسل رسولا من الملائكة لو كان سكان الأرض من الملائكة. هذه هي الآيات التي تسخر من أوهام الكافرين وتؤكد بشرية الرسول محمد ﷺ: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً

---

(١) ـ صحيح البخاري. طبعة دار إحياء الكتاب العربي. بدون اسم المطبعة وبدون تاريخ. الجزء الثالث. ص ١٧٥

(٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً (٩٣) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَراً رَّسُولاً (٩٤) قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً (٩٥) قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾. (الإسراء: ٩٠-٩٦)

وقال تعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾. (فصلت: ٦)

النبي ﷺ بشر رسول. اصطفاه الله لأداء أعظم رسالة وأعظم أمانة في التاريخ، واختاره بشرا رسولا، وليس ملكا رسولا. النبي الكريم القدوة الذي كان خلقه القرآن لم يرتح لإلحاح زوجاته بشأن زيادة النفقة وغضب منهن واحتجب أياما عن أصحابه. إن هذا دليل لعامة البشر أن استقرار الأسرة والإنسجام بين أفرادها من الأمور العظيمة المهمة للغاية. ها نحن نراها تؤثر على خير خلق الله وتحجبه عن أصحابه أياما، بعد أن لمس النبي ﷺ في إلحاح زوجاته قصورا عن المثال الذي أراده لهن حبا ووفاء. إنه يريد لهن أن يجارينه وينافسنه في تقديم المثال والقدوة الصالحة والعيش مثلما يعيش فقراء الأمة. القائد الذي يعيش مع أهله في أجواء ألف ليلة وليلة داخل القصور المحروسة المسورة يكون بعيدا عن نبض الأمة. والأمر

أعظم بالنسبة للنبي ﷺ لأنه قائد مختلف عن سائر القادة الآخرين ولأنه نبي الله المصطفى من عموم الخلق لتبليغ رسالة الإسلام للعالمين.

وفي صحيح البخاري أحاديث تؤكد زهد النبي ﷺ عن زينة الحياة الدنيا ومباهج الطعام وعيشه عيشة الفقراء.

قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: "ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعا حتى قبض". (١) وبالمناسبة، فإن عبارة (آل محمد ﷺ) تستخدم هنا للدلالة على زوجاته بوجه أساسي. وقال قتادة: "كنا نأتي أنس بن مالك وخبازه قائم وقال: كلوا، فما أعلم النبي ﷺ رأى رغيفا مرقعا حتى لحق بالله ولا رأى شاة سميطا بعينه قط". (٢) وتروي السيدة عائشة رضي الله عنها أيضا أنه: "كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا وإنما هو التمر والماء إلا أن نؤتى باللحيم". (٣) وروت السيدة عائشة رضي الله عنها أيضا: "ما أكل آل محمد ﷺ أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر". (٤)

أما زوجات النبي، مثال الشرف والدين والأخلاق العالية الرفيعة، فقد تصرفن كبشر و لم يدعين العصمة يوما و لم يطلبنها. أردن حياة أفضل من

---

(١) ـ المصدر السابق. الجزء الرابع. ص ١٢٣
(٢) ـ المصدر السابق.
(٣) ـ المصدر السابق.
(٤) ـ المصدر السابق.

الناحية المادية، كما يدور بخاطر أي امرأة وأي إنسان بوجه عام. وقد كن زوجات خاتم النبيين وزعيم دولة المدينة المنورة، الدولة الإسلامية الأولى في التاريخ. ولعلهن نسقن بعضهن مع بعض لطرح الأمر على زوجهن، مع نبرة إلحاح وتصميم، فكان رد فعل النبي ﷺ رد المستاء المتألم من هذا الموقف. ثم نزل الوحي من فوق سبع سماوات يخير زوجات النبي ﷺ بين أن يكن مثل سائر النساء العاديات، مشغولات بالحياة الدنيا وزينتها، وبين أن يكن القدوة الحسنة والمثال الرائع للنساء، بل وفوق سائر النساء، إذا التزمن بالتوجيهات والأوامر والوصايا التي تضمنتها تلك الآيات من سورة الأحزاب.

وكان الجواب كريما جميلا من نفوس كريمة جميلة. قالت السيدة عائشة رضي الله عنها لزوجها الكريم: في أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. وقالت الزوجات الأخريات مثلما قالت السيدة عائشة رضي الله عنهن جميعا، وانتصرت فيهن جميعا النزعة التي خلقها الله في الإنسان، نزعة السمو والقابلية للترفع عن صغائر الأمور من أجل نيل المعالي. نزعة صورها أبو الطيب المتنبي في بيت من الشعر:

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

وما هي ثمرة السمو والترفع عن صغائر الأمور؟ ما ثمرة التقوى، والعمل الصالح، وعدم الخضوع بالقول لأحد حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض، وترك التبرج، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله؟

ما ثمرة هذا السلوك وإلى ماذا يؤدي؟ إنه يقود إلى نقاء البيت النبوي الكريم من الرجس. من كل لون من الخبث والسوء والأذى. ويقود إلى الطهارة بمعناها الجميل الشفاف، فيكون البيت النبوي مثال الطهر والعفة والأخلاق الكريمة، فضلا من الله ووعدا وكرامة منه سبحانه.

إنه خطاب مباشر من الله تعالى لنساء من البشر غير معصومات، يوضح لهن الطريق إلى نيل مرضاته. نساء غير معصومات، ولكنهن نلن شرفا لن تنله غيرهن من النساء على وجه الأرض، شرف الإرتباط الزوجي بخاتم النبيين محمد بن عبد الله ﷺ. ومن هتا جاءهن الوعد المشروط بالتقوى: "يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن".

وإن في قصتهن هذه لعبرة لنا جميعا نحن البشر غير المعصومين. الحلال بين والحرام بين. والطريق إلى مغفرة الله وأجره العظيم واضحة المعالم، كالشمس في رابعة النهار، مبينة في الآية التي تلت الآيات الموجهة لنساء النبي بوجه خاص، وجاء الخطاب فيها موجها لجميع الرجال والنساء، في كل زمان ومكان:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾. (الأحزاب: ٣٥).

آية المباهلة

بطبيعة الحال، يحاول الذين يخرجون زوجات النبي من سياق الخطاب في قوله تعالى:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ أن يجدوا أدلة أخرى تقوي حجتهم، وتوفر الغطاء الأخلاقي لآرائهم. لذلك يتحدثون بإلحاح عن تفسير آية كريمة أخرى من سورة آل عمران هذا نصها مع الآية التي قبلها:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

(آل عمران: ٦٠-٦١)

جاء في صحيح مسلم، الحديث ٢٤٢٤، أنه لما نزلت هذه الآية "دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال:اللهم هؤلاء أهلي". وليس ثمة شك أن هؤلاء الأربعة من أحب خلق الله إلى رسول الله ﷺ وخاصة خاصته. لكن هل في هذا الحديث ما يخرج بقية أهل رسول الله ﷺ من أهله؟ هل في الحديث ما يفيد إخراج زوجاته من دائرة أهله؟ هل في الحديث ما يفيد إخراج جعفر الطيار، الذي "قدم على رسول الله

ﷺ يوم فتح خيبر، فقبل رسول الله ﷺ بين عينيه والتزمه وقال: ما أدري بأيهما أنا أسر، أبفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟ (١)

وهل فيه ما يخرج نجل هذا الرجل السعيد، عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من دائرة أهل بيت النبي ﷺ، وقد روى أنه: "كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقي بصبيان أهل بيته، وأنه قدم من سفر فسُبِق بي إليه، فحملني بين يديه، ثم جيء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه، فأدخلنا المدينة ثلاثة على دابة". (٢) ولينظر الباحث إلى عبارة "صبيان أهل بيته" فإنها دالة على ما تعارف عليه الناس جميعا من معاني ومقتضيات عبارة أهل البيت.

إن طبيعة الأحاديث الواردة في فضائل أهل بيت رسول الله ﷺ والكثير من أصحابه أنها تتكامل ولا يلغي بعضها بعضا. فتكريم علي وفاطمة وابنيهما رضي الله عنهم جميعا لا ينقص من قيمة أفراد بيت النبوة الآخرين. ويعمل بالقاعدة نفسها عندما نقرأ الأحاديث الدالة على فضل زوجات النبي ﷺ.

وقد روى عبد الله بن جعفر بعد أن اشتد عوده وتقدم به العمر أنه سمع علي بن أبي طالب بالكوفة يقول في إشارة إلى ما بين السماء والأرض "سمعت رسول الله ﷺ يقول: خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد". (٣)

(١) ـ عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية. الجزء الثالث. بيروت: دار الجيل، بدون تاريخ. ص ٢٣٢

(٢) ـ صحيح مسلم. الجزء الرابع عشر. القاهرة: المطبعة المصرية ومكتبتها، بدون تاريخ. ص ١٩٧

(٣) ـ المصدر السابق. ص ١٩٨

فمثل هذا الحديث لا ينقص من مكانة السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها. وثمة أحاديث نبوية أخرى في فضل أناس آخرين من أهل بيت النبي ﷺ سترد لاحقا، عن أمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ، وعن العباس عم النبي ﷺ، وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. وللعلم، فإن هؤلاء جميعا ما كانوا لينالوا مدح النبي ﷺ وثناءه لولا إيمانهم بما دعا إليه وسبقهم في طاعة الله ونصرة دينه.

أقرب شيء بعد هذا كله في القرآن الكريم إلى معاني أهل البيت هو ما جاء في قوله تعالى:

﴿فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (٢١٣) وأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ (٢١٤) واخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. (الشعراء ٢١٣-٢١٥)

جاء في صحيح مسلم: "لما أنزلت هذه الآية ﴿وأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشا فاجتمعوا، وخص فقال: يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار. يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئا، غير أن لكم رحما سأبلها ببلائها".[1]

وفي رواية أخرى في صحيح مسلم: قال رسول الله ﷺ حين أنزل

(١) ـ المصدر السابق. الجزء الثالث. ص ٩٧-٨٠

عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾: يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئا. يا بني عبد المطلب: لا أغني عنكم من الله شيئا. يا صفية عمة رسول الله ﷺ: لا أغني عنك من الله شيئا. يا فاطمة بنت رسول الله سليني بما شئت لا أغني عنك من الله شيئا". (١)

وهناك رواية ثالثة أخرى مهمة أوردها مسلم ورواها سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وفيها أنه لما نزلت هذه الآية "خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه. فقالوا : من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد. فاجتمعوا إليه. فقال: يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب، فاجتمعوا إليه. فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبا لك! أما جمعتنا إلا لهذا، ثم قام. فنزلت هذه السورة: تبت يدا أبي لهب وتب" (٢)

في تفسير هذه الآية من الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ يتبين لكل عامل باحث عن الحقيقة الموقع الصحيح للقرابة من النبي ﷺ في التصور الإسلامي. كل مطالب بأن يشتري نفسه من النار، أي بأن يؤمن بالله ورسوله وملائكته وكتبه ورسله ويستعد لليوم الآخر، يوم الفرز بين أهل الجنة وأهل النار، وأن يؤدي الفرائض ويجتنب المحرمات، ويتقرب إلى

(١) ـ المصدر السابق. ص ٨١
(٢) ـ المصدر السابق. ص ٨٢-٨٣

الله بالطاعات، ويتصدق ويحسن إلى الناس ويعاملهم بمكارم الأخلاق. وقد قالها الرسول ﷺ صريحة لأقرب الناس إليه، بمن في ذلك عمته صفية وابنته وقرة عينه فاطمة رضي الله عنهما: لا أغني عنكما من الله شيئا.

أليس مثيرا للإنتباه أيضا أن الذي رد بإنكار وجفاء على النبي ﷺ هو عمه أبو لهب؟ فهل أغنت عنه قرابته من رسول الله ﷺ شيئا؟ أو لم يخلد اسمه في التاريخ، محفوظا في كتاب الله، كرمز للعصاة الضالين؟

وبقي الآن موضع آخر في سورة الشورى فيه إشارة بوجه من الوجوه لأهل قرابة رسول الله ﷺ:

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢) ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾. (الشورى ٢٢-٢٣)

الفرق بين ما ينتظر الظالمين من شقاء مؤكد، وما ينتظر المؤمنين الذين عملوا الصالحات من نعيم مؤكد، فرق كبير جدا وعظيم. والنبي ﷺ مكلف ببيان هذا الفرق للناس أجمعين. ولكنه يبدأ دعوته بين أهله في مكة لحكمة أرادها الله عز وجل. إنه يؤدي دوره الذي كلف به لا يريد من أحد جزاء ولا شكورا، فإن أراد قومه أن يردوا له جميلا، بمبادرة من عندهم، فإنه عندئذ لا يطلب إلا المودة في القربى. أي أن يستحضروا أن له صلة ونسبا بقبائل قريش كلها وبطونها تقريبا، وهذه في أعراف

العرب توجب قدرا من الإحترام والمودة وحسن المعاملة، ولا تنسجم مع ما لقيه الرسول ﷺ وأصحابه من أذى وعنت وسوء معاملة من قريش وزعمائها.

هناك من فسر الآية بأنها تعني مودة قرابة النبي ﷺ. وهذا جائز. لكن التفسير الأرجح هو ما سبق ذكره، وهو ما مال إليه عبد الله بن عباس رضي الله عنه وعن أبيه، وهو ابن عم رسول الله ﷺ.

هكذا إذن يتبين أن القرآن الكريم لم يتحدث عن أهل بيت النبي ﷺ بشكل محدد ومباشر إلا مرة واحدة في سورة الأحزاب، وثلاث مرات أخر بشكل غير محدد وغير مباشر. وقد تبين السياق الذي وردت فيه هذه الآيات والمعاني التي أحالت إليها، وكلها منسجمة مع أسس الإسلام عقيدة وشريعة في موضوع الأنساب والتفاضل بين الناس.

قول الإسلام في هذا الأمر حاسم وقاطع: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. وصدق الله ورسوله.

الفصل الثالث

أهل بيت رسول الله ﷺ في السنة النبوية

أهل بيت رسول الله ﷺ في السنة النبوية

تدل الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة والآثار المعتبرة أن أهل البيت النبوي الشريف، أو آل محمد ﷺ الأقربين باعتبار القرابة العائلية، هم أزواجه وذريته رضي الله عنهم وأرضاهم، وآل عمه العباس رضي الله عنهم وأرضاهم، وآل أبناء عمه أبي طالب: علي، وعقيل، وجعفر رضي الله عنهم جميعا وأرضاهم. ومن أعلام أهل البيت الذين ماتوا في حياة رسول الله ﷺ أعظم زوجاته شأنا، السيدة النبيلة الكريمة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأرضاها، وعمه الفارس الشجاع سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وأرضاه.

وتدلنا الأحاديث والآثار المعتبرة أن آل محمد ﷺ بالمعنى الروحي والفكري هم كل تقي، وكل صالح من المؤمنين برسالة الإسلام.

هذا مدخل مباشر، وهذه الآن أدلته من أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام ومن الآثار المعتبرة.

حديث العترة

أورد الإمام مسلم في صحيحه هذه الرواية:

حدثني زهير بن حرب وشجاع بن مخلد جميعا عن ابن علية. قال زهير: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثني أبو حيان، حدثني يزيد بن

حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم. فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا، رأيت (بفتح التاء) رسول الله ﷺ، وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه. لقد لقيت بازيد خيرا كثيرا. حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال: يا ابن أخي، والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفونيه. ثم قال: قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: "أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب. وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به". فحث على كتاب الله ورغب فيه. ثم قال: "وأهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي". فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرِم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس. قال: كل هؤلاء حرم الصدقة بعده؟ قال: نعم. (وفي رواية أخرى ورد ما يلي: فقلنا: من أهل بيته، نساؤه؟ قال: لا وايم الله. إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها. أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده) (١)

---

(١) ـ صحيح مسلم. مصدر سابق. الجزء الخامس عشر. ص ١٧٩-١٨١

صافي القول المنسوب هنا لرسول الله ﷺ، هو: "ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب. وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي". أما الباقي كله من الرواية فشرح من زيد بن أرقم رضي الله عنه وأجوبة منه على أسئلة حصين بن سبرة.

الصلاة الإبراهيمية

روى الإمام مسلم قال:

حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار واللفظ لابن المثنى، قالا حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن الحكم، قال: سمعت ابن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية؟ خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا: قد عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: "قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد"[١].

(١) ـ المصدر السابق. الجزء الرابع. ٦ ١٢٥-١٢٦

وفي صحيح مسلم أيضا عن مالك بن أنس، عن عبد الله بن أبي بكر، عن أبيه عن عمرو بن سليم، قال: أخبرني أبو حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ قال: "قولوا: اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد". (١)

اصطفاء النبي ﷺ من بني هاشم وقريش

روى الإمام مسلم في صحيحه عن الأوزاعي عن أبي عمار شداد أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول: "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم". (٢)

حديث الكساء

وفي علاقة بما نزل من الوحي في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ

---

(١) ـ المصدر السابق. ص ١٢٧
(٢) ـ المصدر السابق. الجزء الخامس عشر. ص ٣٦

الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾. (آل عمران: ٦٠-٦١) جاء في صحيح مسلم، الحديث ٢٤٢٤، أنه لما نزلت هذه الآية "دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا: فقال اللهم هؤلاء أهلي".

النبي ﷺ ولي للصالح من المؤمنين

وروى الإمام مسلم في صحيحه أيضا هذا الحديث:

حدثني أحمد بن حنبل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس عن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ جهارا غير سر يقول: ألا إن آل أبي، يعني فلانا، ليسوا لي بأولياء. إنما وليي الله وصالح المؤمنين". [1] وسبب الكناية بفلان رغبة من الراوي في عدم تسمية الشخص المعني صراحة لتجنب الحرج والتركيز على المعنى العام، (قيل في بعض المصادر أن المكنى عنه هنا هو الحكم بن أبي العاص)، هذا المعنى العام أو الرئيس هو تأكيد النبي ﷺ أن وليه الله سبحانه وتعالى والصالح من المؤمنين حتى لو كان نسبه بعيدا عن نسب المصطفى عليه الصلاة والسلام. أما ذو النسب القريب من النبي ﷺ فليس وليا لرسول الله ﷺ إذا لم يكن من الصالحين.

(١) ـ المصدر السابق. الجزء الثالث. ص ٨٧

أحاديث أخرى ذات صلة

وورد في كتب الحديث أن الناس علقوا على تزامن كسوف الشمس مع وفاة ابراهيم ابن النبي ﷺ. فقال النبي عليه الصلاة والسلام: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته". (متفق عليه)

❁ ❁ ❁

وعندما سرقت امرأة من بني مخزوم، وهم قوم أهل شرف ومكانة في الجاهلية، جاء من يتشفع لها عند رسول الله ﷺ، فكان جوابه: "لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها". (رواه البخاري)

❁ ❁ ❁

وأخرج الطبراني عن أنس أن النبي ﷺ قال: "آل محمد كل تقي".

❁ ❁ ❁

وأخرج الطبراني أيضا والحاكم عن عمرو بن عوف أن النبي ﷺ قال: "سلمان منا أهل البيت".

❁ ❁ ❁

من المهم أن ينظر المسلم في هذه الأحاديث النبوية مجتمعة، ليتجلى له

بوضوح كامل المقام الرفيع لآل محمد ﷺ في سياق ما جاءت به الشريعة من تأكيد قاطع للمساواة بين المؤمنين، ولاعتبار التقوى ميزان التفاضل بين الناس.

الحديث القائل: "إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم" خاص ببيان كرامة رسول الله ﷺ، وليس في هذا شك ولا ريب، فقد نال عليه الصلاة والسلام شرفا لم ينله أحد من البشر غيره، منذ خلق الله أبانا آدم وإلى أن يرث سبحانه الأرض ومن عليها. وفي الحديث بيان لما نال بني هاشم وقريشا وكنانة من الفضل بخروج خاتم الأنبياء من بينهم، ولكن هذا الفضل لا يعطيهم أي امتياز خاص على بقية الناس في الأحكام الشرعية والمعاملة القانونية، بدليل قوله ﷺ للذين جاؤوا يتشفعون للمرأة المخزومية: "لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"، وبدليل رده أيضا على الذين زعموا أن الشمس كسفت حزنا لوفاة ابن النبي ﷺ، إذ قال لهم: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته".

من هم آل محمد ﷺ؟

في ضوء الأحاديث النبوية الشريفة التي تم إيرادها بين يدي هذا الفصل، وفي ضوء ما ذكر فيما سبق من هذا الكتاب، يتبين بشكل واضح أن هناك معنين رئيسين لآل محمد ﷺ.

أما الأول فمرتبط بالقرابة العائلية لرسول الله ﷺ. وهنا يأخذ المسلم بالاسلم والأحوط والأقرب لمقتضيات العقل والمنطق وما تعارف عليه الناس. ففي إحدى صيغ الصلوات الإبراهيمية المروية في صحيح مسلم يقرأ الباحث قول النبي ﷺ في معرض تعليم أصحابه: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد".

آل محمد ﷺ بمقتضى هذا الحديث هم أزواجه وذريته. وأزواج النبي ﷺ لهن مقام عظيم. خاطبهن المولى عز وجل خطابا مباشرا يبين فضلهن على سائر النساء فقال: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾. (الأحزاب: ٣٢). وهن أيضا أمهات لسائر المؤمنين بأمر القرآن الكريم: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾. (الأحزاب: ٦)

وهناك أيضا رأي زيد بن أرقم في حديث الثقلين، عندما سأله جلساؤه: أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل

بيته من حرم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس.

من المهم جدا أن يلاحظ المرء هنا أن زيدا يقول برأيه ولا يروي تعريف آل البيت عن رسول الله ﷺ مباشرة. كما أن قوله "أهل بيته من حرم الصدقة بعده" فيه إشارة إلى توجيه النبي ﷺ بأن الزكاة والصدقات لا تحل لمحمد ولا لآل محمد، وهو توجيه ثابت عن النبي ﷺ ومتفق عليه بين عموم المسلمين.

إذا اعتمد المسلم رأي زيد بن أرقم، ونظر إليه مع الحديث النبوي السابق الذي يبين نص الصلاة الإبراهيمية فإنه يصل إلى أن آل محمد ﷺ هم أزواجه وذريته رضي الله عنهم وأرضاهم، وآل عمه العباس رضي الله عنهم وأرضاهم، وآل أبناء عمه أبي طالب: علي، وعقيل، وجعفر رضي الله عنهم جميعا وأرضاهم. ومن أعلام أهل البيت الذين ماتوا في حياة رسول الله ﷺ أعظم زوجاته شأنا، السيدة النبيلة الكريمة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأرضاها، وعمه الفارس الشجاع سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وأرضاه.

هذا هو المعنى المرتبط بالقرابة مباشرة. وهو ينطبق أيضا على أي شخص آخر. فلو سألنا اليوم عن آل فلان من الناس، سواء كان فلان هذا حاكما، أو رجل أعمال مشهور، أو مفتيا أزهريا، أو كاتبا ومفكرا مرموقا، أو مواطنا عاديا من عامة الناس، لكان الجواب الطبيعي واضحا: إنهم زوجته وأبناؤه وأقاربه.

ميزة آل محمد طبعا أن قرابتهم ليس لشخص من عامة الناس وإنما لخير خلق الله كلهم، عليه الصلاة والسلام. فحبهم من حبه. وتبجيلهم من تبجيله. وتوقيرهم من توقيره. فما من مسلم على وجه الأرض، قديما أو حديثا، إلا كان حب آل البيت مزروعا في قلبه. وما من مصل يركع لله تعالى ويسجد في الصلوات المفروضة وفي النوافل إلا ضمَّن التشهد الختامي لصلاته صلاة زكية على محمد ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما الرأي الثاني لزيد بن أرقم الذي أخرج فيه أزواج رسول الله ﷺ من آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام، فمرجوح أو مردود لهذه الأسباب:

- لأنه مختلف مع ما نسب إليه في الصيغة الأولى للرواية.

- لأنه مخالف للمعاني التي استخدم بها مصطلح أهل البيت في مواضع كثيرة في القرآن الكريم بقصد الحديث عن زوجة سيدنا إبراهيم أو زوجة سيدنا موسى عليهما السلام.

- لأنه متضارب مع ما جاء في إحدى صيغ الصلوات الإبراهيمة التي ذكرت الأزواج والذرية.

- لأنه متناقض أيضا مع القرائن الأخرى التي عرضت في سياق هذا الكتاب والتعريفات المنطقية المتعارف عليها بين عامة الناس لمصطلح أهل البيت.

حديث الكساء

سبقت الإشارة إلى هذا الحديث في الفصل السابق، ولا بأس في تكرار ما ذكر آنفا بهذا الخصوص، لأن بعض الناس يستند إلى هذا الحديث إلى تضييق الواسع، وإخراج الكثير من قرابة رسول الله ﷺ من دائرة آله وأهل بيته.

يرتبط هذا الحديث النبوي الشريف بتفسير آية كريمة أخرى من سورة آل عمران هذا نصها مع الآية التي قبلها:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

(آل عمران: ٦٠-٦١)

جاء في صحيح مسلم، الحديث ٢٤٢٤، أنه لما نزلت هذه الآية "دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا: فقال: اللهم هؤلاء أهلي". في هذا الحديث تأكيد واضح على السيدة فاطمة وعليا أمير المؤمنين وريحانتي رسول الله ﷺ الحسن والحسين من صميم آل رسول الله ﷺ. وليس ثمة شك أن هؤلاء الأربعة من أحب خلق الله إلى رسول الله ﷺ

وخاصة خاصته. لكن هل في هذا الحديث ما يخرج بقية أهل رسول الله ﷺ من أهله؟ هل في الحديث ما يفيد إخراج زوجاته من دائرة أهله؟ هل في الحديث ما يفيد إخراج جعفر الطيار، الذي قدم على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر، فقبّل رسول الله ﷺ بين عينيه والتزمه وقال: ما أدري بأيهما أنا أسر، أبفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟ [١]

وهل فيه ما يخرج نجل هذا الرجل السعيد، عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من دائرة أهل بيت النبي ﷺ، وقد روى أنه: "كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقي بصبيان أهل بيته، وأنه قدم من سفر فسبق بي إليه، فحملني بين يديه، ثم جيء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه، فأدخلنا المدينة ثلاثة على دابة". [٢] ولينظر الباحث إلى عبارة "صبيان أهل بيته" فإنها دالة على ما تعارف عليه الناس جميعا من معاني ومقتضيات عبارة أهل البيت.

إن طبيعة الأحاديث الواردة في فضائل أهل بيت رسول الله ﷺ والكثير من أصحابه أنها تتكامل ولا يلغي بعضها بعضا. فتكريم علي وفاطمة وابنيهما رضي الله عنهم جميعا لا ينقص من قيمة أفراد بيت النبوة الآخرين. ويعمل بالقاعدة نفسها عندما نقرأ الأحاديث الدالة على فضل زوجات النبي ﷺ.

وقد روى عبد الله بن جعفر بعد أن اشتد عوده وتقدم به العمر أنه

(١) ـ عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية. الجزء الثالث. ص ٢٣٢
(٢) ـ صحيح مسلم. الجزء الرابع عشر. ص ١٩٧

سمع علي بن أبي طالب بالكوفة يقول في إشارة إلى ما بين السماء والأرض "سمعت رسول الله ﷺ يقول خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد". (١)

فمثل هذا الحديث لا ينقص من مكانة السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها. وثمة أحاديث نبوية أخرى في فضل أناس آخرين من أهل بيت النبي ﷺ سترد لاحقا، عن أمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ، وعن العباس عم النبي ﷺ، وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. وللعلم، فإن هؤلاء جميعا ما كانوا لينالوا مدح النبي ﷺ وثناءه لولا إيمانهم بما دعا إليه وسبقهم في طاعة الله ونصرة دينه.

توضيح آخر مهم من الحديث النبوي الشريف:

إذا استمر شخص في إنكار دخول زوجات النبي ﷺ في عداد آل محمد وأهل بيته عليه الصلاة والسلام، بعد كل الأدلة التي تم عرضها من كتاب الله وأقوال النبي ﷺ، فإن في صحيح البخاري دليلا إضافيا ينزع الشك من قلب كل باحث عن الحقيقة بنية صافية وقلب خال من الكره والحقد.

معروف طبعا أن النبي ﷺ أوذي في عرضه فيما عرف بحادثة الإفك، قبيل حملة الحديبية وصلحها المشهور، وتعرضت زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى حملة من الإشاعات الظالمة الكاذبة التي فندها القرآن الكريم وأدانها من فوق سبع سماوات وحذر المسلمين من العودة لها تحت أي ظرف من الظروف. في تلك الفترة الصعبة خطب

---

(١) ـ المصدر السابق. ص ١٩٨

النبي من فوق منبره الشريف في أصحابه قائلا:

"يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيرا. ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما يدخل على أهلي إلا معي". (١)

من يحصي كلمة أهلي في هذا المقطع من حديث النبي ﷺ يجدها وردت ثلاث مرات، وكلها بمعنى واحد: بمعنى زوجته السيدة عائشة رضي الله عنها.

فهل بقي وجه حق لأحد على وجه الأرض ليعاند في أمر هذا التعريف المنطقي والطبيعي والموثق لآل بيت رسول الله ﷺ، ولينكر دخول زوجات النبي عليه الصلاة والسلام في عداد أهل بيته، وهو عليه الصلاة والسلام يحاجج الناس في المسجد دفاعا عن أهله، يقصد دون ريب ولا شك زوجته الكريمة الفاضلة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها؟

الخلاصة إذن ومرة أخرى هي أن الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة والآثار المعتبرة تدل على أن أهل البيت النبوي الشريف، أو آل محمد ﷺ الأقربين باعتبار القرابة العائلية، هم أزواجه وذريته رضي الله عنهم، وآل عمه العباس رضي الله عنه، وآل أبناء عمه أبي طالب: علي، وعقيل، وجعفر رضي الله عنهم جميعاً.

---

(١) ـ صحيح البخاري، الجزء الثالث. ص ٣٩



آل محمد من جهة قرابة الإيمان

أما من جهة الرابطة الروحية والفكرية فإن آل محمد ﷺ هم كل تقي. يدخل فيهم سلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وبلال الحبشي، والمهاجرون والأنصار، والمؤمنون الصالحون إلى يوم القيامة. لا ينقص هذا من قيمة أهل بيت النبوة من جهة القرابة العائلية مثقال حبة من خردل.

فإن قال قائل: أما ترى أن المصلين كافة يختمون صلواتهم بالصلاة على محمد وآل محمد ﷺ؟ كان الجواب: أنعم بآل محمد الكرام البررة، وصلى والله وسلم عليهم ملء السماوات والأرض إلى يوم الدين.

ثم ليتذكر الباحث عن الحقيقة في كل عصر أن في التشهد الختامي من كل صلاة، وفي التشهد الأوسط في صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء، سلام آخر أسبق نصه: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. هذا ما سنه محمد ﷺ للمصلين يعملون به إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، يصل فيها بين السلام عليه ﷺ، والسلام على المصلي نفسه، وعلى عباد الله الصالحين كافة. كلهم صف واحد. السابقون منهم الذين صاحبوا النبي ﷺ نالوا شرف المعية المشار إليها في وسورة الفتح: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾.

أما الذين جاؤوا من بعدهم فإنهم يعملون بما وجه إليه القرآن الكريم:

﴿والَّذينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ولإخْوَانِنَا الَذينَ سَبَقُونَا بِالإيمَانِ ولا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذينَ آمَنُوا رَبَّنَا إنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. (الحشر: ١٠)

الفصل الرابع

فضائل أعلام أهل البيت الذين توفوا أو استشهدوا في حياة النبي ﷺ



فضائل أعلام أهل البيت الذين توفوا أو استشهدوا في حياة النبي ﷺ

سبق البيان في الفصل السابق أن أهل البيت النبوي الشريف، أو آل محمد ﷺ من جهة القرابة العائلية، هم أزواجه وذريته رضي الله عنهم وأرضاهم، وآل عمه العباس رضي الله عنهم وأرضاهم، وآل أبناء عمه أبي طالب: علي، وعقيل، وجعفر رضي الله عنهم جميعا وأرضاهم. ومن أعلام أهل البيت الذين ماتوا في حياة رسول الله ﷺ أعظم زوجاته شأنا، السيدة النبيلة الكريمة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأرضاها، وعمه الفارس الشجاع سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وأرضاه.

ولهؤلاء جميعا فضائل كبيرة وكثيرة وثقتها المصادر المعتمدة في التاريخ الإسلامي. وفيما يلي عرض مختصر لبعض هذه الفضائل وليس كلها، وستكون البداية ببعض أعلام البيت الذين ماتوا أو استشهدوا في حياة رسول الله ﷺ.

فضائل السيدة خديجة رضي الله عنها

ليس ظلما لأي فرد في دائرة أقارب النبي ﷺ أن يبدأ الباحث بإيراد فضائل زوجته الكريمة النبيلة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأرضاها.

وقد سبق لكاتب هذه السطور أن خط بعض السطور في فضل السيدة خديجة في كتابه "محمد رسول الله ﷺ للقرية العالمية"، وهو يستأذن في الإستشهاد بها في هذا المقام.

اللقاء والزواج

بلغ الفتى اليتيم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب العشرين من العمر بل تجاوزها بنحو خمس سنين. كانت سمعته في مكة هي سمعة الشاب العفيف النبيل، والصادق الأمين. وقد جلبت له هذه السمعة اهتمام سيدة غنية من سيدات مكة، سيدة عريقة في النسب والشرف وذات اهتمام بالتجارة. قال أحد المؤرخين: "كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه. وكانت قريش قوما تجارا. فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها

من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت اليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها الى الشام تاجرا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة".

قبل الفتى اليتيم بالعرض، وحققت رحلته التجارية الى الشام نجاحا معتبرا. وعندما عاد الى مكة، قدم الحسابات الكاملة لصاحبة رأس المال، فسرها كثيرا ما تحقق من ربح، وأعطته حقه المتفق عليه. وبعد أن انصرف محمد بن عبد الله ﷺ لشأنه، أتيح لخديجة أن تتأمل في شخصيته، وأن ترى من واقع احتكاكها به فيما يتعلق برحلة الشام، الكثير من صفات الأمانة والشرف والخلق الرفيع والرجولة التي تتمناها كل امرأة في شريك حياتها.

ولا شك أن خديجة التي بلغت الأربعين من عمرها آنذاك قد فكرت طويلا في أمر الزواج بمحمد بن عبد الله ﷺ، ولاشك أنها استشارت من تثق به من صديقاتها، وأنها ما أقدمت على خطوتها التالية إلا بعد أن تأكدت أنها خطوة سديدة موفقة. وقد وصفت كتب السيرة النبوية خديجة بأنها كانت امرأة "حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من خير وكرامة. كما أنها كانت يومئذ أوسط نساء قريش نسبا، وأعظمهن شرفا، وأكثرهن مالا، كل قومها كان حريصا على ذلك لو يقدر منها". أخذت خديجة قرارها الحاسم الذي عاد منه خير كثير على الإسلام وعلى نبيه وعلى رصيد المرأة المؤمنة على مدى التاريخ، فأرسلت خادمها أو إحدى صديقاتها الى محمد ﷺ تعلمه بأنها معجبة بأمانته وصدق حديثه وحسن

أخلاقه، فضلا عن نسبه وقرابته منها، وأنها تعرض عليه الزواج.

كانت خديجة رمزا للمرأة العربية صاحبة القرار المستقل، وقد لقي عرضها القبول من النبي، وهو في الخامسة والعشرين من عمره آنذاك ومن أعمامه الذين جاؤوا معه يخطبونها، يخطب باسمهم أبو طالب مبينا فضل العريس: "إن محمدا لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا".

مع خديجة الحازمة الشريفة اللبيبة عاش النبي ﷺ أيام شبابه مستقرة لا يكدر صفوها شيء. لم يتزوج عليها النبي امرأة أخرى حتى ماتت بعد نزول الوحي اليه ببضع سنوات. ورزق منها أولاده وبناته كلهم باستثناء ابنه إبراهيم: القاسم، والطيب، والطاهر، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة. وقد مات أولاده الذكور كلهم صغارا قبل تكليفه بالرسالة، أما بناته فعشن الى ما بعد البعثة. [١]

أول إنسان يؤمن بالإسلام

كان نزول الوحي على رسول الله ﷺ، عند بلوغه الأربعين، نقطة فاصلة في التاريخ الإنساني. وكان التكليف عظيما ومفاجئا.

ماذا يفعل النبي ﷺ بالحدث الضخم الذي جرى له في غار حراء؟ هل يحدث به الناس أم يكتمه؟ هل يرويه لزوجته، أم لعمه، أم لواحد من

(١) ـ د. محمد الهاشمي الحامدي: محمد رسول الله للقرية العالمية. جدة: مركز الراية للتنمية الفكرية، ٢٠٠٦. ص ٤٨-٥٠

أصدقائه، أم يفاجئ به أهل مكة كافة في مقر اجتماعاتهم حول الكعبة؟ إن خديجة أقرب الناس اليه، لكن هل ستصدقه وتؤيده إذا حدثها بقصته مع الملاك جبريل؟

إن ما حدث في الساعات الأولى بعد نزول الوحي أمر لا نظير له في التاريخ، ودليل عظيم وموثق على الدور التاريخي للمرأة في نصرة دين الله وسبق الآخرين في طريق الحق والخير والإيمان.

عاد رسول الله ﷺ الى بيته يرجف فؤاده كما روت أم المؤمنين عائشة: "فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال زملوني زملوني. فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا. إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة، وكان امرؤا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبراينة ما شاء الله أن يكتب. وكان شيخا كبيرا قد عمي. فقالت له خديجة: يا بن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي: ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل (بتشديد الزاي) الله على موسى. يا ليتني فيها جذعا. ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أومخرجي هم؟ قال نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي،

وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا".

لنتوقف لحظات أخرى نتأمل فيها موقف هذه السيدة العظيمة في تاريخ الإسلام والإنسانية. كان يمكن لامرأة أخرى أن تشك بزوجها وتهينه وتسفه قوله. وكان يمكن أن تسخر منه في سرها حتى لو خافت إبداء رأيها صراحة في وجهه. وكان يمكن ألا تعبأ بما قال، وتنصرف لخاصة أمرها وأمر أهلها. لكن هذه السيدة التي كانت أول إنسان يسلم ويتقبل رسالة النبي محمد ﷺ عن إيمان طوعي حر، اتخذت الموقف الصحيح المبني على دراية عميقة بشخصية الرسول الموحى اليه. إنها تعرفه جيدا وهي أفضل من يستطيع الحكم عليه. وقد دونت موقفها أمامه وأمام التاريخ، فهي لم تؤمن به لأنه زوجها ووالد أطفالها، ولكن لأن نزول الوحي عليه كان موافقا في رأيها لما لمسته فيه من خصال نبيلة كريمة هي من صميم خصال الأنبياء: البر بأهله وأقاربه، ومساعدة الضعفاء والمحتاجين، والفقراء والمظلومين، وإكرام الضيف، ونصرة القضايا العادلة.

لم تكتف خديجة رضي الله عنها باتخاذ هذا الموقف الرائع النبيل، وإنما اتجهت مع زوجها الى شيخ كبير وعالم بارز يقرأ كتب الأديان ويكتب بالعربية والعبراينة، شيخ اعتنق المسيحية، وهو رجل تربطه بها قرابة عائلية. أرادت أن تطمئن بسؤال عالم تثق به، وأرادت أن يطمئن زوجها الموحى اليه، إذ لا شك أبدا أنها صدقت النبي ﷺ من أول وهلة. وبالفعل، جاءها الجواب الذي توقعته من عالم مطلع يدين بدين عيسى المسيح عليه السلام.

وهذه أيضا قصة جميلة تؤكد الرابطة القوية الوثيقة بين آل إبراهيم كافة، وبين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام بوجه خاص. إن العالم النصراني لم يجحد بعلمه على نبي الإسلام ولم يحسده على الكرامة العظمى التي جاءته، وإنما طمأنه الى أنه هو النبي فعلا، وأن الملاك الذي جاءه هو نفسه الملاك الذي كان يأتي موسى عليه السلام. وزاد العالم النصراني المخلص بتعهد صادق من عنده، أنه سينصر النبي نصرا قويا لا تردد فيه عندما يتعرض للظلم والأذى من قومه. ومع أن ورقة بن نوفل لم يعش كثيرا بعد هذه الحادثة، لكن كلماته بقيت محفورة في ذاكرة المسلمين وذاكرة التاريخ.

لسان حال كل مسلم يقرأ عن خديجة بنت خويلد أم المؤمنين هو الإمتنان المطلق الدائم لها على فضلها الذي لا نظير له في تاريخ الإسلام.

ولسان حال كل مسلم يقرأ عن موقف ورقة بن نوفل هو التقدير العميق لعالم ورجل مسيحي صادق شهد بالحق في اللحظات الحاسمة الأولى من تاريخ الإسلام، وتعهد بمناصرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم". [١]

(١) ـ المصدر السابق. ص ٥٧-٥٩

وفاة السيدة خديجة

لما دخلت دعوة الإسلام عامها العاشر زادت حملة المشركين الظالمة على الإسلام واشتدت. سمى النبي ﷺ ذاك العام عام الحزن.

ماذا جرى يا ترى؟

أولا: ماتت أعظم امرأة في تاريخ الإسلام. وثانيا: مات الرجل الهاشمي القرشي الشهم الشجاع أبو طالب.

ماتت خديجة من بعد أن سطرت في تاريخ الإسلام والإنسانية مواقف لن ينساها المسلمون ولن ينساها التاريخ. كيف لا وهي أول من آمن بالنبي، وآزره، وأيده، وأخلص له، ونصح له، ووقف معه بشموخ وصمود في كل الأوقات الصعبة. لم يحفظ عليها التاريخ موقف شك أو لحظة تردد. إن مواقفها الكريمة، وكرامتها العظمى عند الله، وعند النبي، وعند المسلمين، كانت دائما وستبقى الرد المفحم على كل من يحاول ايجاد فجوة أو جفوة بين المرأة والشريعة الإسلامية.

عاشت مع النبي ﷺ ربع قرن من الزمان في أجواء الحب العميق والثقة الكاملة. ولم يتزوج عليها أبدا بأي امرأة أخرى طيلة هذه الفترة رغم أن تعدد الزوجات كان قاعدة ذاك الزمان. ولما تزوج الرسول ﷺ بنساء أخر بعد وفاتها، قالت أقرب امرأة الى نفسه منهن، عائشة بنت

أبي بكر الصديق أم المؤمنين: "ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر الرسول ﷺ إياها. قالت: وتزوجني بعدها بثلاث سنين. وأمره ربه عز وجل أو جبريل عليه السلام أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب".

قال عنها الكاتب المصري المعروف، المرحوم الشيخ محمد الغزالي:

"أما خديجة فهي صديقة النساء، حنت على رجلها في ساعة قلق، وكانت نسمة سلام وبر، رطبت جبينه المتصبب من آثار الوحي، وبقيت ربع قرن معه، تحترم قبل الرسالة تأمله وعزلته وشمائله، وتحمل بعد الرسالة كيد الخصوم وآلام الحصار ومتاعب الدعوة. وماتت والرسول ﷺ في الخمسين من عمره، وهي تجاوزت الخامسة والستين. وقد أخلص لذكراها طوال حياته"[١].

حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء

في العام الثالث للهجرة النبوية دارت معركة أحد الشهيرة بين المسلمين وجيش قريش، جيش الكفار المعتدين الذين أصروا على مطاردة المسلمين وتصفيتهم بالقوة والعنف والبطش. انتصر المشركون في تلك المعركة بسبب مناورة بارعة من خالد بن الوليد، واستشهد عشرات

(١) ـ المصدر السابق. ص ٨٦-٨٧

المؤمنين، وكان من بينهم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، رماه وحشي الحبشي بحربته، فأصابته في أسفل بطنه فلقي ربه الكريم شهيدا. كان حمزة قبل إسلامه مشهورا بالفروسية والشجاعة يقضي الكثير من وقته في القنص، وكان كريما عزيز النفس. عاد يوما من رحلة قنص فحدثته امرأة بما نال ابن أخيه محمدا بن عبد الله من أذى على يدي أبي الحكم بن الهشام، المشهور بأبي جهل. غضب حمزة وصمم على نصرة ابن أخيه، فمضى إلى المسجد مسرعا يبحث عن أبي جهل، فليقيه هناك، في مجلس يحضره عدد من الناس. وقف عم النبي ﷺ على راس أبي جهل، ورفع قوسه وضربه بها فجرحه جرحا بليغا، وقال يخاطبه: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول. رد علي ذلك إن استطعت. هنا قام رجال من بني مخزوم يريدون الإنتصار لأبي جهل فنهاهم في نبرة اعتراف وانكسار: دعوا أبا عمارة، فإني والله لقد سببت ابن اخيه سبا قبيحا.

كان إسلام حمزة من أفضل الأخبار السارة لرسول الله ﷺ، ومصدر قوة وحماية، وسببا مباشرا من أسباب تخفيف حجم الأذى الذي كان الرسول ﷺ من طغاة قريش. ثم جاءت الهجرة إلى المدينة المنورة فكان حمزة رضي الله عنه من القلة التي هاجرت علنا دون أن تتجرأ عليها قريش وسفهاؤها. هناك عقد له أول لواء في الإسلام على رأس سرية من ثلاثين رجلا خرجت في مهمة أمنية دفاعية وعادت إلى مواقعها من دون قتال. وفي أول معركة عسكرية مشهورة في تاريخ الإسلام، معركة بدر الكبرى، تقدم حمزة رضي الله عنه الصفوف مدافعا عن حق المسلمين في الحياة الحرة الكريمة وفي الدعوة لمبادئ الإسلام دون خوف من التعذيب

والقمع والإضطهاد.

جاء ذكر حمزة رضي الله عنه أيضا في كتاب "محمد رسول الله ﷺ للقرية العالمية" في عدة مواضع. منها موضع عندما بدأت معركة بدر. فقد هجم الأسود بن عبد الأسد المخزومي من جيش قريش على حوض الماء الذي بناه المسلمون، وكان رجلا شرسا سيئ الخلق، فتصدى له حمزة بن عبد المطلب عم النبي، فتقاتلا بالسيف، فغلب حمزة وقتل المهاجم. ثم تقدم عتبة بن ربيعة، الزعيم القرشي الذي حاول منع الحرب لكنه فشل، وها هو الآن في مقدمة المقاتلين. تقدم هو وأخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة، فتوسط الساحة ودعا إلى المبارزة. فتصدى له ثلاثة مقاتلين شبان من الأنصار. لكن عتبة وابنه وأخاه رفضوا بدء الحرب بمبارزة الأنصار. ونادى واحد منهم: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا.

استجاب النبي لطلب المقاتلين القرشيين، وأمر عبيدة بن الحارث، وحمزة بن عبد المطلب، وعليا بن أبي طالب، رضي الله عنهم جميعا بالتقدم للمبارزة. فلما عرفهم عتبة ومن معه قالوا نعم، أكفاء كرام.

وانطلقت المبارزة بين الرجال بالسيوف. بارز حمزة شيبة بن ربيعة فسرعان ما انتصر عليه وقتله. وبارز علي الوليد بن عتبة فسرعان ما انتصر عليه وقتله. أما عتبة وعبيدة فقد أصاب كل منهما الآخر إصابات بليغة. ودعم حمزة وعليا صاحبهما فقتل عتبة، وعاد أبو عبيدة جريحا و لم يلبث أن نال الشهادة.[١]

---

(١) ـ المصدر السابق. ص ١٥٦-١٥٧

أما في معركة أحد، فقد كان حمزة رضي الله عنه مستهدفا بوج خاص من أعداء الإسلام بسبب أدائه البطولي الشجاع في معركة بدر. وكان وحشي الحبشي موعودا بالحرية إذا أصاب حمزة رضي الله عنه وقتله، وهو ما أنجزه بالفعل.

أقبلت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان بن حرب تنظر في وجوه القتلى وقد حسم أمر معركة أحد لصالح الجيش القرشي المعتدي، وفاضت بها مشاعر الحقد والكراهية فمضت تمثل بالقتلى، تقطع الآذان والأنوف وتتخذ منها خلاخيل وقلائد توزعها على من حولها من خدم ومساعدين. ثم اتجهت إلى جثة حمزة عم الرسول، فمثلت به هو أيضا، وزادت فبقرت بطنه، واستخرجت كبده ووضعتها في فمها، ولاكتها، ولما لم تستسغها لفظتها.

ووقف أبو سفيان بنفسه على جثة حمزة، فراح يضرب شدقه برأس الرمح، إلى أن لمحه لامح واستغرب منه أن ينال من ابن عمه وهو ميت لا يستطيع الدفاع عن نفسه، فاعتذر قائلا: ويحك، اكتمها عني فإنها كانت زلة.

ثم انصرف الجيش القرشي عائدا إلى مكة، وتفرغ المسلمون لدفن شهدائهم. سأل النبي ﷺ عن سعد بن الربيع، وكان أحد زعماء الأنصار الذين بايعوا الرسول في بيعة العقبة في مكة قبل هجرته، فتطوع أحد الأنصار للبحث عنه، وسعى فوجده جريحا يحتضر. فلما أبلغه أن النبي يسأل عنه أفي الأحياء هو أم في الأموات، فرد عليه سعد: "أنا في الأموات،

فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام، وقل له إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته، وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم ﷺ ومنكم عين تطرف". ثم نال سعد الشهادة.

وبحث النبي عن عمه حمزة، فوجده في ساحة المعركة شهيدا قد بقرت بطنه وخلعت كبده وقطع أنفه وأذناه. واشتد الألم والغضب بالنبي وأصحابه للتمثيل الشنيع الذي أوقعه القرشيون بالشهداء المسلمين، حتى توعد النبي بالإنتقام، وقال بعض المسلمين في سياق التعاطف والتضامن معه: والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب. لكن الله أوحى لنبيه من القرآن الكريم آيات تنهى عن مثل هذا العمل وترشد المسلمين للاسلوب الصحيح في التعامل مع ما جرى: ﴿وإنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ولَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ (١٢٦) واصْبِرْ ومَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ ولا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ولا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا والَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾. (النحل: ١٢٦-١٢٨)

وأقبلت صفية بنت عبد المطلب، شقيقة حمزة، تريد أن تراه، فطلب النبي من ابنها الزبير بن العوام أن يحاول ردها كي لا ترى ما وقع على أخيها من تمثيل شنيع، لكنها أصرت قائلة: قد بلغني أن قد مثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك. لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله. عندئذ أذن لها النبي برؤية حمزة ففعلت ما قالت، وصلت عليه واسترجعت واستغفرت له. ثم أمر النبي بشهداء المسلمين فدفنوا في

ساحة المعركة في سفح جبل أحد، وكان ذلك يوم السبت في النصف من شوال في العام الثالث للهجرة النبوية، أي في العام ٦٢٦ للميلاد.

وبقي حمزة رمزا شامخا في تاريخ المسلمين، ألقاب الشرف له كثيرة، منها أنه سيد الشهداء، ومنها أنه أسد الله وأسد رسوله. وكان عزاء أهله وعزاء أهالي سعد بن الربيع ومصعب بن عمير وسائر شهداء معركة أحد الآخرين أن العقيدة التي قدموا أرواحهم من أجلها بقيت حية متوهجة في صدور المؤمنين بها وأنارت من بعدهم قلوب مئات الملايين من البشر وما تزال.(١)

جعفر بن أبي طالب: السفير الناجح والشهيد السعيد

هذا رجل من أعظم آل النبي ﷺ شرفا وقدرا. عندما يكتب المرء عنه أو يسمع سيرته، يشعر أنه أمام جبل شامخ من جبال الإسلام، وأمام إنسان يستحق الحب كل الحب، والتبجيل كل التبجيل، والتكريم كل التكريم.

تشرف كاتب هذه السطور بالإشارة إليه في موضوعين أو ثلاثة عند كتابته للسيرة النبوية. الموضع الأول متصل بهجرة المسلمين الأولى للحبشة، عندما اشتدت حملة القمع ضد المؤمنين بالله وحده لا شريك له، في سنوات الدعوة الأولى في مكة المكرمة. كتبت في هذا الشأن: من

(٥) ـ المصدر السابق. ص ١٨٢–١٨٣

يا ترى يستطيع نجدة المسلمين في محنتهم الشديدة هذه؟ هذا هو أهم ما كان يشغل النبي وهو يرى تصاعد حملة القمع والتعذيب بحق المؤمنين بالله وحده لا شريك له، إلى أن ألهمه ربه حلا يرمز الى أمور عظيمة في تاريخ العلاقات المسيحية الإسلامية. وأبلغ النبي ﷺ أصحابه بالحل: "لو خرجتم الى أرض الحبشة، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد. وهي أرض صدق، حتى يجعل لكم فرجا".

كانت تلك إشارة الإنطلاق للهجرة الأولى في مسيرة الإسلام، ولواحدة من أشهر قصص اللجوء السياسي في التاريخ. غادر العشرات من المسلمين مكة متجهين الى أثيوبيا. كانوا رجالا ونساء وأطفالا، ومن بينهم جعفر بن أبي طالب ابن عم الرسول، وعثمان بن عفان وزوجته رقية بنت الرسول. وكان فيهم عدد من كبار الصحابة الآخرين، والصحابة هو اللقب الذي يطلقه المسلمون على كل من رأى الرسول وعاصره وآمن بدعوته. هؤلاء هم الجيل الأول الذي تحمل تحت قيادة النبي عبء تشييد أسس قوية راسخة لشريعة التوحيد والحرية والمساواة والعدالة ومكارم الأخلاق في قلوب البشر وعقولهم، وعلى امتداد تاريخ الإنسانية. ومن الأسماء المشهورة التي هاجرت الى الحبشة أيضا مصعب بن عمير، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف. وكان مجموع المهاجرين من الرجال والنساء والأطفال أقل من المائتين.

وصل اللاجئون المسلمون الى الحبشة فوجدوا فيها حسن الإستقبال والأمن وحرية العبادة. وهذا هو تحديدا ما كانوا يطلبونه. ووصفت لهم

الأيام بعد ما نالهم من ظلم وتعذيب في مكة، فانصرفوا لحياتهم يعبدون الله ويعملون لكسب الرزق وإعاشة أنفسهم. لكن الطغاة من زعماء قريش، على نهج الطغاة في هذا العصر، وفي كل عصر، أرادوا مطاردة المسلمين حتى في منفاهم. منعوا عنهم حرية العبادة في مكة، وقرروا الآن أن يمنعوها عنهم في الحبشة، وأن يطلبوا من حاكمها تسليم المسلمين اليهم على أساس أنهم مطلبون للسلطات القرشية.

ولكن كيف يستطيعون إقناع الملك المسيحي الأثيوبي الذي مدحه النبي ﷺ وقال إنه لا يظلم عنده أحد؟

قرروا أن يرسلوا اثنين من الزعماء الدهاة ذوي المهارة الدبيلوماسية العالية لتنفيذ هذه المهمة الحساسة، وأمدوهما بمال كثير للصرف على هذه المهمة. وسافر الوفد محملا بالكثير من الهدايا الثمينة. تركوا أفضل ما عندهم للحاكم، لكنهم بدأوا أولا بكبار مساعديه ومستشاريه وأغدقوا عليهم الهدايا، مقابل شيء واحد. قالوا لهم إنهم جاؤوا ليطلبوا تسليم اللاجئين المسلمين اليهم، وهم يريدون من هؤلاء المساعدين والمستشارين أن يؤيدوا الطلب إذا عرض على الحاكم في مجلسه الرسمي. وحصلوا من الجميع على وعود قوية بالتأييد والدعم لهذا الطلب.

استقبل الملك الأثيوبي وفد قريش وسمع منهم تقريرا حافلا بالإتهامات ضد اللاجئين المسلمين، وعلى رأسها أن هؤلاء تخلوا عن دينهم من دون أن يدخلوا في النصرانية. أراد الوفد أن يستغل العاطفة الدينية المسيحية للملك ويؤلبه على اللاجئين المسلمين، وأعطاه الإنطباع

أن قريشا ما كانت لتمانع لو أن هؤلاء اللاجئين اعتنقوا المسيحية. ثم أضاف أن زعماء مكة يطلبون استعادة المسلمين الذين هاجروا الى الحبشة لأنهم أدرى بالأسلوب الأمثل للتصرف معهم. وقد عرفنا جيدا حقيقة هذا الأسلوب الذي يعنيه الوفد القرشي: أسلوب التعذيب والقمع والقتل. ثم تحدث عدد من المساعدين والمستشارين فأيدوا مطلب قريش، تصديقا لوعودهم التي قدموها للوفد الزائر عندما تسلموا منه الهدايا الثمينة.

لكن الملك رفض أن يتخذ قراره بناء على وجهة نظر الوفد القرشي المشرك وحدها. كما أنه لم يستجب لدواعي التعصب الديني التي راهن عليها وفد قريش. واعتذر للضيوف بأنه لا يستطيع أن يسلمهم لاجئين اختاروا طلب الأمن والحرية في بلاده من دون أن يسمع منهم مباشرة، ويعطيهم الفرصة للرد على الإتهامات التي كالها لهم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة. وهذان هما الرجلان اللذان أرسلتهما قريش الى الملك الأثيوبي.

تسلم اللاجئون المسلمون دعوة السلطات الأثيوبية للحضور الى مجلس الملك والرد على الإتهامات الموجهة إليهم. وعرفوا أن الملك سيسلمهم الى الوفد القرشي الرسمي إذا ثبتت عليهم التهم. فتشاوروا واتفقوا أن يعرضوا عليه حقيقة أمرهم دون زيادة أو نقصان، ويتحملوا تبعات مبادئهم مهما كانت مؤلمة.

فتحت الجلسة الحاسمة من طرف الملك الاثيوبي، وقد مضى مباشرة الى صلب الموضوع، وسأل المسلمين عن دينهم الجديد المخالف لدين

قريش، والمخالف لدين الملك أيضا، أي للديانة المسيحية.

في ذلك اليوم، في قصر الحاكم الاثيوبي، في العقد الثاني من القرن السادس الميلادي، سمع الحاضرون وسمعت الدنيا كلها، جيلا من بعد جيل، واحدة من أفضل المرافعات عن الإسلام في التاريخ، وأكثرها قوة ووضوحا وتأثيرا على العقول وعلى القلوب.

أجمل مرافعة عن الإسلام

قال جعفر بن أبي طالب، يخاطب ملك أثيوبيا، ويخاطب الدنيا بأسرها:

"أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف. فكنا على ذلك، حتى بعث الله الينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا الى الله، لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان. وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات. وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئا. وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام. فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله. فعبدنا الله

وحده فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا. فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا الى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل من الخبائث. فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالو بيننا وبين ديننا، خرجنا الى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك".

أي قاض عادل يسمع مثل هذه المرافعة العظيمة بصدقها ووضوحها ونبل معانيها ثم لا ينصف أهلها؟ ملك الحبشة الذي استمع الى جعفر ابن أبي طالب باهتمام، لم يكن ممثلا للسلطة القضائية فحسب، وإنما كان رأس السلطة التنفيذية أيضا. وأمره ينفذ دون تردد. وقد سبق أن ظهرت نزعته للعدل عندما رفض أن يحكم على اللاجئين المسلمين قبل أن يسمع منهم. وها هو يوجه اليهم سؤالا آخر بعد أن سمع مقالتهم الأولى: هل عندكم شيء من القرآن الذي أنزله الله على نبيكم؟

أجاب جعفر: نعم عندنا. فطلب الملك أن يسمع. فقرأ جعفر ابن أبي طالب من مطلع سورة مريم:

﴿كٓهيعص (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِياً (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً و لَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِياً (٤) وإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ولِياً (٥) يَرِثُنِي ويَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ واجْعَلْهُ رَبِّ رَضِياً (٦) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِياً (٧) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وقَدْ بَلَغْتُ

مِنَ الكِبَرِ عِتياً (٨) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ و لَمْ تَكُ شَيْئاً﴾.

ما كان جعفر تجاوز بدايات السورة عندما تجلت الحقيقة للملك المسيحي العادل. وعندما يطمئن السامع ذو القلب السليم الى أنه يسمع كلام الله، فإن رد فعله غالبا يميل الى الخشوع والتفكر. أما الملك فلم يحبس دمعه. بكى حتى بلل الدمع لحيته. وبكى الأساقفة من حوله. ثم أصدر الملك حكمه العادل: إن هذا، (يعني القرآن) والذي جاء به عيسى، ليخرج من مشكاة واحدة. انطلقا (الحديث هنا موجه لعمرو بن العاص وصاحبه، ممثلي قريش) فلا والله، لا أسلمهم اليكما".

إن عظمة هذا الملك النصراني العادل لا تتوقف عند إنصافه للمسلمين، وعند خشوعه لكلمات الله عندما تليت عليه من القرآن الكريم. ففي ما يشبه محكمة الإستئناف، عاد عمرو بن العاص وصاحبه الى النجاشي باتهام جديد، مفاده أن المسلمين يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما، يقصد قولهم أن عيسى عليه السلام عبد لله. وعاد المسلمون مجددا الى مجلس الملك يحاصرهم اتهام يتصل بعقيدة الملك القاضي مباشرة. أدلى جعفر بن أبي طالب بالجواب الصحيح عند المسلمين دون زيادة أو نقصان: هو عبد الله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول. ولعله قرأ للنجاشي مجددا من سورة مريم التي قرأها بالأمس وفيها:

﴿واذْكُرْ في الكِتَابِ مَرْيَمَ إذ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقياً (١٦) فَاتَّخَذَتْ من دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوياً (١٧) قَالَتْ إنيِّ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إن كُنتَ تَقِياً (١٨) قَالَ إنَّمَا أَنَا

رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِياً (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ ولَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ولَمْ أَكُ بَغِياً (٢٠) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ولِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ ورَحْمَةً مِّنَّا وكَانَ أَمْراً مَّقْضِياً (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِياً (٢٢) فَأَجَاءَهَا المَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وكُنتُ نَسْياً مَّنسِياً (٢٣) فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِياً (٢٤) وهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِياً (٢٥) فَكُلِي واشْرَبِي وقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ البَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ اليَوْمَ إِنسِياً (٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِياً (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ ومَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِياً (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي المَهْدِ صَبِياً (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وجَعَلَنِي نَبِياً (٣٠) وجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ والزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَياً (٣١) وبَراً بِوَالِدَتِي ولَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِياً (٣٢) والسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ ويَوْمَ أَمُوتُ ويَوْمَ أُبْعَثُ حَياً (٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾.

بالنسبة للذين يقرأون هذه الآيات الكريمة باللغة العربية، فإن من المستحيل على الأغلبية الساحقة منهم ألا يأسرهم جمالها وإيقاعها وسجعها، بالإضافة طبعا الى وضوح المضمون والقدرة المعجزة على رواية قصة طويلة في فقرة صغيرة طولها ٢٠٩ من الكلمات. وبالنسبة للذين يقرأونها مترجمة الى الانجليزية والفرنسية، والى أي لغة أخرى قد

يطبع بها هذا الكتاب، فإن أغلب الظن أيضا أنهم سيصلون الى ما وصل اليه ملك الحبشة عندما قرأت عليه قبل حوالي أربعة عشر قرنا من الزمان. لقد أنصت الى الآيات مترجمة، ثم أجاب بكلمات مضيئة أخرى في تاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية، متوجها بالحديث الى جعفر: "والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود". أي أن التصور الذي جاء في القرآن الكريم عن عيسى بن مريم لا يختلف عن التصور المسيحي الذي يؤمن به الملك إلا بحجم عود صغير في يده. وأصدر الملك بعد ذلك حكمه النهائي في القضية المرفوعة أمامه، فرفض طلب وفد قريش باسترداد اللاجئين المسلمين، ورد اليهم هداياهم التي جاؤوا بها، مبينا أنه لن يقبل الرشوة منهم. ثم جدد ترحيبه بالمسلمين، وأكد لهم أن من عاداهم فقد عاداه هو شخصيا، وأنه لن يقبل أن يؤذي واحدا منهم حتى لو دفع له جبل من ذهب مقابل ذلك.

قالت أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة، وكانت ضمن وفد اللاجئين المسلمين الذين حضروا هذه الجلسات في قصر الملك الأثيوبي، وستصبح بعد هذا الموقف بسنوات زوجة للرسول ﷺ وأما للمؤمنين، قالت تلخص ما آل اليه أمر هذه المحاكمة، بالنسبة لمبعوثي قريش والى اللاجئين المسلمين: "فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به. وأقمنا عنده بخير دار، مع خير جار".

يا لروعة الترابط والتضامن بين المسلمين والمسيحيين، وبين آل إبراهيم كافة، حين تصفو القلوب ويغيب التعصب.(١)

(١) ـ المصدر السابق. ص ٦٦-٧١

بقي اللاجئون المسلمون إلى الحبشة في أحسن جوار إلى نهاية السنة السادسة للهجرة النبوية الشريفة، العام الذي عقد في هصلح الحديبية المشهور. بعضهم عاد قبل ذلك، أما الفوج الأخير منهم فقد عاد في الأيام الأخيرة لغزوة خيبر. وعلى رأس هؤلاء العائدين كان جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه. فرح رسول الله ﷺ بعودة ابن عمه فرحا كبيرا، واحتضنه وقبله بين عينيه، وقال: ما أدري بأيهما أنا أسر، أبفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟[١]

وفي الشهر الخامس من العام الهجري الثامن وقعت معركة مؤتة. قتل شرحبيل بن عمرو الغساني والي منطقة البلقاء في الشام بأمر من قيصر زعيم الإمبراطورية الرومانية، قتل الحارث بن عمير الاسدي الذي جاءه رسولا من عند النبي ﷺ. هنا بداية القصة التي انتهت باستشهاد جعفر بن أبي طالب. كتبت عنها في السيرة النبوية ما يلي:

قتل الرسل والمبعوثين علامة على خسة فاعليها ونذالتهم، واستهتارهم بالأعراف العالمية السائدة، وهو أيضا نوع من إعلان الحرب على دولة المبعوث المقتول. وهكذا فهم النبي خبر اغتيال مبعوثه إلى حاكم بصرى، فأمر بتجهيز حملة عسكرية إلى الشام لتأديب المستهترين بالأعراف والأخلاق والحرمات في الشام، وللتأكيد لهم ولغيرهم بأن الدولة الإسلامية جديرة بالإحترام والمهابة والتقدير.

تجمع لهذه الحملة ثلاثة آلاف رجل، وهو عدد كبير بالقياس إلى

(١) سيرة ابن هشام. الجزء الثالث. ص ٢٣٢

حملات المسلمين السابقة، و لم يجتمع مثله إلا في حملة الأحزاب، أو حملة التصدي لتحالف الأحزاب التي سعت لاستئصال الإسلام وأهله مرة واحدة بالقوة العسكرية الغاشمة. وأعطى النبي لواء القيادة لزيد بن حارثة، الرجل الذي عاش في بيت النبي منذ صغره، وفضل البقاء معه على العودة إلى أهل بيته. وأمر النبي بتولية جعفر بن أبي طالب على الحملة إن أصيب زيد، ثم عبد الله بن رواحة إن أصيب زيد وجعفر.

وأوصى النبي أصحابه أن يأتوا الناس الذين قتلوا مبعوثه الحارث بن عمير فيدعونهم للإسلام. فإن أبوا وتطور الأمر إلى الحرب والقتال، فإن الرسول نهاهم عن أمور عدة في توجيهات صريحة. قال لهم: "لا تغدروا، ولا تغيروا، ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة، ولا كبيرا فانيا، ولا منعزلا بصومعة، ولا تقطعوا نخلا، ولا شجرة، ولا تهدموا بناء.(١)

كان واضحا أن هذه الحملة باتجاه الشام ليست مثل الحملات الأخرى باتجاه القبائل المحيطة بالمدينة. فالشام آنذاك محتل من قبل الرومان، وقيصر يدعم ولاته بجيش واحدة من أعظم قوتين عالميتين في ذاك التاريخ. فكيف سيكون أداء المسلمين في مواجهة هذه القوة يا ترى؟

كان الإيمان بالله وبرسالته أقوى أسلحة الحملة وأقوى أسلحة المسلمين في كل حملاتهم. وقد بكى عبد الله بن رواحة، وقد كان شاعرا مرهف الحس، في لحظات الوداع ومغادرة المدينة، بسبب تذكره للإمتحان

(١) د. محمد الهاشمي الحامدي: محمد رسول الله للقرية العالمية. مصدر سابق. ص ٢٤٨- ٢٥٤

الكبير يوم القيامة والخوف من النار، وليس بسبب حب الدنيا وحب أهله وأصحابه. وهو جاء يودع النبي فأنشد في محبته:

فثبت الله ما آتاك من حسن
تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا
إني تفرست فيك الخير نافلة
الله يعلم أني ثابت البصر
أنت الرسول فمن يحرم نوافله
والوجه منه، فقد أزرى به القدر

كان ذلك الجيل حزب الإيمان وحزب الأنبياء من أول التاريخ حتى نهايته. ولذا كان عبد الله بن رواحة ينطق بسجيته وهو يربط في أبيات شعرية قليلة بين موسى ومحمد عليهما السلام. إنهم جميعا حزب واحد: نوح وإبراهيم وموسى ويعقوب ويوسف وسليمان وداود وزكريا ويحيى وعيسى بن مريم ومحمد، وسائر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام. إنهم حزب الإيمان بالله، وحزب محبة الله، وحزب الخير ومحبة الخير للعالمين. وفي مواجهة قوى الطغيان والفساد والظلم، يهون كل شيء، وتصبح الشهادة مغنما وفوزا عظيما، لا كربا أو كارثة يتهرب منها الإنسان.

تلك كانت دوافع المشاركين في حملة مؤتة. وقد ساروا شمالا حتى وصلوا منطقة معان وعسكروا فيها. أما الروم فقد وصلت إليهم الأنباء بتحرك المسلمين، وكان هرقل في المنطقة، وتحت تصرفه مائة ألف مقاتل

في جيش الروم، وبعد حملة تعبئة عامة، وصلت إليه تعزيزات بمائة ألف مقاتل آخرين من مناطق لخم وجذام والقين وبهراء.

مائتا ألف جندي في مواجهة ثلاثة آلاف. وصل الخبر إلى المسلمين في معان، فأقاموا ليلتين يفكرون في خياراتهم، ورأى بعضهم أن من الأفضل أن يكتبوا لرسول الله ﷺ ويخبروه بالفرق الهائل في عدد الجيشين، فإما أن يمدهم بالمدد من الرجال، وإما أن يأمرهم بخيار آخر فيمضون في تنفيذه.

لكن عبد الله بن رواحة لم يتحمس لهذا الرأي، وقال للناس: يا قوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة. ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور وإما شهادة. واستمر النقاش حتى مالت أكثرية المسلمين لرأي عبد الله بن رواحة.

هؤلاء جيل عاش مع رسول الله، ورأوه بأنفسهم يخوض معهم أشرس المعارك، ويشاركهم أصعب الأوقات. متواضع لهم، محب لهم، رحيم بهم، يمشي بينهم بأجمل الأخلاق وأفضلها. وهؤلاء جيل لم تكن عنده ذرة شك بأنه يرفع راية الحق والإيمان التي رفعها الأنبياء وأنصارهم في مراحل كثيرة في تاريخ الإنسانية. ومع أن الخوف طبع في الإنسان، والحرص على الأمن وعلى الدنيا طبع في الإنسان، فإن الإيمان الصادق القوي يجعل محبة الله فوق محبة الدنيا وما فيها.

تقدم جيش المسلمين من جديد نحو منطقة البلقاء حتى بدا لهم جيش هرقل، وفيه مائتا ألف أو أكثر من الروم والعرب. فانحاز المسلمون إلى قرية تسمى مؤتة، وبها سميت هذه المعركة كلها.

هناك تجهز المسلمون للحرب، فاختاروا لميمنتهم قطبة بن قتادة من بني عذرة، ولميسرتهم عبادة بن مالك من الأنصار، ثم التقى الجيشان والتحم الناس واشتد بينهم القتال. وسرعان ما فاز قائد الحملة زيد بن حارثة بالشهادة، بعد أن نالته رماح الأعداء من كل مكان.

حمل الراية بعدئذ جعفر بن أبي طالب، وكان فتى يبلغ من العمر ثلاثة وثلاثين عاما، فقاتل مع جنده ببسالة نادرة. أصابه الأعداء في يده اليمنى فحمل الراية بيسراه. ثم أصابوه في يسراه فاحتضنها بعضديه. ثم أصابته ضربة قاضية فقطعته نصفين. وكان القائد الشجاع يهتف ببيت جميل من الشعر قبل انتقاله إلى الدار الآخرة:

يـــا حـــبـــذا الجـــنـــة واقـــترابـــهـــا

طـــيـــبـــة وبـــــــــاردا شـــرابـــهـــا

وكان ممن حضر هذه المعركة عبد الله بن عمر، نجل الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب. فقال: كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب، فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية.

استشهد جعفر، وحان الآن دور القائد الثالث، الشاعر ذو النفس الحساسة المحبة لرسول الله ﷺ والخائفة من عذاب النار يوم القيامة. حان دور عبد الله بن رواحة، فهو الثالث في الترتيب بأمر النبي يوم انطلقت الحملة، لكن هول المعركة، وعدم تكافؤ ميزان القوى بشكل صارخ لحساب الأعداء، جعل نفسه تتردد بعض الشيء. كانت لحظة تشهد

بإنسانية أولئك الذين وقفوا مع رسول الله حتى علت رايات التوحيد والخير والعدل والحرية في الجزيرة العربية ثم في أكثر أرجاء العالم. إنهم لم يكونوا ملائكة، وإنما كانوا بشرا مثل سائر البشر، لكن قوة الإيمان سمت بهم إلى مقامات عالية في تاريخ الإنسانية.

هتف عبد الله بن رواحة الشاعر يخاطب نفسه المترددة في حمى وطيس تلك المعركة الخطيرة:

أقسمت يا نفس لتنزلنه

لتنزلن أو لتكرهنه

إن أجلب الناس وشدوا الرنه

مالي أراك تكرهين الجنة

قد طال ما قد كنت مطمئنة

هل أنت إلا نطفة في شنه؟

ثم قال عبد الله بن رواحة أيضا يحث نفسه على التشبه بالقائدين الشهيدين من قبله:

يا نفس إلا تقتلي تموتي

هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت

إن تفعلي فعلهما هديت

واقترب من عبد الله ابن عم له بعظم عليه بعض اللحم ودعاه أن يأكله ويشد به صلبه، فما أن نال منه قطعة يسيرة حتى سمع جلبة كبيرة في ناحية من ساحة المعركة، ورأى القتال على أشده بين المسلمين وأعدائهم، فرمى العظم وخاطب نفسه: وأنت في الدنيا؟ ثم تقدم ثابت الجأش يقاتل دفاعا عن عقيدة الحق حتى فاز بالشهادة.

تطوع لرفع اللواء بعد استشهاد عبد الله بن رواحة ثابت بن أقرم من بني العجلان، ونادى في المسلمين أن يتفقوا على قائد جديد ينوب عن القادة الثلاثة الذين استشهدوا، فقالوا له: أنت. لكنه لم يقبل ترشيحهم، فاصطلحوا على قائد آخر، حديث عهد بالإسلام، ولكن اسمه مشهور في ساحات المعارك من قبل، وسيغدوا

أدرك خالد بسرعة أن موازين القوى مختلة إلى حد كبير جدا، وأن القوة الإيمانية الهائلة للمسلمين ستعينهم على الصمود لا على الإنتصار. ورأى أن تقليل الخسائر وتوفير الطاقات الإسلامية ليوم آخر تكون فيه الظروف أفضل هو الخيار الأحكم والأصوب، فاستمر يناوش العدو حتى أقبل الليل، وانقطعت في يده تسعة سيوف وهو في قلب المعركة حتى لم تبق بيده إلا صحيفة يمانية. ومن بعد ذلك اعتمد عدة مناورات عسكرية خادعة لإعطاء الإنطباع بأنه تلقى تعزيزات إضافية، مما أدخل الرعب والمهابة في نفوس أعدائه، ثم غير مواقعه ليبتعد تدريجيا عن الإلتحام بهم. ولما اطمأن إلى أن العدو لا يطارد قواته، انسحب من المعركة وعاد ببقية جيشه إلى المدينة المنورة.

قبل أن يصل الجيش إلى المدينة، أخبر النبي اصحابه بما جرى، وقال لهم: أخذ الراية زيد وأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب وعيناه تذرفان، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم.

هذا وصف خالد من عند رسول الله ﷺ. والخطة العسكرية التي اعتمدها رآها النبي فتحا من الله. لكن بعض المسلمين لم يروها كذلك، فجعلوا يحثون التراب على الجيش العائد من موئتة ويقولون: يا فرار، فررتم في سبيل الله، فيدافع النبي بنفسه عن خالد وجنده: ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى.

الفرار من ساحات الدفاع عن الإيمان والحق والحرية عمل شنيع لا يقبل به أي جيش في العالم، قديما أو حديثا. والقرآن الكريم يتوعد من يرتكب مثل هذا العمل: "ومن يولهم يومئذ دبره، إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير". لذلك قال النبي مجيبا على من سأله من جيش خالد: نحن الفرارون يا رسول الله؟ قال: بل أنتم الكرارون. وقال لهم: أنا فئتكم، أي أن خالدا ومن معه تحيزوا لفئة إمامهم، و لم يهربوا جبنا أو خوفا. وذكر أن عمر بن الخطاب، في عهد خلافته، علق على استشهاد أبي عبيد بن مسعود وعدد من أصحابه في بعض معارك القادسية، وقال: هلا تحيزوا إلينا، فإنا فئة لكل مسلم.

كانت موئتة إذن فصلا محزنا من فصول المعارك التي جرت في عهد النبي ﷺ، وفيها استشهد ثلاثة من أعلام الصحابة الذين أخلصوا للإسلام

وصمموا على أن يعيشوا حياتهم في ضوء حقيقة الإيمان الكبرى وأن يقضوا أيامهم في الدعوة إلى توحيد الله ومحبته وطاعته.

استشهد زيد بن حارثة، وهو الذي علم كل من لم يعش مع رسول الله من المسلمين وغير المسلمين أن خلق محمد بن عبد الله في مقام رفيع يدفع المرء إلى أن يفضله على أبيه وأقرب الناس إليه.

واستشهد جعفر، لكن صوته في ديوان النجاشي مازال يرن في سمع كل مسلم على وجه الأرض، فقد كان ناطقا بليغا موفقا باسم المسلمين في كل زمان ومكان، وكان يوم اشتدت الحرب فارسا شجاعا نبيلا يتقدم الصفوف ويعلم أن الدنيا ليست نهاية المطاف في مشير الإنسان.

واستشهد عبد الله بن رواحة، ذو النفس الشاعرة الأبية الحساسة، يصارع نوازع الضعف التي تعتري كل بشر ويقود نفسه إلى المعالي، ويلقى ربه شهيدا، ويحفظ ذكراه الحبيبة الغالية في نفس مئات الملايين من البشر على مدى التاريخ، يحبونه، ويبجلونه، ويقتدون به وبأصحابه الكرام الشهداء.

كانت مؤتة امتحانا عسيرا وعابرا في نفس الوقت، حسم النبي أمرها عندما مدح سيف الله المسلول خالد بن الوليد، ووصف جيشه بالكرارين. إن النبي ﷺ كان ينظر بنور الله، ويعرف أن جيش الإيمان والحق سينتصر في مواقع أخرى كثيرة وإن أصابته نكسة محزنة في مؤتة. وقد أثبت الوقائع تنبوءاته بعد أعوام قليلة.

يلاحظ المرء هنا الترابط الوثيق الذي لا ينفصه بين آل بيت رسول الله

ﷺ وصحابة رسول الله ﷺ. ينقل الباحث رواية استشهاد حمزة رضي الله عنه فيجد معها قصة مؤثرة لاستشهاد سعد بن الربيع رضي الله عنه. وينقل قصة استشهاد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فيلقى معها قصة استشهاد زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة. كانوا صفا واحدا. كانوا جميعا من حزب الله. ألا إن حزب الله هم المفلحون.

خديجة بنت خويلد، حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب، هم أشهر أعلام أهل بيت النبي ﷺ الذين توفوا في حياة النبي ﷺ. ومن هؤلاء الذي توفوا في حياته أيضا زينب ورقية وأم كلثوم بنات رسول الله ﷺ من السيدة خديجة. زينب تزوجت قبل الهجرة من ابن خالتها أبي العاص بن الربيع. أما رقية فزوجها والدها عليه الصلاة والسلام لعثمان بن عفان رضي الله عنه، وماتت في المدينة المنورة أيام غزوة بدر. ثم تزوج عثمان بن عفان رضي الله من أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ. وممن توفي في حياة رسول الله ﷺ أيضا زوجته أم المؤمنين السيدة زينب بنت خزيمة. تزوجها عليه الصلاة والسلام بعد استشهاد زوجها الأول عبد الله بن جحش في معركة أحد، وكانت امرأة صالحة مشهورة بعطفها على الفقراء والمحتاجين، حتى أنها اشتهرت باسم "أم المساكين". وقد عاشت مع النبي ﷺ شهرين أو ثلاثة فقط بعد زواجها منه ثم لقيت وجه ربها الكريم.

وقد حان الوقت الآن لنتحدث عن فضائل بعض أعلام أهل البيت الذين شهدوا وفاة النبي ﷺ وماتوا بعده.

الفصل الخامس

علي وفاطمة والحسن والحسين

أشهر أعلام أهل بيت النبي ﷺ الذين كان لهم دور كبير في تاريخ الإسلام

أشهر أعلام أهل بيت النبي ﷺ الذين كان لهم دور كبير في تاريخ الإسلام وفي حياة النبي ﷺ وبعد وفاته، ابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب.

علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه

كانت لعلي علاقة خاصة برسول الله ﷺ منذ صغره. ذلك أن النبي ﷺ رأى أن عمه أبا طالب قد ساءت ظروفه المادية بسبب كثرة عياله وبسبب ضائقة اقتصادية ألمت بقريش كلها، وأراد أن يتخذ مبادرة تعبر عما يكنه لعمه من محبة وتقدير، فاقترح على العباس بن عبد المطلب، وهو أيضا عمه، أن يكفل كل واحد منهما ابنا من أبناء أبي طالب فيخففان من أعبائه ويعينانه على تكاليف الحياة.

جاء في السيرة النبوية لابن هشام: "كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب، ومما صنع الله له وأراده به من الخير، أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير. فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه، وكان من أيسر بني هاشم: يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه فلنخففف عنه من عياله، آخذ من بنيه رجلا، وتأخذ أنت رجلا، فنكلهما عنه. فقال العباس:

نعم. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه.

فقال لهما أبو طالب: "إذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما. فأخذ رسول الله ﷺ عليا فضمه إليه. وأخذ العباس جعفرا فضمه إليه. فلم يزل علي مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيا، فاتبعه علي رضي الله عنه وآمن به وصدقه. ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه". (١)

هكذا نشأ علي بن أبي طالب في أكرم وأشرف بيت على وجه الأرض. كان صبيا لم يتمم عقده الأول عندما نزل الوحي على النبي ﷺ، ومع ذلك آمن بالنبي ﷺ وصدقه ودخل في الإسلام، ليكون بذلك أول المسلمين من الصبيان. ترعرع الصبي في أجواء الذكر والصلاة والقرآن، وشهد يوميات المرحلة المكية من الدعوة إلى الدين الإسلامي، وترسخت في نفسه أخلاق الإسلام، ومحبة الله ورسوله ﷺ.

ولما حان وقت هجرة النبي ﷺ إلى يثرب، قررت قريش اغتياله في مؤامرة دنيئة اقترحها أبو جهل. قال الطاغية الكاره للإيمان بالله الواحد ورسوله الكريم لطغاة قريش الآخرين: "أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا إليه، (يقصد إلى النبي ﷺ) فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه. فإنهم إن فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا، فرضوا منا بالعقل (أي بالدية)

---

(١) ـ عبد الملك بن هشام. السيرة النبوية. مصدر سابق. الجزء الأول. ص ٢٢٨-٢٢٩

فعقلناه لهم". [١] وفرحت قريش بالخطة وتبنتها واستعدت لتنفيذها.
جاءت الليلة الحاسمة، ليلة الهجرة. وكانت كتيبة المجرمين الإرهابيين تحيط ببيت النبي وتنتظر اللحظة الحاسمة للهجوم عليه وقتله. فقال النبي ﷺ لابن عمه علي وقد أصبح شابا يافعا تجاوز العشرين: "نم على فراشي وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم". [٢]
لبى علي طلب النبي ﷺ من دون نقاش ولا شك ولا ريبة. كان شجاعا ومخلصا للإسلام وللنبي ﷺ. خرج النبي ﷺ من بيته، آخذا حفنة من تراب بيده يحث منها على رؤوس كتيبة الإرهابيين المحيطين ببيته، وقد أعمى الله بصائرهم وأفسد كيدهم فلم يره منهم أحد. وكان عليه الصلاة والسلام يتلو من بدايات سورة يس من بدايته إلى قوله وتعالي: "وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون".
ولما اقتحم الإرهابيون البيت وأحاطوا بفراش النبي ﷺ نظروا في وجه النائم فيه فرأوا عليا بن أبي طالب. فعلموا أن مؤامرتهم خابت وانهارت.
وكان من شرف علي أيضا أن النبي ﷺ أمره أن يبقى في مكة أياما ليعيد للناس الودائع التي كانوا وضعوها عند النبي ﷺ حفظا لها وصونا عند رجل اشتهر بالصدق والأمانة. وفعلا، أدى المهمة ثم التحق بالمدينة مهاجرا مع المهاجرين. وروى ابن اسحاق أنه عندما آخى الرسول ﷺ

(١) ـ المصدر السابق. الجزء الثاني. ص ٩١
(٢) ـ المصدر السابق. ص ١٠٩

بين المهاجرين والأنصار في أول أيام الهجرة، أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: هذا أخي.[1]

من الهجرة إلى وفاة النبي ﷺ بعد ما يزيد قليلا عن عقد من الزمان، كان علي بن أبي طالب حصنا من حصون الدين الجديد، شجاعا لا يعرف الخوف إلى قلبه طريقا، مخلصا لم يخيب أبدا حسن ظن الرسول ﷺ به.

في موقعة بدر التي أصر على قيامها أبو جهل مع عدد من طغاة قريش الآخرين، كان أول من تقدم للمبارزة وانتصر. وكان حاضرا في معارك أحد والخندق، وفي حملة الحديبية وحملة تحرير مكة وفي حنين وفي حصار الطائف. ولم يشارك في غزوة العسرة بأمر من النبي ﷺ. روى مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص قال: "خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في غزوة تبوك. فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي". [2]

وحضر علي بن أبي طالب معركة خيبر. روي مسلم في صحيح عن سهل بن سعد "أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله. فبات الناس يدوكون ليلهم أيهم يعطاها. فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه. فأتي به فبصق رسول الله ﷺ

(١) ـ المصدر السابق. الجزء الثاني. ص ٩١
(٢) ـ المصدر السابق. ص ١٠٩

في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية". [١]

تدل هذه الروايات كلها على المكانة الخاصة التي نالها علي بن أبي طالب في تاريخ الإسلام، وفي قلب رسول الله ﷺ. وتدل أيضا بشكل واضح أنها مكانة استحقها بجميل فعاله وكريم خصاله، وليس فقط بقرابته من النبي ﷺ. مكانته استحقها بتفانيه في خدمة الإسلام ونصرته من المواقع المتقدمة في كل الجبهات.

تزوج علي بن أبي طالب بالسيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ في السنة الثانية للهجرة النبوية ورزق منها بأبنائه الحسن والحسين وأم كلثوم. عاش معها في بيت من بيوت الإيمان والطهر والتقوى، وكان هذا النسب الشريف الكريم عاملا إضافيا من عوامل تقوية الصلة بين علي وسيد الخلق خاتم النبيين محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

بهذه الصفات كلها من القرابة العائلية والروحية، كان على بن أبي طالب حاضرا بقوة في كل ما يتصل بمراسم دفن النبي ﷺ، إثر وفاته في الثاني عشر من ربيع الأول في العام الحادي عشر للهجرة، بعد أن غير وجه الدنيا ومسار التاريخ بأنوار الإسلام. شارك علي في غسل النبي مع العباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وقثم بن العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله ﷺ، وكان أيضا من الذين نزلوا إلى قبره مع الفضل وقثم ابني العباس ومع شقران مولى رسول الله ﷺ.

---

(١) ـ المصدر السابق. ص ١٧٧-١٧٨

بعد وفاة النبي ﷺ، بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الإسلام وتاريخ علي: مرحلة الخلافة الراشدة التي دشنها خليفة رسول الله ﷺأبو بكر الصديق، وأجمع المؤرخون المسلمون أنها ختمت باغتيال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في العام الأربعين من الهجرة.

لم يوص النبي ﷺ بالخلافة السياسية لأحد من بعده، وإنما ترك الأمر لاجتهاد المسلمين. ولم يتضمن القرآن الكريم آية واحدة مفصلة توجه المسلمين إلى ما ينبغي فعله بشكل محدد ودقيق بشأن الحكم السياسي بعد وفاة النبي ﷺ، ولا بشأن طبيعة نظام الحكم. لحكمة إلاهية ترك هذا الأمر للمسلمين، ليجتهدوا في التعاطي معه، ضمن القواعد الكلية للشريعة الإسلامية التي تحث، من ضمن أمور كثيرة نبيلة تحث عليها، على الشورى وتأمر بالعدل والوفاء بالعهد ورعاية الفقراء والمحتاجين والحفاظ على كرامة الإنسان.

بايع المسلمون أبا بكر الصديق خليفة للنبي ﷺ معترفين بمكانته وسابقته في الإسلام وأهليته للقيادة وجمع الصف، وبايعه معهم علي بن أبي طالب. جاء في رواية أنه بايع في اليوم الأول أو الثاني بعد وفاة النبي ﷺ. وجاء في رواية أخرى أنه بايع بعد ستة أشهر، عتابا على خلاف حصل بين الخليفة الجديد والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بشأن ميراثها من رسول الله ﷺ. طلبت السيد فاطمة ميراث أبيها مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، وأجابها أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: لا نورث. ما تركنا صدقة. إنما يأكل آل محمد ﷺ في هذا المال وإني لا أغير شيئا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كان

عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم[١]

توفيت السيدة فاطمة عليها السلام في الثالث من رمضان، في العام الهجري الحادي عشر، أي بعد ستة أشهر فقط من وفاة أبيها خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ. وبعد وفاتها رضي عنها جرى حديث بين أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب تصافيا فيه، وقال فيه علي: "إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله إليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ نصيبا. فدمعت عينا الصديق وأجابه: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي. وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فلم آل فيها عن الخير ولم أترك أمرا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته. فقال علي لأبي بكر: موعدك العشية للبيعة. فلما صلى أبو بكر الظهر رقي على المنبر فتشهد وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة وعذره بالذي اعتذر إليه. ثم استغفر وتشهد علي فعظم حق أبي بكر وحدث أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر ولا إنكارا للذي فضله الله به ولكنا نرى لنا في هذا الأمر نصيبا فاستبد به علينا فوجدنا في أنفسنا. فسر بذلك المسلمون وقالوا: أصبت. وكان المسلمون إلى علي قريبا حين راجع الأمر المعروف". [٢]

كان علي بن أبي طالب مستشارا مرموقا لدى الصديق ولدى عمر بن

(١) ـ صحيح البخاري. مصدر سابق. الجزء الثالث. ص ٥٥
(٢) ـ المصدر السابق. ص ٥٥-٥٦

الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم جميعا. وعندما حضرت الوفاة عمر بن الخطاب، اختار ستة من كبار الصحابة للتشاور وترشيح الخليفة من بعده، وكان من بينهم علي. وانتهت مشاورات الستة بعد ذلك إلى ترشيح عثمان بن عفان ومبايعته ليكون ثالث الخلفاء الراشدين.

وبعد مقتل عثمان، بويع علي بن أبي طالب بالخلافة في شهر ذي الحجة عام ٣٥ للهجرة، وبقي في منصبه هذا إلى حين استشهاده في العام ٤٠ للهجرة، بعد أربع سنوات وتسعة أشهر وعدة أيام، عندما اغتاله الخارجي عبد الرحمن بن ملجم.

لم تتميز فترة حكمه بالإستقرار السياسي. ذلك أن خلافا نشأ بينه وبين عدد من كبار الصحابة ووالي الشام معاوية بن أبي سفيان حول القصاص من قتلة الخليفة الثالث عثمان. رأي علي أن يتم ذلك بعد استتباب الأوضاع في المدينة وتطويق ذيول الفوضى الأمنية التي استشهد في خضمها عثمان. ورأت السيدة عائشة أم المؤمنين، وطلحة والزبير، ثم معاوية بن أبي سفيان أن عثمان قتل مظلوما وأن القصاص من قتلته أمر ضروري وسابق لغيره من الأمور، بما في ذلك الإقرار ببيعة الخليفة الجديد. وسرعان ما تطور الخلاف إلى صراع وقتال، ووقعت حروب ومعارك أشهرها حرب الجمل وحرب النهروان وحرب صفين. وأثناء هذه الصراعات أيضا انتقل علي من المدينة إلى الكوفة واتخذها عاصمة له، وكان ذلك عام ٣٦ للهجرة.

كان علي في فترة حكمه عادلا زاهدا مؤمنا بالشورى، متقشفا في حياته الشخصية، حريصا على المال العام. وقد أجمع علماء المسلمين وأئمتهم أنه كان جديرا بالخلافة وأهلا لها، وأنه كان كان على الحق في

كل المعارك الداخلية التي خاضها.
وصفه الحسن البصري فقال: كان علي والله سهما صائبا من مرامي الله على عدوه، ورباني هذه الأمة، وذا فضلها، وذا سابقتها، وذا قرابتها من رسول الله ﷺ. لم يكن بالنومة عن أمر الله، ولا بالملومة في دين الله، ولا بالسروقة لمال الله، أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة. ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه". (١)
ووصفه ضرار الصدائي في مجلس لمعاوية بن أبي سفيان، بأمر من معاوية، فقال: أما إذ لابد من وصفه، فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا ويحكم عدلا. يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته. وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن. وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه وينبئنا إذا استنبأناه. ونحن والله، مع تقريبه إيانا وقربه منا، لا نكاد نكلمه هيبة له. يعظم أهل الدين ويقرب المساكين، ولا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف في عدله. واشهد أنه قد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه، قابضا على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غري غيري، إلي تعرضت أم إلي تشوفت؟ هيهات هيهات! قد باينتك ثلاثا لا رجع فيها، فعمرك قصير، وخطرك قليل. آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق. فبكي معاوية وقال: رحيم الله أبا الحسن. كان والله كذلك. فكيف حزنك عليه يا ضرار؟

(١) ـ الدكتور علي محمد محمد الصلابي: أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. دمشق ـ بيروت: دار ابن كثير، ٢٠٠٤. ص ٩٦٧

قال: حزن من ذبح ولدها وهو في حجرها. [١]

كان علي رجلا شجاعا مخلصا ونادرا في تاريخ الإسلام. آمن بالله ورسوله منذ نعومة أظفاره ولم يتردد أو يرتب، فأحبه الله ورسوله ﷺ. غامر بروحه في أصعب الأوقات نصرة لدين التوحيد والعدل والحرية. أخلص النصح دائما لرسول الله ﷺ للأمة من بعد ذلك مستشارا للخلافاء الراشدين الذين سبقوه ووليا لأمر المسلمين من بعدهم. وكان عالما وخطيبا مفوها ومن أفضل من تحدث باللغة العربية لفصاحته وبلاغته وروعة أسلوبه. ولقي ربه شهيدا بعد عمر حافل في خدمة الإسلام. اغتاله عبد الرحمن بن ملجم الخارجي وهو خارج من سدته إلى المسجد لأداء صلاة الفجر. رضي الله عن الإمام علي ورفع قدره وذكره وأدخله عليين، مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

فاطمة الزهراء والحسن والحسين

ومن دلائل المقام الرفيع لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه تزوج السيدة فاطمة الزهراء، ابنة المصطفى عليه الصلاة والسلام من السيدة خديجة وقرة عينه. ولدت قبل البعثة بخمس سنوات، وتزوجها الإمام علي في العام الثاني للهجرة، وهي في حدود العشرين من العمر تقريبا. قال عنها النبي ﷺ: "فاطمة سيدة نساء أهل الجنة". [٢] وقال: "فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني". [٣]

---

(١) ـ الدكتور علي محمد محمد الصلابي: خامس الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب. دمشق ـ بيروت: دار ابن كثير، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥. ص ١٨٣-١٨٤

(٢) ـ صحيح البخاري. مصدر سابق. الجزء الثاني. ص ٣٠٦

(٣) ـ المصدر السابق.

عاشت السيدة فاطمة مع زوجها في بيت إيمان وزهد وتقوى، وأنجبت للإمام علي أولاده الحسن والحسين وأم كلثوم، وتوفيت بعد النبي ﷺ بستة أشهر.

مولد الحسن رضي الله تعالى عنه

ولد الحسن في العام الثالث للهجرة، وتوفي عام خمسين أو واحد وخمسين. أما الحسين فقد ولد بعد الحسن بعام، وتوفي شهيدا في العاشر من محرم عام ٦١ للهجرة.

روى البخاري عن أبي بكرة قال: سمعت النبي ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: "ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين". (١)

وعن أسامة بن زيد عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن ويقول "اللهم إني أحبهما فأحبهما". (٢)

عن عقبة بن الحارث قال: رأيت أبا بكر رضي الله عنه وحمل الحسن وهو يقول: بأبي شبيه بالنبي ليس شبيه بعلي، وعلي يضحك. (٣)

قال النبي ﷺ عن الحسن والحسين: "هما ريحانتاي من الدنيا". (٤)

نشأ الحسن والحسين في بيت اشتهر بمكارم الأخلاق، وفتحا أعينهما على الدنيا في حجر جدهما سيد الخلق، وأمهما سيدة نساء أهل الجنة،

(١) ـ المصدر السابق.
(٢) ـ المصدر السابق.
(٣) ـ المصدر السابق.
(٤) ـ المصدر السابق.

وأبيهما الشجاع النبيل التقي. فكانا سيدين من سادات المسلمين خلقا وأدبا وحكمة. شاركا في حملة فتح إفريقية، وكانا من المدافعين عن الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه في وجه المتمردين الذين أشعلوا شرارة الفتنة الكبرى وأدخلوا على الأمة الإسلامية بلاء عظيما.

كان الحسن من المستشارين الحكماء لدى والده رابع الخلفاء الراشدين. ولما استشهد على بعد اغتياله على يدي عبد الرحمن بن ملجم، بايعه أهل العراق بالخلافة، وقد اشترط عليهم أن يسمعوا له ويطيعوا، وأن يسالموا من سالم ويحابوا من حارب. وكانت البيعة حرة واختيارية، ولم تكن بنص من الإمام علي، الذي طلب منه أنصاره تعيين خليفة له فرفض، مفضلا ترك الأمر شورى بين المسلمين.

حقق الحسن نبوءة جده ﷺ وأصلح ذات البين بين المسلمين بتنازله عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان بعد أن رأى أن الحرب بين المسلمين طالت، وانفرط بها عقد الأمن والإستقرار، وتوقفت بسببها حركة الفتوح والدعوة. روى ابن سعد قال: إن معاوية كان يعلم أن الحسن أكره الناس للفتنة. فلما توفي علي بعث إلى الحسن فأصلح الذي بينه وبينه سرا وأعطاه معاوية عهدا إن حدث به حدث والحسن حي ليسمينه، (يقصد للخلافة) وليجعلن هذا الأمر إليه. فلما توثق منه الحسن، قال (عبد الله) بن جعفر: والله إني لجالس عند الحسن إذ أخذت لأقوم فجذب بثوبي وقال: اقعد يا هناه واجلس، فجلست. قال (يعني الحسن): إني قد رايت رأيا وأحب أن تتابعني عليه. قال، قلت: وما هو؟ قال: رأيت أن أعمد إلى المدينة فأنزلها وأخلي بين معاوية وبين هذا الحديث. فقد طالت الفتنة، وسقطت فيها الدماء، وقطعت فيها الأرحام، وقطعت السبل، وعطلت

الفروج (يعني الثغور). فقال ابن جعفر: جزاك الله عن أمة محمد، فأنا معك على هذا الحديث". [١]

ثم دعا الحسن أخاه الحسين فأقنعه بالأمر بعد معارضة أولية منه. ثم بعث الحسن ببيعته إلى معاوية. والتقاه بعد ذلك في منطقة تدعى النخيلة فبايعه وأخبر الناس ببيعته، وكان ذلك سنة ٤١ للهجرة، وسمى الناس ذلك العام عام الجماعة، واتحدت كلمة المسلمين من جديد، وعاد الأمن للناس وللطرق بين الأمصار، وتجددت حركة الفتوح والدعوة من جديد. وحفظ المسلمون فضل الحسن وتضحيته الكبيرة من أجل الوحدة الغسلامية، حفظوها جيلا من بعد جيل وعدها من مناقبه الجليلة. بعض المؤرخين أشاروا إلى المتاعب التي لقيها الحسن من أنصاره في العراق، حيث أنه تعرض بينهم لأكثر من محاولة اغتيال، واعتبروا ذلك عاملا من العوامل التي رجحت لديه خيار الصلح. لكن هذا العامل يظل ثانويا في المعادلة النهائية وإن صح، لأن الحسن حافظ على كتلة معتبرة من الأنصار والمؤيدين وكان بوسعه مقاتلة معاوية إن أراد. إن المعطيات المتوفرة حول هذا الموضوع تشير بوضوح إلى أن الدافع الأول والأكبر لهذا الخيار الصلحي الوفاقي هو إيمان الحسن به وبفائدته على الأمة المسلمة، وهذا من دلائل فضله وحكمته وإخلاصه للإسلام والمسلمين.

(١) ـ الدكتور علي محمد محمد الصلابي: خامس الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب. ص ٣٣٣-٣٣٤

عاش الحسن عشر سنين بعد عام الجماعة وتوفي شهيدا بعد أن تعرض لعملية أغتيال بالسم على يدي مجهول. قال مؤرخو الشيعة أن معاوية بن أبي سفيان كان محرضا على هذه العملية لكن علماء السنة ردوا هذه التهمة ونفوها، وردها واستنكرها العلامة عبد الرحمن بن خلدون أيضا.

مظلمة الحسين رضي الله تعالى عنه

استمرت علاقة الحسين بمعاوية بن أبي سفيان طيبة على العموم بعد استشهاد الإمام الحسن. وكان الحسين يفد كل عام إلى معاوية فيكرمه ويعطيه. وشارك الحسين في الجيش الذي غزا القسطنطينية تحت إمرة يزيد بن معاوية. لكن الحسين لم يقبل مبايعة يزيد بالخلافة، عندما طلبها معاوية لابنه في حياته ثم تأكدت بعد وفاته. استجاب الحسين لدعوات من أهل العراق بالقدوم والإمارة عليهم واسترجاع الخلافة من يزيد، وجاءت الإستجابة مخالفة لنصح أقرب الناس إليه من أهله ومحبيه وعلى رأسهم عبد الله بن عباس.

قال ابن عباس للحسين: "يا ابن عم: إني أتصبر ولا أصبر. إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك. إن أهل العراق قوم غدر فلا تغترن بهم. أقم في هذا البلد حتى ينفي أهل العراق عدوهم ثم اقدم عليهم، وإلا فسر إلى اليمن فإن به حصونا وشعابا، ولأبيك به شيعة، وكن عن الناس في معزل، واكتب إليهم وبث دعاتك فيهم، فإني أرجو إذا فعلت ذلك أن يكون ما تحب. فقال الحسين: يا ابن عم، والله إني لأعلم أنك ناصح شفيق، ولكني قد أزمعت المسير. فقال له: فإن كنت ولابد سائرا فلا

تسر بأولادك ونسائك فوالله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه. ثم قال ابن عباس: أقررت عين ابن الزبير بتخليتك إياه الحجاز، فوالله الذي لا إله إلا هو لو أعلم إنك إن أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علي وعليك الناس أطعتني وأقمت لفعلت ذلك". (١)

وسعى عبد الله بن عمر مسعى مماثلا فلم يقبل منه الحسين، فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال: أستودعك الله من قتيل. وكان أبو سعيد الخدري قال له قبل ذلك: يا أبا عبد الله، إني لكم ناصح، وإني عليكم مشفق، وقد بلغني أنه قد كاتبك قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك إلى الخروج إليهم فلا تخرج إليهم، فإني سمعت أباك يقول بالكوفة: والله لقد مللتهم وأبغضتهم، وملوني وأبغضوني، وما يكون منهم وفاء قط، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب. والله ما لهم نيات ولا عزم على أمر، ولا صبر على السيف". (٢)

لكن قدر الله نافذ ولا راد لأقدار الله. توجه الحسين إلى العراق. وعلم بقتل ابن عمه مسلم بن عقيل، وكان قد سبقه إلى الكوفة يستطلع الأوضاع، فبدا له التأييد كبيرا بادي الأمر وأرسل بخبر ذلك إلى الحسين. لكن أهل الكوفة تخلوا عنه بعد إرسال الخطاب بساعات وأسلموه لواليها الجديد عبيد الله بن زياد فقتله. نزل الحسين بمكان في العراق فاقل: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا: كربلاء. فقال متشائما من اسمها: كرب وبلاء! (٣)

(١) ـ الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية. بيروت: مكتبة المعارف: ١٩٨٨. الطبعة الرابعة. الجزء الثامن. ص ١٦٠
(٢) ـ المصدر السابق. ص ١٦١
(٣) ـ المصدر السابق. ص ١٧٠

كان ما حل بالمسلمين يوم الجمعة العاشر من محرم عام ٦١ للهجرة كربا وبلاء ليس لهما نظير في تاريخ المسلمين. قتل حفيد رسول الله ﷺ وريحانته بأمر من عبيد الله بن زياد، وتحريض خاص من شمر بن ذي الجوشن، وتنفيذ منه ومن جيش شرير لئيم كان يقوده عمر بن سعد بن أبي وقاص عداده نحو ثلاثة آلاف مقاتل. ولم يكن جيش الحسين يعدو على اثنين وسبعين، اثنان وثلاثون فارسا وأربعون راجلا.

عرض عليهم الحسين أن يدعوه يعود إلى مأمنه من الأرض، وقال لهم: يا أيها الناس، إذ قد كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم. فقال له قيس بن الأشعث: ألا تنزل على حكم بني عمك فإنهم لن يؤذوك ولا ترى منهم إلا ما تحب؟ فقال له الحسين: أنت أخو أخيك. أتريد أن تطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل؟ لا والله، لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لهم إقرار العبيد.[1]

كان بوسع جيش القتلة أولئك أن يسمعوا لحفيد رسول الله ﷺ اقتناعا بعرضه أو كرامة لرسول الله ﷺ. لكنهم خابوا وباؤوا بسوء العاقبة وسوء الذكر على مدى التاريخ. زحفوا على الحسين ومن معه فقتلوا أكثرهم، وفيهم سبعة عشر رجلا من أهل بيت النبي ﷺ، من أحفاد فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ. ونال خزي التاريخ الإسلامي كله زرعة بن شريك التميمي: ضرب الحسين على كتفه اليسرى وضرب على عاتقه، جاء سنان بن أبي عمرو بن أنس النخعي فطعنه بالرمح فوقع، ثم نزل فذبحه وحز رأسه. وقيل إن الذي قتله شمر بن ذي الجوشن، وقيل رجل من مذحج، وقيل

---

(١) ـ المصدر السابق. ص ١٧٩

عمر بن سعد بن أبي وقاص، ورد ذلك الحافظ بن كثير وإن كان أثبت أن عمر بن سعد بن أبي وقاص كان أمير السرية التي قتلت الحسين.

كل من شارك في هذه الجريمة نال وزرها الثقيل في تاريخ المسلمين. يزيد الذي أساء إليه والده بمبايعته خليفة دون أن يكون أهلا لهذا المنصب، وكان بوسعه بعد ذلك أن يدخل التاريخ بأمور أخرى غير التوجيه بحرب الحسين ووقعة الحرة. وعبيد الله بن زياد. كان أولى له أن يرعى الغنم ويأكل من خشاش الأرض على أن يسير الجيوش لـــقتل الحسين. وعمر بن سعد، لو عاش معدما لكان خيرا له من أن يذكر في مثل هذه القصة.

مضى الحسين إلى ربه شهيدا. كان خرج إلى العراق بدعوة من أهلها وقد أكدوا له أنه ليس في أعناقهم بيعة لأحد، فلبى دعوتهم يقصد نصر دين الله وإحياء السنة وبسط العدل بين الناس، لكنهم خانوه وخذلوه وأسلموه لعدوه. فكان ما أراده الله وهو العليم الخبير. إنا لله وإنا إليه راجعون.

قتل الحسين مظلوما ونال شرف الشهادة، فلحق بركب الشهداء الكرام من قبله، ومنهم أخوه الحسن، وأبوه علي، وعمه جعفر، وعم أبيه حمزة. واستشهد قبل الحسين من أجل الإسلام وقيمه العظيمة النبيلة مسلمون كثر من أكثر قبائل العرب، نعرف أسماء عدد قليل منهم ويعرف الله تعالى أسماء هذا القليل وأسماء الآخرين وهم الأكثرية. وهو سبحانه يعلم ما في البر والبحر، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

ولا شك أن مقام الشهادة سامق كريم يستحق أهله التهنئة رغم ما بالقتل من حزن ولوعة. وشهادة الحسين درس للأمة المسلمة لتدير أمور

الحكم بالعدل والقسطاس، ولتبسط الشورى في اختيار قادتها، ولترفض الخضوع والذل للظالمين.

ولأنها كذلك وأكثر، فإن المسلم يتوقف عندها ليمنهل من عبرها ودروسها، لكن لا يجوز له أن يبكي الحسين طول الدهر كأنه يستكثر عليه الشهادة، أو كأنه يراه أعظم شأنا من أبيه أو من جده المكرم خاتم النبيين ﷺ. ولا يجوز له النواح وضرب الرؤوس والظهور بالسيوف والحديد والزحف على الأرض باتجاه قبر الحسين. كل هذا مما لم يعرف له دليل واحد في كتاب الله أو في سنة نبيه ﷺ وفي سيرته العملية وتعامله التاريخي مع شهداء بدر وأحد وشهداء الإسلام الآخرين.

وليس ثمة شك أن توظيف مأساة الحسين لتعميق القطيعة بين المسلمين، ولتغذية سوء الظن والكراهية بينهم، وطلب ثأره من أجيال المسلمين المعاصرة، إنما هو نهج مخالف لمبادئ الحسين، مضر بالوحدة الإسلامية، ومخالف للشريعة الغراء التي جاء بها جد الحسين خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ.

رحم الله الحسين، ورضي عنه، وأدخله عليين في الآخرة، مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.



الفصل السادس

زوجات النبي صلى الله عليه وسلم



زوجات النبي صلى الله عليه وسلم

زوجات النبي من أهل بيته الكرام الطيبين الطاهرين ولهم مقام خاص عند كل مسلم بأمر القرآن الكريم. هن أمهات لكل موئمن في كل زمان ومكان، تصديقا وامتثالا لقول الله عز وجل: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب: ٦).

وهن أفضل النساء إن اتقين: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ . (الأحزاب: ٣٢)

وقد نلن هذا الشرف الرفيع بزواجهن من خير خلق الله، خاتم النبيين والمرسلين، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. بعد اكتمال نصابهن في بيت النبوة، صدر الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم في سورة الأحزاب: ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ولا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾. (الأحزاب: ٥٢)

وقد توجه الله تعالي ذي العزة والجلال إليهن بالخطاب في عدة آيات من سورة الأحزاب:

﴿ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً (٣٠) وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ

فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَذي في قَلْبِه مَرَضٌ وقُلْنَ قَوْلاً مَّعْروفاً (٣٢) وقَرْنَ في بُيُوتِكُنَّ ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّة الأولَى وأقِمْنَ الصَّلاةَ وآتِينَ الزَّكَاةَ وأطِعْنَ اللهَّ ورَسُولَهُ إنَّما يُريدُ اللهُّ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (٣٣) واذْكُرْنَ مَا يُتْلَى في بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ والحِكْمَةِ إنَّ اللهَّ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾. (الأحزاب: ٢٨-٣٤)

وقد خير النبي نساءه فاخترن الله ورسوله، وتأكدت أهليتهم ليكن أمهات للمؤمنين، وأفضل نساء العالمين بالتقوى.

وصدرت توجيهات أخرى للمسلمين تؤكد المكانة الخاصة والرفيعة لنساء النبي وتمنع الزواج منهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم:

﴿آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إلاَّ أن يُؤْذَنَ لَكُمْ إلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إنَاهُ ولَكِنْ إذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا ولا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ واللهَّ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ وإذَا سَألْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْألُوهُنَّ مِن ورَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وقُلُوبِهِنَّ ومَا كَانَ لَكُمْ أن تُؤْذُوا رَسُولَ اللهَّ ولا أن تَنكِحُوا أزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أبَداً إنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللهَّ عَظِيماً﴾. (الأحزاب: ٥٣)

من هؤلاء اللواتي نلن هذا الشرف الرفيع ودخلن في عداد أمهات المؤمنين؟

قلت في كتابي "محمد صلى الله عليه وسلم للقرية العالمية" إن أكثر زيجات النبي كانت مبادرات تواصل إجتماعي مع شخصيات وقبائل بارزة في مجتمعه، فهو تزوج سودة بنت زمعة في مكة بعد وفاة زوجته الأولى خديجة. وقد سبق بيان معطيات قليلة موجزة عن فضل خديجة ومكانتها الجليلة في تاريخ الإسلام. وكانت سودة أرملة مات عنها

زوجها وابن عمها السكران بن عمرو وكانت ذات خلق كريم وفضل ومكانة. توفيت سودة في أواخر فترة حكم ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب.

وبعد هجرته إلى المدينة بسبعة أشهر، تزوج عائشة بنت صديقه أبي بكر الصديق، الخليفة الأول في تاريخ الإسلام، وكانت البكر الوحيدة التي تزوجها نبي الإسلام. كانت أحب زوجات النبي صلى الله عليه وسلم إلى قلب النبي صلى الله عليه وسلم بعد خديجة. أخرج البخاري عن أبي عثمان "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن العاص على جيش ذات السلاسل، قال فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. قلت: من الرجال؟ قال: أبوها". (١)

اتهمتها عصابة الإفك فجاءتها البراءة من فوق سبع سماوات، في صورة قرآن يتلى بين الناس إلى يوم القيامة. نهلت من مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم وهي صغيرة متيقظة الذهن، فحفظت منه الكثير، وروت عنه العديد من الأحاديث، وأصبحت بعد وفاته مرجعا موثوقا في السنة النبوية.

عندما مرض النبي صلى الله عليه وسلم استأذن بقية زوجاته أن يقيم في بيت عائشة، وتوفي عندها. وقد أخرج البخاري عن هشام بن عروة أن أباه أخبره عن عائشة رضي الله عنها "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول أين أنا غدا أين أنا غدا؟ يريد يوم عائشة. فأذن له أزواجه يكون حيث شاء. فكان في بيت عائشة

(١) محمد الهاشمي الحامدي: محمد صلى الله عليه وسلم للقرية العالمية. دمشق: مركز الراية للتنمية الفكرية: ٢٠٠٦. ص ٢٠٠-٢٠٦

حتى مات عندها. قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور علي فيه في بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري وخالط ريقه ريقي. ثم قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك يستن به، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن. فأعطانيه. فقضمته ثم مضغته فأعطيته رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستن به وهو مستند إلى صدري". (١)

وقد روى البخاري في صحيحه أن عائشة رضي الله عنها زوجة النبي صلى الله عليه وسلم أخبرت أبا سلمة بن عبد الرحمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "جاءها حين أمر الله أن يخير أزواجه. فبدأ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني ذاكر لك أمرا علا عليك أن تستعجلي حتى تستأمري أبويك، وقد علم أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه. ثم قال إن الله قد قال يا أيها النبي قل لأزواجك إلى تمام الآيتين. فقلت ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، "وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما". وقال قتادة: "واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة": القرآن والسنة". وأضافت السيدة عائشة رضي الله عنها: ثم فعل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت". (٢)

روت عائشة أم المؤمنين أكثر من ألفي حديث شريف عن زوجها خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، وكان الصحابة يعودون إليها يسألونها ويستفتونها في مسائل كثيرة. كما أنها تدخلت في السياسة العامة للدولة

---

(١) ـ صحيح البخاري. الجزء الثالث. مصدر سابق. ص ٧٥
(٢) ـ المصدر السابق. ص ٩٤

الإسلامية بعد اغتيال عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وطالبت بالقصاص من قتلته، ودخلت في معركة الجمل المشهورة مع جيش أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. أرادت أم المؤمنين الإصلاح وتطبيق العدالة ومنع تكرار ما جرى لعثمان على أيدي المتمردين الذين أحدثو الفوضى وأشعلوا الفتنة في المدينة. كان ذلك قصدها، وقد احترم عموم علماء المسلمين اجتهادها، ورأوا أن الحق كان مع الخليفة علي بن أبي طالب في أسلوبه في التعامل مع الأزمة.

وعندما مرضت عائشة رضي الله عنها مرض موتها في رمضان سنة ٥٨ هجرية، استأذن عليها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فأذنت له. قال: "كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيت. قال: فأنت بخير إن شاء الله. زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لم ينكح بكرا غيرك ونزل عذرك من السماء". (١)

وفي السنة الثالثة للهجرة تزوج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب، الخليفة الثاني في تاريخ الإسلام، بعد أن مات عنها زوجها خنيس بن حذافة. ولدت قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وتوفيت عام ٤٥ للهجرة، واشتهرت بأنها كانت صوامة قوامة. كما ذكر اسمها في عملية جمع المصحف الشريف فقد حفظه عندها والدها الخليفة عمر بن الخطاب إلى أن جاء الخليفة الثالث عثمان بن عفان وأتم عملية جمع المصحف واعتماده.

وفي العام الرابع للهجرة، تزوج زينب بنت خزيمة، بعد أن استشهد

---

(١) ـ المصدر السابق. ص ١٧٥

زوجها الأول عبد الله بن جحش في معركة أحد. وكانت زينب امرأة صالحة مشهورة بعطفها على المحتاجين، اشتهرت باسم أم المساكين، و لم تعش بعد زواجها من النبي إلا شهرين أو ثلاثة.

وفي شوال من نفس العام تزوج أم سلمة هند بنت أبي أمية إكراما لها، وهي أرملة ابن عمته أبي سلمة. اشتهرت أم سلمة بحكمتها ونصيحتها المسددة للنبي صلى الله عليه وسلم بعد صلح الحديبية، عندما شق على المسلمين تقبل بعض بنود الصلح فتلكأوا في تنفيذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم بنحر هديهم وحلق شعورهم والتحلل من إحرامهم. جاء في مسند الإمام أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أم سلمة فقال: "يا أم سلمة: ما شأن الناس؟ قالت: يا رسول الله قد دخلهم ما قد رأيت فلا تكلمن منهم إنسانا. واعمد إلى هديك حيث كان فانحره واحلق، فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكلم أحدا حتى أتي هديه فنحره ثم جلس فحلق، فقام الناس ينحرون ويحلقون. حتى إذا كان بين مكة والمدينة وسط الطريق فنزلت سورة الفتح".

هذه نصيحة توزن بجبال من الذهب، تظهر حكمة أم المؤمنين أم سلمة ورجاحة عقلها وبرها بزوجها المبعوث رحمة للعالمين. توفيت أم سلمة عام ٦١ هجرية.

وفي ذي القعدة من العام الخامس للهجرة تزوج الرسول أيضا من زينب بنت جحش بنت عمته بعد طلاقها من زيد بن حارثة الذي كان الرسول قد تبناه منذ شبابه في مكة المكرمة، في تأكيد لموقف الإسلام من التبني ورفضه قيام الناس بادعاء أبوتهم للأبناء الذين يحتضنونهم

ويرعونهم. شهدت لها السيد عائشة فقالت: "لم أر امرأة قط خيرا في الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرب به إلى الله تعالى".[١]

وفي شعبان من العام السادس للهجرة تزوج جويرية بنت الحارث، والحارث هو زعيم قبيلة بني المصطلق، وكان هذا الزواج سببا في تسوية آثار الخصومة والنزاع بين المسلمين وبين بني المصطلق. توفيت جويرية عام خمسين هجرية.

كما تزوج النبي أيضا من أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش، لكنه غير دينه واعتنق المسيحية ومات هناك. أما هي فبقيت على دين الإسلام، وقد خطبها النبي من النجاشي ملك الحبشة فزوجها إياه في العام السابع للهجرة. جاء والدها إلى المدينة قبيل حملة تحرير مكة ليعالج آثار نقض حلفاء قريش لصلح الحديبية ودخل عليها فمنعته أن يجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه مشرك. فعلت ذلك محبة لزوجها وإكراما لنبي الأمة صلى الله عليه وسلم، و لم تخش في الله لومة لائم. توفيت أم حبيبة عام ٤٤ هجرية.

وتزوج النبي من صفية بنت حيي، وكان أبوها من زعماء القبائل اليهودية، في العام السابع للهجرة. توفيت سنة ٥٢ هجرية.

كما تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية في نفس العام بعد الفراغ من عمرة القضاء.

---

(١) ـ المصدر السابق. ص ١٦٦

مات في حياة النبي من هؤلاء الزوجات خديجة بنت خويلد وزينب بنت خزيمة، ومات النبي عن تسع زوجات منهن[١].

ومن كل أمهات المؤمنين اللائي بنى بهن الرسول صلى الله عليه وسلم، كانت عائشة وحدها المرأة البكر التي تزوجها النبي. وكان من بين من تبقى أرامل ومطلقات. وسمى الإسلام نساء النبي أمهات المؤمنين.

وكان المقوقس حاكم مصر أهدى النبي جارية، على الأعراف الجارية في ذلك العصر، هي مارية القبطية، وقد أنجبت للنبي ولدا سماه إبراهيم، لكنه مات صغيرا في العام العاشر للهجرة. وكان للنبي سرية ثانية هي ريحانة بنت زيد القرظية.

أم المؤمنين خديجة بنت خويلد كانت أولى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وأحبهن إلى نفسه. عاش معها حتى وفاتها لم يتزوج عليها. وكانت سودة زوجته الثانية في مكة امرأة كبيرة في السن. وهذا يدل دلالة قاطعة على أن دوافع النبي في زيجاته لم تكن شهوة في تعداد النساء، لأن ذلك لو كان يشغله لبادر إليه من شبابه.

تزوج النبي بعد هجرته إلى المدينة بقية نسائه لاعتبارات اجتماعية وشخصية وقبلية، صبت كلها في مصلحة الدعوة الإسلامية. فقد سمحت هذه الزيجات للنبي بتوثيق علاقته بأبرز الصحابة الذين ساندوه في كفاحه من أجل نشر دعوة الإسلام، أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان الذي تزوج اثنتين من بنات النبي. أما علي بن أبي طالب فقد صاهر النبي أيضا من خلال زواجه بفاطمة الزهراء بنت محمد بن عبد الله.

---

(١) صحيح مسلم. الجزء ١٥. ص ٢٠٦

وصاهر النبي أبا سفيان بن حرب زعيم طغاة قريش فخفف ذلك بشكل أو بآخر من حدة هذا الرجل ضد الدولة الإسلامية. وتزوج من جويرية بنت الحارث فأسهم ذلك في توثيق العلاقات بين المسلمين وبين قبيلة بني المصطلق بعد الحرب والخصومة.

يدل هذا على أن هذه المصاهرات سمحت بتوثيق العلاقات بين الدولة الإسلامية الناشئة وقبائل عربية أخرى، وتسهيل حل بعض المنازعات والخصومات، في بيئة عربية كانت ومازالت تسبغ الكثير من الإحترام والأهمية على النسب والروابط الأسرية.

ومع تأكيد أهمية هذه الإعتبارات في فهم زيجات النبي بعد الهجرة، فإن من الثابت أنه كان حريصا على أداء واجباته الزوجية مع نسائه، في جو من الحب والعطف والرعاية، ضمن ظروفه الخاصة التي جعلته يقضي تسعة أعشار وقته أو أكثر في إبلاغ رسالة الإسلام إلى العالم وفي تأسيس الدولة الإسلامية الأولى والدفاع عنها أمام أعدائها الكثر.

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ملكا و لم يسكن زوجاته في قصور الملوك. كانت مكانته في نفوس أصحابه عظيمة وسامية، وكانوا يحبونه أكثر مما يحبون أنفسهم، لكنه لم يوظف مكانته هذه ليعيش عيشة الملوك، وبقي زاهدا في متاع الدنيا، يمر عليه الشهر والشهران دون أن توقد في بيته نار يطبخ عليها طعام له، وتمر عليه الأيام وهو يربط الحجر على بطنه من الجوع، وأكثر غذائه التمر والماء.

ولشد ما تضيق صدور بعض أعداء الإسلام في الماضي وفي الحاضر عند تذكيرهم ببعض هذه المعطيات. فهم حاولوا دائما ومازالوا يحاولون أن يجعلوا من زيجات النبي مصدرا للنيل منه ومن الإسلام، مع أنهم

لا يمانعون أبدا في أن يخون الرجل زوجته ويعاشر العشرات من النساء معاشرة الخليلات، ومع أنهم يؤيدون إلغاء كل القيود على سائر أشكال العلاقات الجنسية بين الناس، بما في ذلك العلاقة بين الرجل والرجل، وبين المرأة والمرأة. وقد سعى هؤلاء الخصوم دائما إلى تجاهل الطابع الإجتماعي والسياسي الهام لأكثر زيجات النبي، وحاولوا توظيفها للنيل من شخصيته، وتصويره على أنه طالب لذة.

لكن سعيهم هذا سرعان ما ينهار عندما ينظر أي طالب علم وأي باحث في سيرة النبي، ويرى إعراضه عن الملذات في كل مراحل حياته، سواء عندما كان شابا، أو عندما عرض عليه زعماء قريش المال والملك وتلبية كل ما يطلب لقاء تخليه عن الدعوة والإسلام، أو عندما أصبح رئيسا لدولة المدينة، وزعيما للجزيرة العربية، وأصر مع ذلك على أن يعيش عيشة الفقراء، وقد كان بوسعه أن يكون أغنى ملوك زمانه لو أراد. هذا كله مع العلم بأن تعدد الزوجات كان عادة شائعة في الجزيرة العربية آنذاك، ومازال تعدد الزوجات شائعا حتى اليوم في الكثير من المجتمعات القبلية غير المسلمة، وخاصة وسط العديد من القبائل الأفريقية التي يتزوج فيها الرجل الواحد بعشرات النساء.

أكرم النبي من تزوج بهن من النساء، وجمع بزواجه من بعضهن شمل أصحابه، ووطد العلاقة مع قبائل ودول، وقدم في حياته معهن المثال الصالح للزوج الصالح الذي يعامل زوجاته بأعلى درجات الخلق الرفيع، رغم ظروفه الشخصية الإستثنائية كرسول اصطفاه ربه لإبلاغ رسالة الإسلام للدنيا بأسرها. كان سلوكه سلوك الأنبياء والزعماء والمصلحين العظام بدون ريب ولا شك، وهو منهج التزم به النبي في

كل مراحل حياته، وضرب به المثل للمسلمين وغير المسلمين، ولذلك شهد له القاصي والداني بالنبل والكرم والتواضع والرحمة والشجاعة والإيثار، وشهد له القرآن الكريم في آية جامعة:﴿وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ . (القلم: ٤)

أوضح القرآن الكريم والنبي صلى الله عليه وسلم أن القاعدة العامة للزواج في المجتمعات المسلمة هي زواج الرجل بواحدة، كما كان شأن النبي في مكة مع خديجة أم المؤمنين. وأباحت الشريعة الإسلامية للرجل الزواج بأكثر من زوجة واحدة، وبأربعة زوجات كحد أقصى، في الحالات الإستثائية، مع اشتراط العدل بين الزوجات. وقد اتجه عدد معتبر من علماء المسلمين المعاصرين إلى التضييق على ممارسة تعدد الزوجات ووضع شروط عديدة لها. وحرم الإسلام العلاقات الجنسية خارج الزواج ووضع لها عقوبات شديدة. وفي كل الأحوال، فإن القاعدة السائدة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة هي زواج الرجل بزوجة واحدة، وانحسار ظاهرة تعدد الزوجات إلى نسبة لا تصل معشار الواحد بالمائة في المجتمعات الإسلامية.

وبينما وافقت كثير من المجتمعات الديمقراطية على منح المرأة حق التصويت في الإنتخابات العامة في وقت متأخر من القرن الميلادي العشرين، فإن رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، رسالة الإسلام، منحت المرأة حق المساهمة في الشأن السياسي والشأن العام منذ البيعة الأولى في تاريخ الإسلام قبل الهجرة، وفي البيعة الرئيسية الثانية. كما منحتها حق حيازة ملكيتها الخاصة، وممارسة التجارة، والتصرف في أموالها بحرية، والميراث، وكل الحقوق الأساسية الأخرى التي كافحت

المرأة لعدة قرون من أجل نيلها في العديد من البلدان. وكانت الأرضية الدينية والقانونية لكل هذه الحقوق هي إقرار المساواة بين الرجل والمرأة: ﴿والْمُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ويُقِيمُونَ الصَّلاَةَ ويُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ويُطِيعُونَ اللَّهَ ورَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ومَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ورِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. (التوبة: ٧١-٧٢)

وعلى هذا الأساس الفلسفي والديني الذي يكفل كرامة المرأة وحقوقها السياسية والإقتصادية، ويعطيها مع الرجل صفة خليفة الله في الأرض، على هذا الأساس يمكن فهم التجاوب الكبير الذي لقيه الإسلام منذ أيامه الأولى وحتى اليوم في عقول النساء وقلوبهن، حتى أن أول إنسان آمن بالإسلام امرأة، وأول إنسان قدم حياته دفاعا عن إيمانه بالإسلام امرأة.

وعلى هذا الأساس أيضا يمكن فهم المكانة المتميزة التي بقيت للعائلة في المجتمعات الإسلامية، لأن الشريعة الإسلامية أكدت كرامة المرأة وحفظت حقوقها ضمن سياق أكبر أعطى حقوقا للآباء والأمهات، وللأبناء والبنات، وللأقارب عامة، حتى كانت رعاية صلة الرحم من التعاليم الرئيسية الثابتة في توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وللمسلمين على مر الأزمان.

وفي العام الهجري الخامس شرع الإسلام الحجاب للمرأة المسلمة، مع خصوصية زائدة لزوجات النبي، إبرازا للمكانة المتميزة التي نلنها باقترانهن بخاتم الأنبياء. وأوصى الإسلام المرأة بأن تمارس دورها في

المجتمع كإنسانة كاملة الحقوق والواجبات، وليس كأداة للدعاية أو الإغواء، من خلال تشريع تغطية شعر الرأس، وارتداء لباس ساتر للجسد، لا يبدو منه إلا الوجه والكفان.

وقبلت النساء المسلمات عبر العصور هذا التوجيه والتزمت الأغلبية الواسعة منهن به، رغم أن القرن الماضي شهد قيام حملة واسعة لحث المرأة المسلمة على خلع الحجاب واعتباره من التقاليد البالية. ويشهد كل من يتجول اليوم في شوارع القاهرة أو جاكرتا أو اسطمبول وأكثر المدن الإسلامية الأخرى في العالم أن ارتداء الحجاب ما يزال القاعدة في صفوف النساء المسلمات، وأن المرأة المسلمة لم تر في ارتداء الحجاب ما يقلل من إنسانيتها أو ما يعوق أدائها لوظائفها المختلفة في المجتمع

هناك الآن كثيرون ممن يستخدمون المرأة كأداة للإغراء والإثارة ووسيلة لترويج السيارات والعطور والصابون وأجهزة الكمبيوتر وعقود التأمين وقروض شراء المنازل. ويرى هؤلاء أن تغطية المرأة لشعرها وارتداءها لباسا ساترا يعد استنقاصا من قيمة المرأة ومكانتها، وهم يرددون هذا الرأي بوجه خاص في مواجهة حق المسلمة في ارتداء الحجاب، ولا يرددونه للإعتراض على الحجاب المماثل الذي تلتزم به الراهبات المسيحيات ونساء يتبعن ديانات وشرائع وتقاليد أخرى في أنحاء العالم.

ولاشك أن المرأة المسلمة ما كانت لتلتزم بالحجاب لو كانت ترى فيه منقصة من كرامتها. كما أن الراهبة المسيحية ما كانت لتلبس حجابها لو كانت ترى فيه إهانة لها. ولكن المتشددين من خصوم الدين عامة، ومن الناقمين على الإسلام بوجه خاص عن جهل أو لاعتبارات أخرى غير موضوعية، وهم أقلية على الدوام، يرون في توظيف المرأة جسدا للإثارة

والتسويق والإغراء ممارسة عادية لا تثير أي قلق أو اعتراض، ويصيبهم حماس شديد لصياغة القوانين المقيدة للحريات إذا تعلق الأمر بالتضييق على حق المرأة المسلمة في ارتداء الحجاب.

وتقتضي الموضوعية هنا تأكيد أن الأغلبية الساحقة من دول العالم تحترم حق المرأة المسلمة في ارتداء الحجاب، وأن من ينشط عمليا للتضييق على هذا الحق قلة قليلة محدودة على الصعيد الدولي، وقت كتابة هذه السطور، في العام السادس بعد الألف الثانية للميلاد.

الفصل السابع

العباس وابنه حبر الأمة



العباس وابنه حبر الأمة

العباس بن عبد المطلب عمود من أعمدة أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم. كان نعم العم له، مخلصا في موالاته لنبي الإسلام عليه الصلاة والسلام في كل الأوقات.

ولد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين أو ثلاثة، فكان قريبا جدا منه في العمر وتوفي في السنة الثانية والثلاثين بعد الهجرة، عن ثمان وثمانين سنة، وصلى عليه عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين. وهو جد خلفاء الدولة العباسية.

دور العباس في بيعة العقبة الثانية

حضر بيعة العقبة الثانية رغم أنه لم يكن دخل في الإسلام بعد. كانت تلك البيعة حدثا عظيما في تاريخ الإسلام، وقد كتبت عنها وعن دور العباس فيها في كتابي "محمد صلى الله عليه وسلم للقرية العالمية". قلت: جاء موسم حج العرب الى مكة، في العام الثاني عشر من عمر الدعوة الإسلامية، فعاد السفير الناجح مصعب بن عمير الى النبي يقدم له تقريرا عما أنجزه في يثرب. لكنه لم يأت وحده، وإنما جاء معه وفد كبير من المسلمين المتشوقين الى لقاء الرسول، والذين اتخذوا قرارا حاسما بتأييده

وتأييد دينه. ولاشك أن التطورات الضخمة التي حصلت في يثرب وصبت في صالح الدعوة الإسلامية، قد قادت الى بروز خيار استراتيجي جديد للنبي، هو أن يهاجر من مكة الى المدينة الجديدة التي آمنت به، ليتخذها قاعدة وعاصمة يبشر منها بالإسلام ويرفع الظلم والقمع عن المسلمين. ومع أن مكة قبلة العرب ومسقط رأس النبي وأهله، فإنه قد قضى فيها الآن اثني عشر عاما منذ نزول الوحي إليه، و لم ير من زعماء قريش إلا الصد والتعسف والظلم والتشويه.

كان أكثر الحجاج الى مكة من المشركين. يعبدون الله ويعبدون الأصنام معه، ويقولون أحيانا في معرض الدفاع عن أنفسهم إنهم لا يعبدون الأصنام إلا لتقربهم من الله زلفى. وفي مكة أرض الحج، كان زعماء المشركين الذين قادوا الحملة على الإسلام هم السادة أصحاب الأمر والنهي.

لذلك بذل النبي كل ما في وسعه ليحجب أخبار لقائه بمسلمي يثرب عن أعين أعدائه. فلما كانت احدى الليالي الأخيرة من أيام التشريق، وهي المرحلة الأخيرة من الحج، نام المسلمون مع رفاقهم من الحجاج المشركين أول الليل. حتى إذا مضى الثلث الأول منه، واطمأنوا الى أن العيون التي ترصدهم نامت أو غفلت، خرجوا متسللين الى موعد سبق تحديده لهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين، هما نسيبة بنت كعب وتدعى أم عمارة، وأسماء بنت عمرو وتدعى أم منيع.

كان ممن رافق النبي لهذا اللقاء عمه العباس بن عبد المطلب، وهو

لم يكن قد دخل في الإسلام آنذاك، ولكنه كان نصيرا للنبي مهتما بأمره بسبب القرابة العائلية بينهما. حتى إذا اكتمل نصاب المجتمعين، قام العباس مخاطبا أهل المدينة، وقد أدرك أن ما يدور أمام عينيه اجتماع حاسم وتاريخي، وستترتب عليه أوضاع سياسية وأمنية وعسكرية جديدة. قال العباس:

"إن محمدا منا حيث قد علمتم. وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه. فهو في عز من قومه ومنعة من بلده، وإنه قد أبى إلا الإنحياز اليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك. وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده".

تدل كلمة العباس أن القرار الإستراتيجي بالهجرة الى يثرب قد تم اتخاذه من جهة المبدأ، لكن تأكيده كان يتطلب بيعة رسمية من أهل يثرب المسلمين للرسول، بيعة تتضمن بوضوح التبعات التي يمكن أن تنجر على أهلها، حتى يمضوا فيها واثقين مصممين، أو ينسحبوا منها منذ البداية إن كانوا غير قادرين على الوفاء ببنودها.

قال وفد يثرب للعباس إنهم يريدون أن يسمعوا من النبي مباشرة ما يطلبه لربه ولنفسه. فتحدث النبي لهم عن دعوة الإسلام مبادئها، وحثهم على التمسك بها، وقرأ عليهم من القرآن الكريم، وأوضح لهم أن البيعة التي يطلبها تشمل التزامهم بأن يحموه مما يحمون منه نساءهم وأبناءهم.

عرض النبي مطالبه على أهل يثرب بشفافية كاملة، فهو كان يعرف أن طغاة مكة لن يسمحوا للنبي و المسلمين بتأسيس مركز إسلامي مستقل، وسيدخلون الحرب من أجل استئصاله. والحرب في هذه الحالة لن تكون موجهة للنبي وأتباعه من مسلمي مكة وحدهم، وإنما ستستهدف أيضا أهل يثرب والمسلمين كافة. ومن هنا لزم أن يعرف هؤلاء الذين يحدثهم ما هم مقدمون عليه.

ويبدو أن العباس عم الرسول كان حريصا جدا على استكشاف مدى استعداد أهل يثرب للتضحية في سبيل الإسلام والرسول، فعاد وبين لهم أن قبائل كثيرة ستستهدفهم بالحرب إن هم مضوا في بيعتهم، وأن أشرافهم سيلقون القتل وأموالهم ستنهب من القوى المعادية للإسلام. فقال أهل يثرب في موقف تاريخي حاسم: " إنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الاشراف، فما لنا يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قال الجنة. قالوا: ابسط يدك. فبسط يده فبايعوه". (١)

العباس في موقعة حنين

أسلم العباس عام فتح مكة. خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجحفة وعاد معه في حملة تحرير مكة. ونقل الحافظ بن كثير روايات تفيد بإسلامه قبل ذلك وبقائه في مكة بإذن من النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) ـ محمد الهاشمي الحامدي: محمد صلى الله عليه وسلم للقرية العالمية. مصدر سابق. ص ١٠٦-١٠٧

برز اسم العباس بن عبد المطلب أيضا في موقعة حنين، وقد أشرت إلى فضله فيها في كتابي عن السيرة النبوية.[1] خرج النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة على رأس أكبر جيش قاده منذ هجرته إلى المدينة قبل ثمان سنوات. ولاشك أن كثيرا من المشاركين في الحملة أحسوا بالزهو والأمان والإطمئنان، حتى جزم بعضهم بالنصر واعتبروه مضمونا دون شك ولا ريب.

وقد تحقق النصر بالفعل، ولكن بعد مفاجأة خطيرة وامتحان قاس، حدث بها جابر بن عبد الله، من صحابة النبي. قال: لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في واد من أودية تهامة أجوف حطوط، إنما ننحدر فيه انحدارا، في عماية الصبح، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي، فكمنوا لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه، وقد أجمعوا وتهيأوا وأعدوا، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد، وانشمر الناس راجعين لا يلوي أحد على أحد.

مفاجأة عسكرية لم يحتط لها المسلمون أدت إلى ارتباكهم وانكسارهم وتراجعهم طلبا للنجاة من عدو سبقهم إلى ساحة المعركة واختار أفضل المواضع فيها وانقض عليهم بالسهام والسيوف في طرفة عين. أكثر الناس أذهلتهم المفاجأة فتراجعوا لا يلوي أحد على أحد كما قال جابر. أكثر الناس فعلوا ذلك إلا أشجعهم وأكثرهم ثقة بالله وبالحق الذي جاء به هدى للناس، النبي محمد بن عبد الله، فقد انحاز إلى يمين الوادي وهتف في جنوده المتراجعين: أين أيها الناس؟ هلموا إلي، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله.

(١) المصدر السابق. ص ٢٥٨-٢٥٩

أكثر المتراجعين ما سمعوا أو ما رغبوا في سماع النداء. لكن عددا من المهاجرين والأنصار لبوا النداء وثبتوا مع قائدهم، ومنهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب والمغيرة أبو سفيان بن الحارث وابنه جعفر والفضل بن العباس وربيعة بن الحارث وأسامة بن زيد، وأيمن بن عبيد الذي استشهد ذلك اليوم.

ونظر بعض الذين أسلموا في حملة تحرير مكة إلى ما يجري أمام أعينهم من تراجع المسلمين وهزيمتهم فكشفوا عما بقي في نفوسهم ضد الإسلام وأهله. كان من هؤلاء أبو سفيان بن حرب، ومعه الأزلام في لمعة كنانته لم يتخلص منها رغم أنها مخالفة لتعاليم الإسلام، فقال: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر! وقال كلدة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية الذي أعطاه النبي الأمان بعد أن كان يفكر في ركوب البحر والهجرة من بلاده، قال: ألا بطل السحر اليوم. ويحمد لصفوان أنه لم يشمت مثل أخيه، ولو لاعتبارات قبلية بحتة، فقد رد على أخيه: اسكت فض الله فاك، فوالله لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن.

لكن شماتة أبي سفيان وكلدة بن الحنبل كانت متسرعة. فالنبي الشجاع الواثق من وعد الله صمد ومعه نخبة من المؤمنين الصادقين. ويروي عمه العباس عن تفاصيل تلك اللحظات الصعبة: كنت امرؤا جسيما شديد الصوت، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى من الناس: أين ايها الناس؟ فلم أر الناس يلوون على شيء. فقال: يا عباس: اصرخ يا معشر الأنصار، يا معشر أصحاب السمرة. فأجابوا: لبيك، لبيك. فيذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقدر على ذلك، فيأخذ درعه

فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره، ويخلي سبيله، فيؤم الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا. وكانت الدعوى أول ما كانت: يا للأنصار. ثم خلصت أخيرا: يا للخزرج، وكانوا صبرا عند الحرب، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه، فنظر إلى مجتلد القوم وهم يجتلدون، فقال: الآن حمي الوطيس.

ثبت النبي القائد رغم وطأة الصدمة لم يتزعزع، فعادت الثقة إلى أصحابه، وعلى رأسهم قادة المهاجرين وشجعان الأنصار الذين ناداهم النبي فلم يخيبوا ظنه. ثم سرعان ما عاد المتراجعون من المسلمين إلى ساحة الدفاع عن الحق وعن نبيهم، فاستقام الأمر لهم ودارت الدائرة على جيش المعتدين من هوازن وثقيف.

انتصر المسلمون إذن بعد امتحان عسير أول الأمر، ونزل من السماء قرآن كريم يبين نعمة الله على عباده من بعد أن غرتهم كثرتهم وكادوا يهزمون:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (التوبة: ٢٥-٢٦)

عمر يستسقي بالعباس

أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون". (١)

وقال ابن كثير عن العباس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجله ويعظمه وينزله منزلة الوالد من الولد ويقول "هذا بقية آبائي". وكان من أوصل الناس لقريش وأشفقهم عليهم. وكان ذا رأي وعقل تام واف. وكان طويلا جميلا أبيض بضا ذا ظفرتين وكان له من الولد عشرة ذكور سوى الإناث، وهم تمام، وكان أصغرهم، والحارث، وعبد الله، وعبيد الله، وعبد الرحمن، وعون، والفضل، وقثم، وكثير ومعبد. (٢)

حبر الأمة عبد الله بن عباس

من أشهر أبنائه حبر الأمة الإسلامية عبد الله بن عباس. ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي سنة ٦٨ هجرية. روى ابن عباس قال: ضمني النبي صلى الله عليه وسلم إلى صدره وقال: اللهم علمه الحكمة. (٣)

---

(١) ـ صحيح البخاري. الجزء الثاني. ص ٣٠١
(٢) ـ الحافظ بن كثير: البداية والنهاية. مصدر سابق. الجزء السابع. ص ١٦١
(٣) ـ صحيح البخاري. الجزء الثاني. ص ٣٠٦

وقال الحافظ بن كثير: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو العباس الهاشمي بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، حبر هذه الأمة، ومفسر كتاب الله وترجمانه، كان يقال له الحبر والبحر، وروى عن رسول الله شيئا كثيرا، وعن جماعة من الصحابة، وأخذ عنه خلق من الصحابة وأمم من التابعين، وله مفردات ليست لغيره من الصحابة لاتساع علمه وكثرة فهمه وكما عقله وسعة فضله ونبل أصله، رضي الله عنه وأرضاه. [١]

كان عبد الله بن عباس يفتي في عهد الخليفتين عمر وعثمان. شارك في حملة فتح إفريقية عام ٢٧ هجرية في عهد الخليفة عثمان بن عفان. وتولى إمامة الحج بأمر الخليفة عثمان عام ٣٥ هجرية. وشارك مع الإمام علي في موقعتي صفين والنهروان، وكان ممن نصحه بأن يتريث في عزل معاوية عن ولاية الشام. تولى ولاية البصرة في عهد الإمام علي، وقدم على معاوية بعد استتباب الأمر له فأكرمه وقربه وأولاه الإهتمام اللائق به. وعندما قرر الإمام الحسين تلبية دعوة أهل العراق ومواجهة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان نهاه بقوة وعارضه معارضة شديدة وحذره من خطورة العواقب. لكن الحسين تمسك برأيه وكان ما قدر الله.

وعندما حصل النزاع على الحكم بين عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان، رفض عبد الله بن عباس مع محمد بن الحنفية مبايعة ابن الزبير رغم أنه طلب منهما ذلك، وكانا مقيمين مع ابن الزبير في مكة المكرمة. لم يبايع ابن عباس وابن الحنفية أيا من طرفي النزاع واعتزلا الساحة السياسية، فغضب ابن الزبير وهم بالإنتقام منهما، فاستنصرا عليه

(١) ـ الحافظ بن كثير: البداية والنهاية. مصدر سابق. الجزء الثامن. ص ٢٩٥

بمؤيديهما من العراق فأنقذوهما منه، وانتقلوا بهما إلى الطائف، وفيها مات ابن عباس.

عن عبيد الله بن أبي يزيد قال: كان ابن عباس إذا سئل عن مسألة فإن كانت في كتاب الله قال بها، وإن لم تكن وهي في السنة قال بها، فإن لم يقلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجدها عن أبي بكر وعمر قال بها، وإلا اجتهد رأيه.(١)

وقال اسحاق بن راهويه: "ابن عباس كان قد أخذ ما عند علي من التفسير، وضم إلى ذلك ما أخذه عن أبي بكر وعمر وعثمان وأبي بن كعب وغيرهم من كبار الصحابة، مع دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له أن يعلمه الله الكتاب. (٢)

رزق العباس بولدين: العباس وعلي، وسمي بعلي السجاد لكثرة صلاته، وكان جميلا حسن الوجه مداوما على الذكر والصلاة، وفي ذريته كانت الخلافة العباسية.

قال عمرو بن دينار عن مجلس عبد الله بن عباس: ما رأيت مجلسا أجمع لكل خير من مجلسه، الحلال والحرام وتفسير القرآن والعربية والشعر والطعام.(٣)

رضي الله عن العباس وأولاده، وجزاهم خير الجزاء على كل ما قدموه لنصرة الإسلام ونبيه.

ورضي الله عن حبر الأمة عبد الله بن عباس ورفع قدره بين الناس وفي الملأ الأعلى.

---

(١) ـ المصدر السابق. ص ٣٠٣
(٢) ـ المصدر السابق. ص ٣٠٣
(٣) ـ المصدر السابق. ص ٣٠٢

الفصل الثامن

حقوق أهل البيت

حقوق أهل البيت

بعد بيان هدي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في توقير أهل البيت ومحبتهم وموالاتهم، وبعد التعريف بأهل البيت وأشهر أعلامهم وعائلاتهم وفروعهم، حان الوقت لتقديم هذه الخلاصة الموجزة عن حقوقهم المقررة في الشريعة الإسلامية وعند فقهاء المسلمين.

١ ـ حق المحبة والموالاة والنصرة للمؤمنين الصالحين من أهل بيت النبي صلى الله عليه، تنفيذا لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم بهم، في قوله: أوصيكم الله في أهل بيتي. وواضح طبعا أن الإيمان والتقوى هما الأساس لكل الحقوق الشرعية لأهل البيت. فمن كان من خاصة قرابة النبي صلى الله عليه وسلم وهو على غير دين الإسلام لم تنفعه هذه القرابة بشيء أبدا، وأبو لهب خير مثال على ذلك. وواضح أيضا أن هذا الحق والحقوق الأخرى المبينة لاحقا مكفولة فقط للمنتسبين حقا وصدقا لأهل البيت وليس للمدعين هذا النسب زورا وكذبا.

ويدخل في هذه التوصية كل ما يسر خاطر النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه العناية والرعاية بأهل بيته الكرام البررة. من ذلك تقديم أهل البيت وتكريمهم، وتبجيل العلماء والزعماء منهم وتوقيرهم، وإبداء الإحترام والتقدير الكبيرين لعامتهم، والدفاع عنهم عند الحاجة ونصرتهم، وترويج فضائلهم، ومحبتهم الحب الصافي الصادق لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢ ـ الصلاة والسلام على آل محمد في التشهد الأخير من كل صلاة.

٣ ـ أمر القرآن الكريم بمنح أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم حقهم من خمس الغنائم التي تنالها الدولة المسلمة من معاركها مع خصومها المتربصين بها. قال تعالى: ﴿واعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ ولذي القُرْبَى والْيَتَامَى والْمَسَاكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ﴾ (الأنفال: ٤١) وقال تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِه مِنْ أَهْلِ القُرَى فَلِلَّه ولِلرَّسُولِ ولِذِي القُرْبَى والْيَتَامَى والْمَسَاكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ﴾. (الحشر: ٧)

فهم المسلمون من التوجيه القرآني الكريم أن أربعة أخماس الفيء أو الغنائم التي كانت تأتيهم من معاركهم تمنح للمقاتلين، وأن خمسها الباقي يتصرف فيه النبي صلى الله عليه وسلم أو الحكومة الشرعية للدولة المسلمة بعده ويوجه لهذه المصارف: لله وللرسول، ولذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل. وكان سهم ذوي القربى يوزع في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهله وقرابته من بني هاشم وبني عبد المطلب، وهم الذين صمدوا معه في الشعب عندما حاصرهم طغاة قريش في المرحلة المكية من دعوة الإسلام.

منح أهل البيت حقهم من هذا الخمس لأن النبي صلى الله عليه وسلم أوضح في حديث شريف أن الزكاة والصدقات لا تحل لمحمد وآل محمد. فهذه الصدقات طهارة مال المسلم، ولها مصارفها المعروفة، وتحريمها على أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم تكريم لهم ورفع لهم فوق كل شبهة، حتى لا يقول أحد من الناس إنهم يعيشون على زكاة المسلمين وصدقاتهم.

سهم أهل البيت عند جمهور علماء المسلمين ثابت فيما يتصل بالغنائم التي تحصل عليها الدولة المسلمة. أما الأموال التي يحصل عليها المسلم من كده وعمله فليس فيها هذا الخمس، لأن الآية الكريمة تحدثت عن الغنيمة لا عن عموم الرزق الذي يتاح للمسلم.

وبما أن الحروب تغير نظامها في العالم اليوم، فإن هذا جعل سهم أهل البيت من الغنائم يختفي في واقع المسلمين مع اختفاء الغنائم نفسها. بل إن كثيرا من دول العالم الإسلامي أصبحت هي كلها غنائم للقوى الإستعمارية المتوثبة الطامعة في خيرات العالم خلال القرنين الماضيين.

ولعل من أبواب الإجتهاد المفتوحة أمام علماء المسلمين أن ينظروا في مصدر آخر يمكن للدولة المسلمة الصرف منه على المحتاجين من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم في عصر اختفت منه ظاهرة الغنائم بمعناها التاريخي المعروف. إن اجتهادا في هذا السياق لا يخالف نصا شرعيا آخر، ويقرب من مقصد الوفاء بوصية النبي صلى الله عليه وسلم بأهل بيته لن يأتي للمسلمين إلا بخير.

أما علماء الشيعة الإثني عشرية فرأوا أن الخمس يكون من عموم دخل المسلم، والشائع عندهم أن المسلم يعطي خمس دخله السنوي للمرجع الفقهي الذي يقلده أو لوكيله. ومن هنا بقي إخراج الخمس تقليدا باقيا عندهم، مع أن فقهاءهم مختلفون في شأنه، فبعضهم يرى إسقاطه جملة بسبب غياب الإمام المعصوم، وبعضهم يرى كنزه لحين ظهور الإمام المعصوم على أساس أن الأرض ستخرج له هذه الكنوز. وآخرون يرون عزله وحفظه لعل الإمام يخرج في حياتهم، فإن لم يخرج أوصوا به لثقة من الناس يحفظه لهم في انتظار خروج الإمام.

وواضح من كل ما تقدم أنه لا يوجد أي دليل صريح قطعي الورود والدلالة يعطي لأحد من أزواج النبي وذريته وأقاربه عصمة مقررة له من الله، فكلهم بشر كسائر البشر، أو يعطي لأحد منهم حق إلاهيا في الحكم والإمامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، أو القدرة على علم الغيب والإطلاع على أعمال العباد والتحكم بالريح أو السحاب. هذه أمور يختص بها رب العباد، الأمر أمره وحده، له مقاليد السماوات والأرض، يقول للشيء كن فيكون، وهو على كل شيء قدير.

وأهل البيت لا يحتاجون لذلك أصلا، فهم من أعلم الناس بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ويعرفون أن الفاضل والصالح من المسلمين هو من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبيوم المعاد وبالجنة والنار، وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت إن استطاع إليه سبيلا، وتجنب المحرمات، وسبق غيره في إتيان العمل الصالح، من بر بالوالدين ونصرة للحق ومساعدة للمحتاجين ودعوة للإسلام والتزام بمكارم الأخلاق.

وقد سبق الكثير من أعلام أهل البيت في هذا المجال فقدموا القدوة الحسنة والمثال الصالح للمسلمين ونصحوا مخلصين لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وضحوا بأنفسهم وأبنائهم في سبيل نشر رسالة الإسلام وقيمه النبيلة السامية بين الناس، ودفاعا عن الرسول صلى الله عليه وسلم والدولة الإسلامي الأولى التي قامت في المدينة المنورة.

فجزاهم الله عن الإسلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين أعظم الجزاء وأجزله وأوفاه، ورفع قدرهم وذكرهم أبدا بين

الناس وفي الملأ الأعلى، وأدخلهم بفضله ورحمته في عليين، مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين. وحسن أولئك رفيقا.

ووفق الله أمة الإسلام قاطبة للقيام بحقوق أهل البيت خير قيام، وحبهم وبرهم وموالاتهم، والتنافس في نشر فضائلهم، وتلبية طلب سيد الخلق وإمام الرسل وخاتم النبيين محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام عندما أوصى عموم المسلمين بعترته أهل بيته.



خاتمة

حاولت في الفصول الماضية استخلاص هدي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في محبة آل البيت وبيان فضلهم وحقوقهم، وقدمت ما توصلت إليه بعد بحث معمق في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ومطالعة عدد من المراجع الرئيسية الأخرى المفيدة.

وقد استفدت في صياغة هذه الفصول أيضا من الندوات الحوارية التي قدمتها في قناة المستقلة خلال السنوات الماضية، عن أهل البيت تحديدا، وعن تراث علماء السنة والشيعة بوجه عام. ويعلم من شاهد تلك الندوات أنها كانت حافلة بالمعلومات والآراء العليمة القيمة والمفيدة لكل باحث وكاتب في مثل هذه الموضوعات.

عند إعدادي وتقديمي لعدة ندوات عن مودة أهل البيت، واستضافتي الشيخ الدكتور عايض القرني لمحاورته في هذا الموضوع، ثم عند كتابتي لهذ الفصول، كان لي ثلاثة أهداف أساسية:

- الأول هو الوصول إلى جواب مقنع مستند إلى الدليل الشرعي للأسئلة التي تفرض نفسها على المسلم فرضا عندما يرى ويقرأ ويسمع الخلافات بين المسلمين والسنة والمسلمين الشيعة حول مكانة أهل البيت وحقوقهم.

- الثاني هو المساهمة ولو بالنزر اليسير في الترويج لفضائل أهل بيت إمام الأنبياء وخاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.

- الثالث هو المساهمة بما تيسر في شق طريق العودة لنبع الإسلام الصافي دون المرور عبر دروب الخلافات المذهبية التي تعززت خلال القرون الماضية. ذلك أن مسلمي هذا الزمان، والأجيال المقبلة من المسلمين، ليسوا ملزمين أبدا بتقبل تراث الخلافات المذهبية على أنه حقيقة من حقائق الإسلام، وبوسعهم إن أرادوا واجتهدوا، بوسعهم العودة للنبع الأصلي، وصياغة تراث علمي جديد وفي لتعاليم الإسلام وقادر على توحيد المسلمين. وبما أن نبي الإسلام محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن سنيا ولا شيعيا، فإن من واجب كل مسلم أن يتأسى به ويجعله القدوة الحسنة له، ويعود بهديه وهدي القرآن الكريم قبله إلى النور الوضاء الذي أشرق على العالم سنة ٦١٠ ميلادية وألف الله تعالي به بين قلوب مئات الملايين من المسلمين عبر التاريخ. وما يزال.

هذا ما قصدت الوصول إليه من تنظيم الندوات التلفزيونية عن مكانة أهل البيت، ومن كتابة هذه الرسالة العلمية. وكنت مدركا منذ البداية أن الموضوع واسع والإحاطة به في هذه الفصول القصيرة أمر مستحيل، ومتيقنا بأن أعلام أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم يستحق كل واحد منهم مجلدا عن فضائله، ومع ذلك وبعده لا يزعم المرء أنه وفاه حقه.

لكنني قدرت أن كتابة هذه الفصول المختصرة ونشرها خير من ترك الموضوع جملة. وقد بحثت وقرأت ثم كتبت ما بين أيديكم. فكل أطروحة أو نتيجة أو قاعدة علمية وفقت في بيانها وصياغتها وأصبت فذلك من فضل الله علي وهو الكريم الذي لا حد لعطائه ولا يقدر مخلوق على إحصاء نعمه. وكل خطأ وقعت فيه فمن نفسي.

وإني لأرجو من الكريم الغفور أن يكتب لي أجري المجتهد إن أصبت وأجرا واحدا إن أخطأت، ويغفر لي أي زلة أو خطا وقعت فيه في هذا الكتاب، إنه هو الغفور الرحيم.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الفهرس

أهل البيت في القرآن الكريم والسنة النبوية

رسالة علمية للدكتور محمد الهاشمي الحامدي





